277

الأفق والصلاة

يوسف محاطي

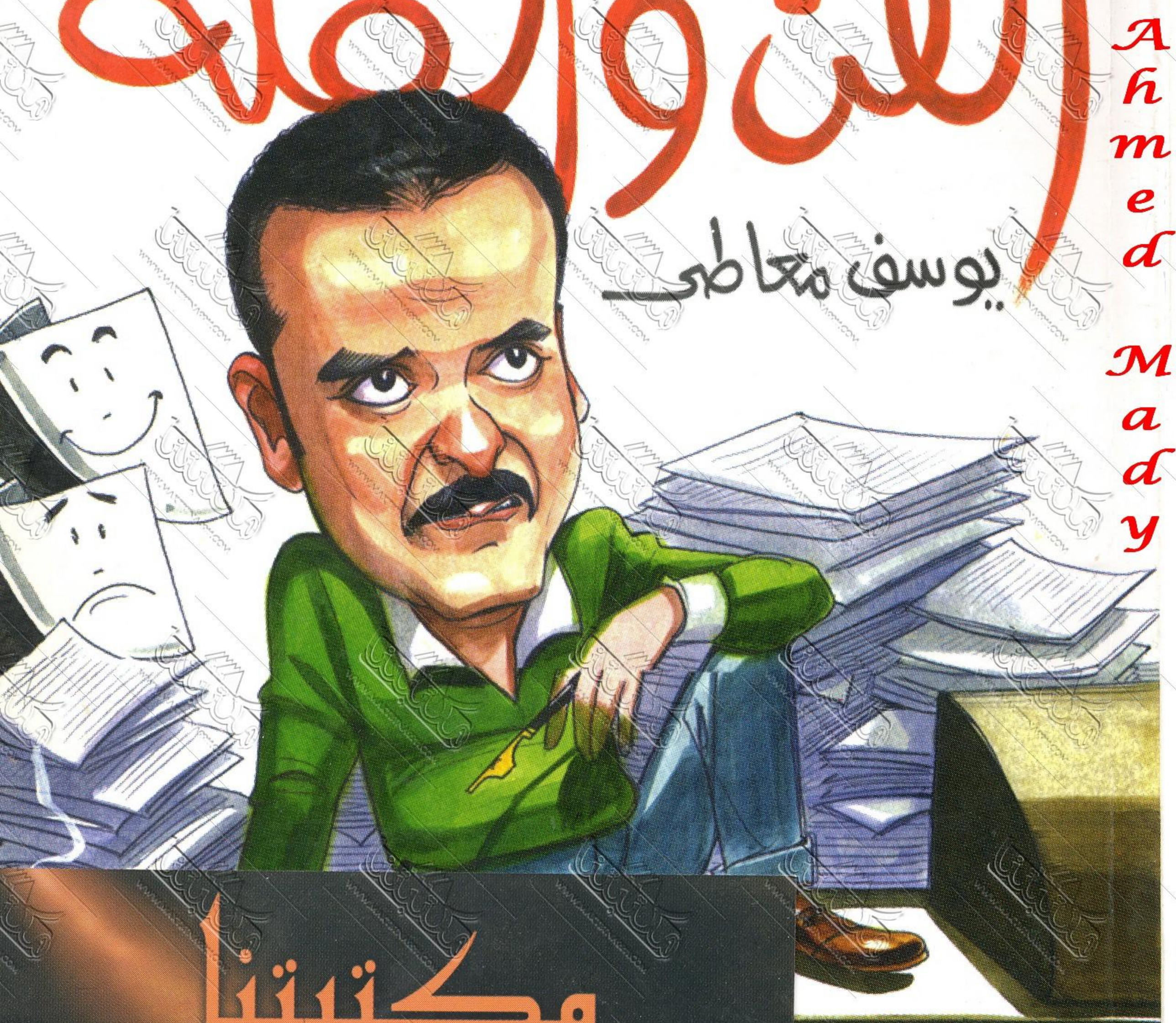

Ahmed Madyy

مكتبتنا

كنوز من المعرفة

www.maktbtna2211.com

الدار المصرية اللبن

الفن وأهله

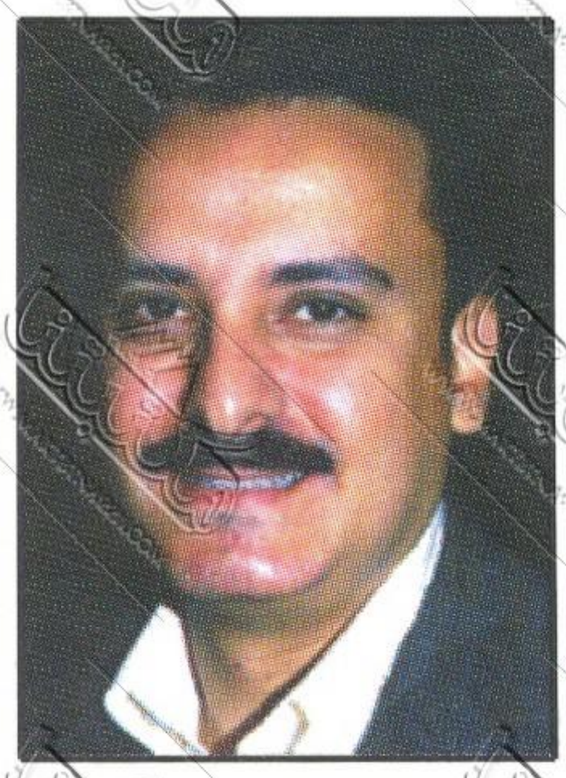

عُرِفَ الأستاذ « **يوسف معاطى** » كأحد الأعلام المُبَرَّزِين فى كتابة الأدب الساخر فى مصر . . فقد أَلِفَهُ القُرّاء كاتبًا قديرًا متمكنًا مما يكتب ، ووثق به عشاق السينما والمسرح كمؤلف فكاهى يعرف كيف يرسم البسمة على وجوه المشاهدين . .

وفى هذا الكتاب ٤٤ مقالاً ـ أو بالأحرى ٤٤ رسمًا كاريكاتوريًا ـ غايةً فى السخرية . . صَوَّرَ لنا فيها «يوسف معاطى» لوحات حية عن حياة أهل الفن من ممثلى المسرح والسينما والتليفزيون ، والمذيعات ، وكُتّاب المسرحيات ، ومؤلفى الأفلام والمسلسلات ، والمخرجين ، والمطربين . . وفى كل لوحة منها يقف القارىء على مشاهد مضحكة يكاد القلب أن ينفطر لها ! .

لذا . . فهذا الكتاب يعد بمثابة فكاهة كبيرة متعددة الحلقات ، فاغنم متعتك منه ـ عزيزى القارىء ـ قبل أن يسبقك غيرك إليها .

3/10/2012
Riyadh

6 222006 302122

الطبعة ٣

مصر الكبرى

أحمد المسلماني

كتابنا القادم

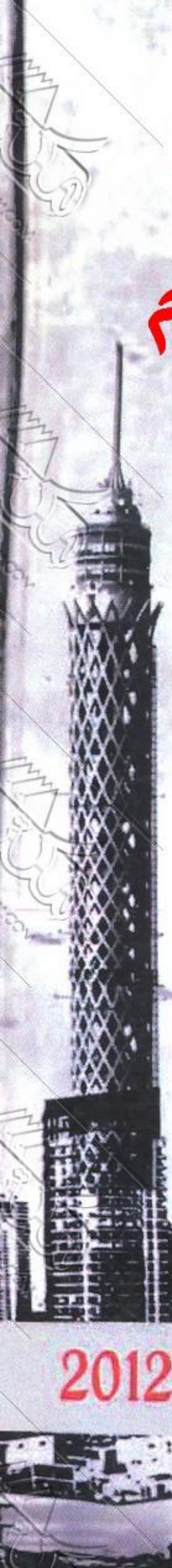

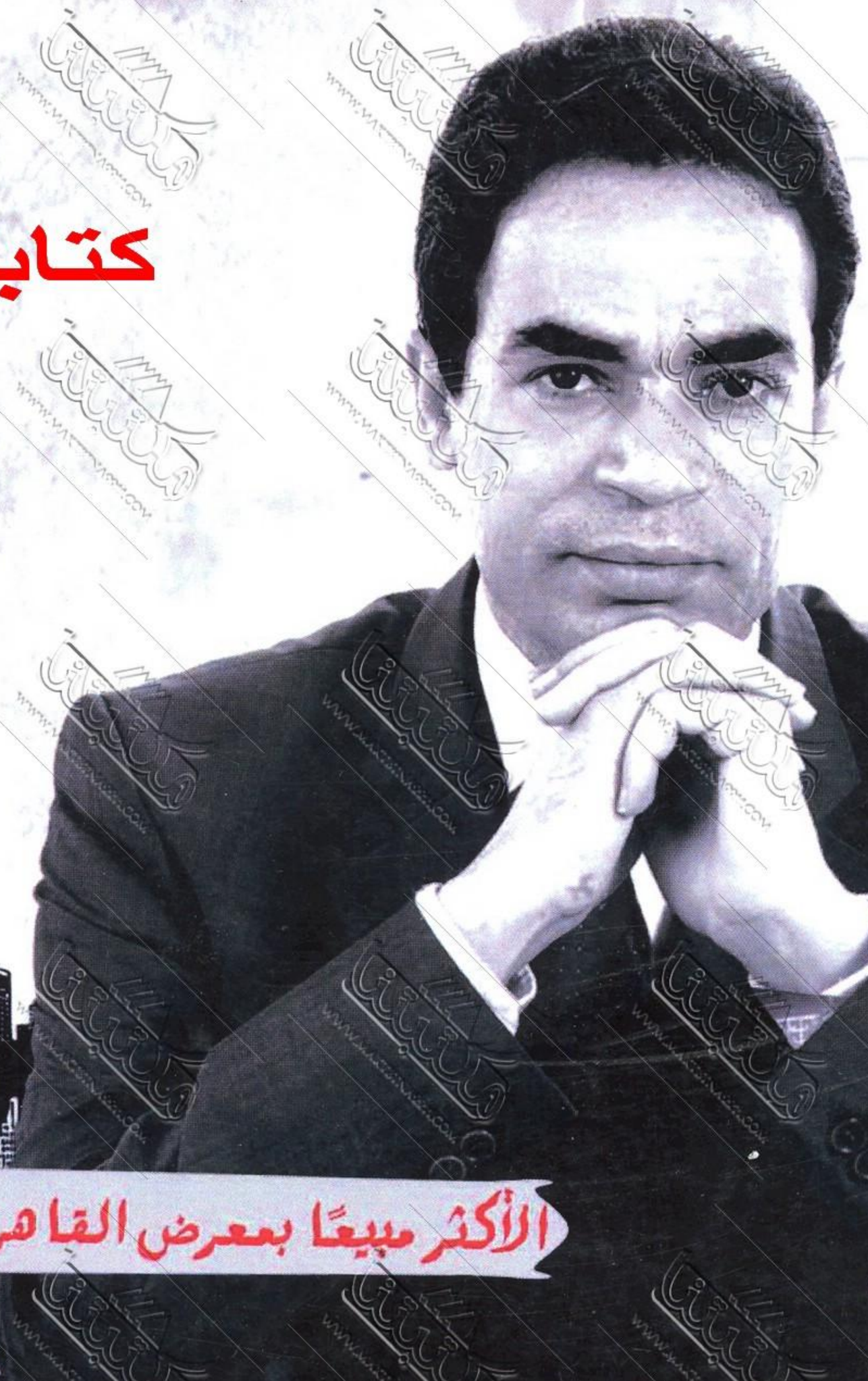

الأكثر مبيعًا بمعرض القاهرة الدولي للكتاب 2012

كتاب كوكو
بدار ليلى

يوسف معاطي

الفن واهله

الدار المصرية اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

اتفضل.. ده الكارت بتاعى

تقترب منى السنيورة الجميلة ذات البنطلون الشارلستون والشعر المشدود بالفـازلين والعيـون المرسومة فى بجاحـة وتقول لى:

أهلا يا أستاذ.. أنا فلانة.. مذيعة.. وتعطينى الكارت..

أبحلق فى وجهها قليلاً. وأشك فى معلوماتى. فأنا لم أرها فى حياتى قبل هذه اللحظة.. وانتبهت على صوت الشاب الأمور ذى البنطلون الغريب المليئ بالسوست والفانلة الكَتْ، وهو يقول:

وأنا فلان.. مطرب ويعطينى الكارت..

وأبحلق فى وجهه هو الآخر.. أيضًا لا أعرفه..

أسأله: هل لك شرائط..

فيجيب بلهجة تليفزيونية: أنا خلصت ألبومين والثالث نازل فى السوق.

مطرب.. ومذيعة.. ولا أحد يعرفهما.. لمن يغنى إذًا ولمن تذيع البنت المسكينة ويقترب منى شاب فى عمر الزهور قائلاً:

فلان الفلانى صحفى فى الجريدة الفلانية، ويعطينى الكارت هو الآخر..

وأنا لا أعرف الصحفى ولا أعرف الجريدة.. إنها ظاهرة.. لا يوجد شاب اليوم ليس فى محفظته الكارت بتاعه بالعربى والأفرنجى أيضًا يخرجه لك من جيبه فى قنزحة ويقولك دى تليفوناتى.. وفى فترة من حياتى كنت عاطلاً وظروفى المادية والمعنوية بعيد عن السامعين أنا وكل أصدقائى المتخرجين حديثًا فى الجامعة والجالسين فى بيوتنا ننشْ ونقرأ يوميًا الوظائف الخالية.. وجاءت شوطة كروت بيننا أيضًا.. كلهم عملوا كروت كل حسب مؤهله.. فخريج تجارة الصايع كتب فى الكارت بتاعه (فلان الفلانى رجل أعمال) وكان يتقاسم السيجارة مع زميلنا العالم الجيولوجى خريج كلية العلوم (الوائع برضه) الذى ينتظر التجنيد، ولما كنت أنا الوحيد الذى بلا كارت.. ألحوا على أن أعمل كارت لنفسى، وأهو على حد تعبيرهم بينفع وعملت كارتًا كتبت فيه بالإنجليزية:

Youssef Maaty unemployed

والترجمة الحرفية هى اسمى ثم الوظيفة.. عاطل..

وكانت أمى الطيبة التى لا تعرف الإنجليزية تنظر إلى الكارت فى انبهار، وتقول فى بساطة وتلقائية.. ربنا يزيدك كمان وكمان..

ولنا صديق الكارت بتاعه يأخذ منك نصف ساعة كى تفك طلاسمه.. إنه يعمل اثنتى عشرة وظيفة فى الكارت.. وحاجات كبيرة قوى.. لا يوجد شىء فى مصر هو لا يفعله.. وبعد أن يعطيك الكارت يكلمك عن البورصة وسوق المال ومرتبات العمال والمصنع وهيئة الاستثمار، وفى نهاية حديثه الشيق يطلب منك جوز جنيهات علشان يمشى حاله.. وتعطيهم له ولكنك تعود وتبحلق فى الكارت كالمجنون ويقولك بعد أن يدس الجوز جنيهات فى جيبه:

لو عوزت حاجة.. أهوه.. الكارت معاك مالكش حجه بأه.

وأول من اخترع حكاية الكارت هذا هم المصريون القدماء، ولكن الكروت كانت خاصة بالملوك فقط.. فكان الملك يثبت اسمه فى كارت من الذهب الخالص وكان اسمه كارت برضه.. ولكن.. (كارتوش) أو خرطوش يعنى كارت ذهب يا ناس.. مش أونطه.. لو كنت أعيش أيامها لكنت اتراذلت على الفرعون أخر رذالة وطلبت منه الكارت بتاعه عمال على بطال.. وأقوله معلش يا كنج عشان بأنسى التليفون، بس يا ريت واحد كمان يعنى.. أدى الكروت وأَلا بلاش.. وفى الوسط الفنى ظاهرة من المنتجين النصابين.. يؤجر الواحد منهم شقة عليها يافطة شركة إنتاج ويطبع كارتًا مكتوبًا فيه منتج سينمائى وتليفزيونى ومسرحى وإذاعى أيضًا.. ولولا الملامة لأضاف السيرك القومى إلى قائمة اهتماماته الفنية.. وهذا المنتج يوزع يوميا ما لا يقل عن سبعمائة كارت يمين وشمال وتزيد نسبة توزيع الكروت بين الجنس اللطيف عنها بين الجنس الخشن.

والحقيقة أن صاحب مطبعة قال لى:

إن السيدات أقل عملاً للكروت من الرجال لماذا.. ؟ لأنهن فى الغالب يأخذن كروت هؤلاء الرجال.. أما المرأة فإذا أحبت أن تترك لك نمرة تليفونها.. فعندها أكثر من وسيلة غير الكارت، إما أن تتركه لـك بالإشارة.. وهـى تعلم أنـه سيلـزق فـى دماغك ولـن يطلع ولا بالطبل البلدى، وإما أن تكتبه لك على ورقة كلينكس وتتركها على المنضدة أو تكتبه لك بقلم روج على مرأة الحمام..

ذلك هو كارت المرأة.. وهو كارت إرهاب أقرب منه إلى أى كارت أخر..

يا أعزائى نحن نعيش فى عالم من الكروت حتى النقود استبدلت بفيزا كارت.. وماستر كارت.. وستتغير الأمثال الشعبية وسيصبح الكارت الأبيض ينفع فى اليوم الأسود، وأتصور أن جرائم قتل كثيرة حدثت بسبب الكروت.. حينما ألقى أحدهم الكارت بتاعه فى وجه غريمه، فسقط وقد فارق الحياة.. كان هذا فى العصر الحجرى طبعًا..

مين مع؟!..
ومين مش مع؟!

دائمًا طالما أن هناك عملاً فنيًّا.. فيلم.. مسرحية.. أغنية..
أى حاجة فهناك ناس مع.. وناس مش مع.. وإذا نجح العمل الفنى غالبا ما تزيد فئة المش مع على فئة المع.. ومشكلة الفنان دائمًا أنه يريد أن يجعل هؤلاء المش مع.. مع.. وأن يزيد قدر المستطاع من فئة المع، ولكن لا تطمئن يا عزيزى الفنان لهؤلاء.. المع.. فهم فى ثانية ينقبون عليك يصبحون.. مش مع..

وفى الوقت نفسه لا تتأثر من هؤلاء المش مع.. جايز يكون شكلك مش عاجبه.. دمك تقيل على قلبه، أنت بالنسبة له يَعْ.. خلاص.. هو كده بأه مش مع..

ولذا فأنا قررت اعتبارًا من تاريخه أن أجعل كل هؤلاء المش مع.. معى.. وأن أبدأ معهم صفحة جديدة أستهلها باعتذارات عن كل ما

سلف من أعمال قدمتها.. والتائب من الفن كمن لا فن له.. وأعتذر اعتذارا من القلب لكل ناقد هاجمنى، ولعن اليوم الذى عرفنى فيه ووصف الليلة التى قضاها يشاهد إحدى مسرحياتى بأنها كانت ليلة سودة.. كما أعتذر بالنيابة عنهم لأريستوفان وموليير وبرنارد شو ومؤلف أوبرا لابوهيم الذى لا أعرف اسمه والنعمة الشريفة، بعد أن اكتشفوا أننى قمت بسرقة أعمالهم ووضعت عليها اسمى.. ومستعد أروح لأريستوفان لحد باب بيته ولو له حق عرب ياخده.. وأتأدب بيه.. أما بالنسبة لمؤلف أوبرا لابوهيم أنا كلمته كذا مرة عشان أعتذر له.. فَصَدَّر لى الأنسر.. وقافل الموبايل.. أنا كده براءة.. أما بالنسبة للجمهور فلنا حساب مع بعضينا.. أنتم السبب فى كل ما يحدث لى.. آه منكم ومن عمايلكم.. ألم تساهموا فى نجاح أعمالى وجماهيريتها.. ألم تشتروا تذاكر مسرحياتى.. وقرأتم كتاباتى.. ووقفتم إلى جوارى وساندتمونى حتى جاءت رجلى.. ماشى!! أنتم سبب أننى هوجمت ولعنت فى كل الجرائد والمجلات.. ولذا فأنا اتخذت قرارى.. أدى الورقة.. وأدى القلم.. مش كاتب بلا وجع دماغ.. دخلنا بالمعروف.. ونخرج بالمعروف.....

.....

ضميرى: ولكن.. ماذا حدث لك.. ما تقوم.. لماذا تمسك بالقلم مرة ثانية.. ألم أقل لك.. أنت ما لكش كلمة..

أنا: منظر القلم فوق الورقة البيضاء.. والحبر الأسود.. (أبلع ريقى) إنه إدمان لن أكتب.. فقط.. سأشخبط.. هذا ليس للنشر.. يموت الزمار وأصبعه يلعب.. وأنا.. مخى بياكلنى..

ما هذا الذى يحدث لى.. حوار داخلى.. صوت تفكيرى.. إنها حيلة سينمائية أكرهها بقدر ما أكره ذلك الخطاب، الذى تفتحه البطلة فتجد صوت حبيبها طالع من الجواب.. «منى.. اضطريت أسافر سفر مفاجئ. ح توحشينى»..

ولكن.. أقول لنفسى.. أنت مخادع.. أنت توهمنا أنك لا تكتب وأنت نازل كتابة وبحماقتك المعتادة.. زاد عدد «المش مع» وسترى الأَمَرين.. ويقول لى الناقد الكبير رجاء النقاش.. إذا اتهم ناقد مؤلفا بأنه لا يعرف الكتابة.. فهناك احتمالان لا ثالث لهما.. إما أن تكون تعرف الكتابة وهو يظلمك فلا تهتم.. وإما أن تكون فعلا لا تعرف الكتابة وهذه ليس لها حل.. أنت كتبت خلاص.. ح تعمل إيه يعنى؟!

وإحسان عبد القدوس خرج من حجرته ممسكا بالجريدة، وهو فى غاية الثورة ولم يجد أمامه سوى الكاتب الكبير كامل الشناوى فَفَشَّ غله فيه.. قال له:

شفت كاتبين عنى إيه؟! بيقولوا أننى لست كاتبا روائيا وإنما أكتب قصصا جنسية.. يسمون التوغل فى أعماق المرأة والرجل جنسا وإسفافًا.. لقد تعبت يا كامل بيه.. سأبطلها الشغلانة..

ولم يبطلها.. هم الذين بطلوا أن يشتموه بعد ما مات طبعا.

والمخرج صلاح أبو سيف هوجم هجومًا عنيفًا فى فيلم الزوجة الثانية حينما عرض فى السينما.. وكره الرجل الفيلم، والسينما والإخراج وكره عيشته، وبعد أن عرض الفيلم على الناس فى التليفزيون صار من كلاسيكيات السينما.. وصارت العيال فى الشارع يقولون.. هيه حبكت.. الليلة يا عمدة.. صار فولكلورا.. وفيلم باب الحديد لو تأثر يوسف شاهين وعبد الحى أديب بما قيل عن الفيلم.. لكان يوسف شاهين الآن صاحب مصنع سيراميك وعبد الحى أديب عنده سوبر ماركت.. وفى رأيى.. مهما حدثت أخطاء من الفنان، فإن التعامل معه يجب أن يكون مثل التعامل مع طفل شقى.. نضربه على ضهر إيده.. نقول له كخ عيب.. ولكن لا نلقى به من البلكونة حتى يتعلم ويصبح طفلاً مؤدبا.

صدقونى كل شىء فى الدينا يخضع لرأيين.. مع أو مش مع.. فى الفن، فى السياسة، فى الحب، فحبيبتك التى كانت بالأمس القريب.. (مع).. صارت اليوم زوجتك (مش مع) والحاكم الذى كان فوق كرسيه يرى الناس كلها «مع» انفضوا عنه، بعد أن خلع منه وصاروا «مش مع»، وكتب كثيرة فى تراثنا تتناول هذه القضية.. وهى اختلاف الرأى حول فكرة، فالثعالبى عمل كتابا اسمه.. فى تحسين القبيح وتقبيح الحسن.. وفى كتابه اللطائف يمدح الحقد ببيت الشعر الذى يقول:

وما الحقد إلا توأم الشكر للفتى

وبعض السجايا ينتسبن إلى بعض

ثم يعود ويذمه ببيت:

إذا ما المرء كان لنا حسودًا

فأف لذلك من باغ حسود

ولذا يا أعزائى.. أنا أعشق الاختلاف.. فلا يوجد فى الدنيا ذلك الشىء الذى يحظى بموافقة عامة إلا فى مجلس الشعب طبعًا.. الأنبياء والعلماء والمفكرون.. وبتوع السميط والبيض والبليلة.. وكل واحد فى الدنيا.. أحيانا تصبح معاه.. وأحيانا أخرى تصبح مش معاه، إنتوا معايا؟! مالكم.. سكتوا ليه.. آه.. فيه ناس مع وناس مش مع..

❀ ❀ ❀

العَمْلة السُّودة!

تسعون فى المائة من أفلامنا تخطئ فيها البطلة البريئة فى أول الفيلم مع البطل فى لحظة ضعف، ونظل نحبس أنفاسنا إلى آخر الفيلم ونحن نخشى عليها من كلام الناس ومن الفضيحة ومن أمينة رزق ومن عبد الوارث عسر ومن زكى رستم.. إلى أن تلتقى فى النهاية ببطلنا الذى أتى بعد أكثر من ساعة ونصف كاملة لكى يصلح غلطته..

والبطلات الخاطئات أنواع فمنهن الناصحة التى تحتفظ بورقة بخط يد البطل، تظهرها قبل النهاية بدقائق معدودة لتضعها فى عين أبيها وأخيها، وأى واحد تسول له نفسه أن يتهمها فى شرفها وأحيانا كانت هذه الورقة تضيع وتسبب أزمات نفسية لا حل لها عندنا.. ولكن بعض البطلات غير الناصحات لا تحصل على هذه الورقة.. ربما لأنها فى وقت العملة السودة لم يكن عندها وقت حينئذ للتفكير فى أوراق ومستندات.. وربما أيضًا لأنها فضلت أن تتعامل بالبُقْ وباللسان.

بالكلمة يعنى.. ولكن البطل (النذل) مؤقتا يتخلى عن البطلة.. وفى أقل من خمس ثوان تسمع صوت الطفل الملفوف يصرخ قائلاً.. واء.. واء.. واء.

فى معظم الأحيان تعتمد البطلة على سيدة غلبانة ليست لها طموحات في الحياة، يطلقون عليها لقب «داده» لتربى الطفل بينما تشق البطلة طريقها فى الحياة.. وحينما يكبر الطفل إما أنها تتبناه، وإما أن تربيه فى وسط أطفالها الآخرين (الشرعيين يعنى) ويظل الأب طوال الفيلم متشككًا فى بنوة الولد هذا بالذات، ويعامله معاملة الكلاب إلى أن يفيض به ويزهق عليه ويرزعه قلم ويطرده من البيت شر طردة..

والحقيقة أن المغزى الأخلاقى من هذا الموضوع بالذات أثار انتباهى؛ فالبطلة تتعذب بعض الشىء بعد العملة السودة، حيث يوبخها أبوها أحيانًا فى مشهد أو اثنين.. ولكنها فى النهاية يجتمع شملها مع البطل (المخطئ) وفى حضنهما الطفل وهما يبتسمان فى سعادة للجمهور.. وكأنهما يقولان أيها الجمهور الحبيب ـ وهذا الكلام للبنات بصفة خاصة ـ لا تحملن أى هم.. العملة السودة شىء وحش طبعًا، لكنها مثل شكة الدبوس ستمر بسلام إن شاء الله، وكل حاجة ح تتصلح.

ولم ينج من هذه العملة فى أفلامنا طبعًا حتى بريئة الشاشة وسيدتها فاتن حمامه؛ حينما أنجبت طفلاً احتارت به طوال الفيلم

إلى أن أكملت الجروب فى النهاية السعيدة (الأب والأم والطفل)، أما الفنانة العظيمة شادية فلها فى ذمة السينما المصرية نصف دستة من الأطفال غير الشرعيين.. ومع ذلك لفرط حب الجمهور لها، كان يدعو لها بالتوفيق والستر على طول..

والحقيقة أن لحظة العملة السودة هذه اختلف فيها الفقهاء من المخرجين، فمنهم من كان يعبر عنها بهطول سيول أمطار، ومنهم من كان يطفئ نارًا ومنهم من كان يكسر نافذة لكى يحط غلبه كله فى هذا المشهد.. المهم أن الجمهور فاهم وإحنا مع بعض يعنى..

وفى أغلب الأحيان حتى لا تشوه صورة البطل فى عين الجمهور يجد له المخرج مبررًا (لنذالته المؤقتة) حيث ينشغل البطل بعد العملة السودة مباشرة فى موضوع خطير، لا يمكنه من الاعتراف بعملته المنيلة فأحيانًا كان المخرج يقتله فى حادث سيارة حتى يعذب البطلة باقى عمرها وابنها من بعدها.. وفى بعض الأحيان كان يدخله السجن، وهنا يصبح انتهاء عذاب البطلة موقوتًا بخروجه أو بهروبه من السجن فتصبح الفرصة فرصتين أو أن يسافر فى بعثة إلى أوروبا، وقد نسى تمامًا ما فعل إلى أن يعود من هناك وقد حصل على الدكتوراه ويجد البطلة فى انتظاره وابنها فى يدها وهو ما شاء الله فى الإعدادية.. ويحن الدم.. ويجرى الأب ليعانقه ابنه فى حرارة.. والذى يدعو للتساؤل لماذا يبتعد البطل عن البطلة مباشرة بعد العملة إياها، وقد كان قبلها فاضى وما وراهوش حاجة وقاعد بينش ورايح جاى معاها، والاثنين نازلين غنا وجرى ورا بعض.. لا أعلم..

عزيزى القارئ.. ونحن فى هذه الأيام المفترجة، أعنى أيام مهرجان القاهرة السينمائى.. يقبل جمهور السينما إقبالاً عنيفًا على أفلام المهرجان.. هل تعلم لماذا لأنه لا يريد أن يرى أمطارًا تهطل أو نوافذ تتكسر أو أمواجًا ترتطم بصخور. إنه يريد أن يرى العملة السودة نفسها.. بشحمها ولحمها.

❁ ❁ ❁

أنا؟؟! أنا جاى معاه!!

حينما سادت الأفلام العاطفية فى فترة ما، وأصبحت تمثل الغالبية العظمى من الأفلام السينمائية صارت البطولة دائمًا لاثنين.. الحبيب والحبيبة وقصة الفيلم معروفة مقدمًا.. اللقاء الأول.. الابتسامات.. النظرات.. الحب.. ثم تظهر المشكلة بأه، فمرة أب غِتِتْ يحمل أفكارًا رجعية ومرة أم تريد لابنها عروسة ثانية.. المهم أن المشكلة تحل بعد ذلك إما بالزواج أو بموت أحدهما.. ولأن الحب عندنا مرتبط باللوعة والعذاب ووجع القلب.. فكان دائمًا ما للبطل صديق (خفيف الدم) نضحك عليه ونفرفش قليلاً، حتى نستطيع متابعة عذاب البطل بتاعنا.. والحقيقة أن صديق البطل هذا شخصية أثارت انتباهى.. أولاً لأنه غالبًا ما يكون ليس له شغلانة سوى البطل وحكايته مع حبيبته، ويظل طوال الفيلم يسمع البطل وينفعل معه ويصبره على ما هو فيه.. وبرغم موقفه النبيل هذا فلا يكافئه المخرج بشىء فى نهاية الفيلم اللهم، إلا إذا حن عليه وزوَّجه الخدامة بتاعة

البطلة.. ويقف البطل والبطلة ويضحكان عليه فى نهاية الفيلم.. وإذا أعطى المخرج للبطل كل المواصفات الرائعة، فإنه يسلبها متعمدًا من صديقه.. فتجد البطل شجاعًا كريمًا محبًا صبورًا متواضعًا بينما صديقه جبان وأحمق ومأفون ولكنه طيب القلب.. وحكاية صديق البطل هذه لها جذور تاريخية، وهو نفسه ليس إلا (مضحك الملك) ذلك المهرج الذى كان يلازم الملك أينما ذهب، وليس له عمل سوى إضحاكه.. وغالبًا ما تنمحى شخصية هذا المضحك من الوجود حتى اسمه، ولا يعبر عنه إلا بلفظ "The fool" أى الأحمق.... إسماعيل ياسين مثلاً ظل صديقًا لأبطال كثيرين.. فريد الأطرش وكمال الشناوى ومحمد فوزى هم يحبون ويتمشون ويتمتعون مع بطلاتهم، وهو يرى الويل والمر طول الفيلم وآخرتها يتزوج وداد حمدى أو ثريا حلمى أو يروح مستشفى المجانين إلى أن أصبح هو بطلاً له موضوع وحدوتة وبطاقة شخصية وساعتها إفترى كتب اسمه على أفلامه..

والظاهرة اللافتة للنظر أن كل المطربين لهم أصدقاء فى الأفلام.. وأصدقاء إيدك منهم والأرض.. عوالة بعيد عنك فالمطرب فى أفلامه هو المهموم بالفن الباحث عن الفكرة والموضوع، وهو مؤلف الكلمات والألحان أيضًا، أما دور صديقه.. لا شىء (هو جاى معاه) إنه فقط يسمعه ويصفق له ويتشقلب أمام حبيبته فتضحك البنت من قلبها، وتنظر بإعجاب للبطل فتلهمه باللحن الجديد اللى ح يكسر الدنيا.. وتأملت قليلاً هذه الشخصية شخصية صديق البطل.. هل

هى موجودة بيننا!! إنها موجودة وبفظاعة.. أنا نفسى قابلتهم وعرفتهم وجلست معهم.. إنهم أناس أعجبنى تعبير الأستاذ العقاد حينما وصفهم قائلاً: «المستطيع بغيره» إنهم غير الموهوبين فى أى شىء.. الجالسين على الموائد.. كدابين الزفة.. النكرات.. إنهم مثل شخصية (اللبيس) للنجم، وهى شخصية درامية مائة بالمائة.. وهو يعيش خلف هذا النجم والأضواء مسلطة عليه والدنيا كلها مقبلة عليه بينما هو فى الظل.. فى الظلمة الحالكة .

وشخصية صديق البطل للأسف كانت أشبه باللبيس، أكثر منها تعبيراً عن الصداقة الحقة التى هى عطاء متبادل بين ندين.. بين طرفين.

وكان الراحل عبد الحليم حافظ ذكيا فى اختيار أصدقائه فى الأفلام، ولكن الذى كان أكثرهم تواجداً بأفلامه الراحل العبقرى عبد السلام النابلسى.. ربما لأنه صديق مثالى من حيث المواصفات السينمائية.. فهو خفيف الدم جداً، وهى فرصة لإظهار وقار البطل وهدوئه واتزانه وهذا يهبل المعجبات ويجننهن.. وهو أيضًا بلا شغلانة (من أعيان كرموز.. راجع فيلم حكاية حب) أو حتى حينما يعمل مصوراً فى (يوم من عمرى) فهو مصور فاشل مالوش دعوة بالتصوير، أما عبد الحليم فى الفيلم فهو كاتب واعد مستقبله كويس (راجع كلام المليجى معه عن مستقبله ككاتب) أو تجده يحب البطلة، ويوهمها أنه يغنى برغم صوته الردئ ويغنى العندليب بدلاً منه وهو

واقف خلف الباب.. وحتى فى شارع الحب وهو يلعب واحدًا من أعظم أدواره.. حسب الله السادس عشر.. هو لا يلحن وإنما الذى يلحن عم جادليو (حسين رياض).. ولذا فتجد أن النابلسى كان دائمًا وأبدًا ضعيف الإمكانيات بجوار إمكانيات البطل الخرافية.. والصفة الثالثة التى كانت تميز النابلسى أنه كان مغرورًا متطاوسًا معتدًا بنفسه مما يبرز تواضع «ليمو» ويقربك إليه أكثر.. ولذا كان لوجود شخصية مثل النابلسى بجوار عبد الحليم عميق الأثر فى ترسيخ وتوطيد الصلة بينه وبين جمهوره كنجم وحبيب للملايين.

وفى معبودة الجماهير حاول عبد الحليم أن يستبدل النابلسى بفؤاد المهندس وهو نجم له جماهير وحضور كوميدى طاغ، أعطاه عبد الحليم كل ما كان يعطيه للنابلسى الشخصية المهملة «وكيل محامى أو كاتب نيابة لا أذكر بالضبط»، ولكنه شديد الاعتداد بوظيفته، وليس له من أهداف فى هذه الدنيا سوى أن يرى عبد الحليم هذا صديقه أكبر فنان فى مصر ويتحقق له ذلك فعلاً، ونجح فؤاد المهندس ولكن ليس كنجاح النابلسى.

ولكن يظهر فى أفلام عبد الحليم أصدقاء من نوع ثان أو أنماط أخرى من البطل الثانى بجواره.. مثل أحمد رمزى وحسن يوسف.. وللحق لم يتكرر كثيرًا استخدام هذه النوعيات من «الجانات» أو الأبطال الأسوياء فكلاهما كان له معجبات من الجنس اللطيف، مما يدخل فى اختصاص أو منطقة البطل الأول.. وعجل هذا بترقيتهم إلى أبطال من الصف الأول وليس الثانى.

وكان عبد الحليم فى الكثير من أفلامه لا يكتفى بالصديق «النكرة» إياه وإنما كان يلجأ أو يتشبث بشارع بحاله من الناس الطيبين، الذين ليس لهم من أمل سوى أن ينجح.. فى شارع الحب وقف الشارع كله بجواره حتى نجح.. وفى معبودة الجماهير.. برغم سوء معاملة أهل الحارة له، حينما كان نكرة فى بداية الفيلم، إلا أنه طلع أجدع منهم وحقق لهم أحلامًا وبنى لهم محلات وبيوتًا وأدخل أطفالهم المدارس وغرقهم باللعب والحلوى.

وأخيرًا.. وحتى لا يفهمنى البعض خطأ.. أود أن أعرض وجهة نظرى فى هذه النقطة. صناعة النجم.. صناعة مثل أى صناعة لها مفرداتها ووسائلها المتنوعة.. وعبد الحليم حافظ لم يأت فى تاريخ الفن كله فى مصر من استطاع أن يفهم هذه الصناعة، مثلما فهمها هو.. ومثلما مارسها هو.. والفرق بينه وبين الراحل العظيم فريد الأطرش فى مسألة الأصدقاء هذه.. أن فريد الأطرش كان أحيانًا يستظرف ويمشى فى سكة الكوميدى التى هى من نصيب صديق البطل.. فالنتيجة بالطبع ليست فى صالحه.. أما عبد الحليم فكان يترك صديقه يبرطع كما يشاء فى الكوميدى، بينما اتخذ هو لنفسه السكة الأخرى.. التى تمس شغاف القلب.. بقلبى أحببت عبد الحليم ولـمّا تأملته قليلاً.. بعقلى أحببته أكثر..

أخى فى (السيما) الذى لم تلده أمى

قال لى أبى زمان وقد كان رجلا «كوبَّارة» محنكًا يعرف من القصص والأمثال والحكم المأثورة الكثير.. قال لى هل تعلم يا ولدى لماذا حين يقع البنى آدم مننا على قفاه شر وقعة يصرخ من الألم قائلاً «أخ» لأنه يستجير بأخيه. لماذا مثلاً لا يقول البنى آدم حين يقع أب أو أم لأنهما بلغا من السن مبلغا يجعلهما لا يستطيعان أن يمدا له يد العون.. أما الأخ ففيه الشباب وفيه الرجولة وفيه النخوة، ولهذا حينما غنت «فايزة أحمد» أغنيتها الرائعة «يا حبيبى يا خويا» نالت نجاحًا وشهرة؛ لأنها تعنى أن لها سندًا... واد حمش يقول لها إتلمى فتتلم فى سعادة وفى طاعة وفى رضا... أما الفتاة التى بلا أخ فتعانى الأمرين؛ حيث إن شباب الحتة كلهم يتقدمون متبرعين لنيل شرف الدفاع عنها والإحلال محل أخيها. وفى واقع الأمر هى طريقة خبيثة لتعليق البنت المسكينة التى بلا أخ..

وفى العصور السحيقة فيما قبل الميلاد، اعتادت الأخت أن تهاب

أخيها وتعمل له ألف حساب؛ حيث كان الأخ يعد بمثابة ولى العهد فى مملكة الأسرة المصرية وقد اختفت الآن من اللغة المصرية جمل كانت منتشرة فيما قبل مثل (واقفة بتعملى إيه فى الشباك) (إرمى اللبانة اللى فى بُقك دى) (إزاى تحطى إيدك فى إيد جوزك قدامى) ومرت الحقب وغزا الهكسوس مصر ثم جاء الإسكندر، ثم الفتح العربى حتى وصلنا إلى العصر الحديث وظهر الأخ الأسبور وكلمة أسبور بالإنجليزية، تعنى الرياضى، والحقيقة أن تعبير أسبور ليس دقيقا بما يكفى فالأخ هنا ليس رياضيا فقط، ولكنه مرن إلى أقصى الحدود أستطيع أن أسميه الأخ الجمباز وهو يمثل مع أخته جبهة فى وجه التقاليد البالية التى يعيش عليها أبوه وأمه.

وبينما كان الأخ قديما يجلس إلى جوار والده ليتناول الطعام فى كبرياء، بينما تأكل أختِه فى حجر أمها فى الحريم.. صار الأخ ملتصقا بأخته إلى أبعد حد.. صديقا لها يعرف سرها وتعرف سره... اسمع هذا الحوار.. الأخت جالسة فى حالة شرود.. يدخل عليها الأخ تامر مبتهجًا بعد عودته من ماتش الإسكواش فى النادى، فيبادرها ضاحكًا فى حب:

مالك يا چى چى ـ حاسس إن عندك شوية ديبريشن (وديبريشن هذه تعنى اكتئاب) شكلك بيل خالص (وبيل تعنى شاحبة) مش حاطة ميك أب ليه (والميك أب هو المكياج يعنى) فيه حاجة؟!

فترد چى چى فى أسى:

«ما أنت عارف يا تامر»..

فيضحك تامر فى خبث:

«يا عفريتة عادل بَرْضو» بتموتى فيه وعشان كده ح يفضل مِجنِّنك صدقينى.. إزبليه.. الرجاله كده.. أنا راجل وعارف...

الغريب أن علاقة الأخت چى چى بعادل لا تتعدى أنها علاقة حب يعنى جو كده.. لون يعنى!! ولكن البنت الحريصة أخفت هذه العلاقة عن الجميع، ولم تودع سرها هذا إلا تامر أخيها؛ لأنها لا تطمئن إلا إليه.. والذى جعلنى أخبط على جبهتى من فرط الغيظ.. ذلك المشهد الذى رأيته فى أحد الأفلام حب وكبرياء لزوج يحمل صور زوجته، ورجلا آخر يقبلها قبلات رهيبة ويعرض الصور على أخيها حتى يستنفر فيه نخوة الأخ فيرفع يده قائلاً:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى..

حتى يراق على جوانبه الدم..

فإذا بالأخ يمسك الصور ويتأملها جيدًا ويدافع عن أخته المظلومة قائلاً:

«ما تبص كويس يا أستاذ.. هل دى ملامح واحدة مبسوطة، وهى بتبوس... هل دى بوسة مستريحة؟! چى چى مظلومة ولازم تفهم كده من الصورة»..

بذمتك وحياة عينيك يا شيخ ولا ماتوعى تشوف بيهم. ده كلام يا أخ!! وتنهدت وأنا أكز على أسنانى قائلاً: أخ خ خ خ.

سَلم نفسَك.. المقال مُحاصَر

فى السينما يقتصر دور ضابط البوليس على الظهور فى نهاية الفيلم، وهو يصرخ فى المجرم المتحصن بأحد الأماكن:

سلم نفسك يابو دومة.. المكان محاصر..

ويستسلم أبو دومة وبجواره الغانية الحسناء زيزيت، التى ساعدته فى جرائمه طول الفيلم وكانت له خير معين ويقف «الدبور» مساعده رافعًا يديه فى استسلام.. أما حمودة الأخرس فيلطم ويبكى فى حسرة قائلاً:

أبا.. أبا.. أبا..

ويدخل ضابط البوليس ليمسك بأبو دومة، ثم يسلم على زيزيت شاكرًا إياها على المعاونة التى قدمتها للبوليس.. ويندهش أبو دومة وزيزيت تواجهه بشجاعة قائلة:

أنا الرائد نيفين شوقى مباحث المخدرات.

ويلتفت أبو دومة فى ذهول مصدومًا من هول المفاجأة إلى الدبور مساعده الذى ينبرى فى حركة استعراضية قائلاً:

وأنا النقيب حسام عبد المنعم يا أبو دومة..

مباحث.. يا نهار أسود ومنيل..

وتأتى المفاجأة الثالثة حينما يتكلم حمودة الأخرس بقدرة قادر قائلاً:

وأنا المقدم كمال عباس من الداخلية..

وينهار أبو دومة فى حسرة وقبل أن يضعوا الكلابشات فى يديه.. يقف فجأة وكأنه قد تذكر شيئًا ويواجه الضابط قائلاً:

ثانية واحدة يا حضرة الضابط أنا معرفتكوش بنفسى أنا العميد محمد أبو دومة من أمن الدولة.. وينظرون لبعضهم البعض فى دهشة.. أمال فين العصابة!!

ويبدو والله أعلم أن المشاهدين يعشقون المجرمين ويتعاطفون معهم؛ إذا يظل المشاهد يتابع المجرم على الشاشة فى شغف واستمتاع إلى أن يظهر ذلك الضابط هادم اللذات ومفرق الجماعات، ويقوم المشاهد مهرولاً خارج السينما بمجرد ظهور سيارة البوليس فى الفيلم.

ويصر المخرج فى كثير من الأفلام أن يلغى دور ضابط البوليس الإيجابى، ويجعل البطل هو الذى يخلص الموضوع بنفسه ويقبض على المجرم بعد معركة عنيفة ويكتفه. ويسلمه للضابط الأمور، الذى أتى فى نهاية الفيلم بعد الهنا بسنة. وفى الأفلام اتفق المؤلفون كلهم

على الجمل التى يقولها رجال البوليس فإذا كان الضابط ذا رتبة كبيرة سنراه وهو يتكلم فى التليفون يقول:

حاضر يا فَنْدِم.. تمام يا فندم.

ثم يستدعى الضابط الأصغر رتبة ويقول له:

الموضوع ده الوزارة مهتمة بيه جدًا.. خد قوة وروح اقبض على العصابة.

ثم يخرج سيجاره الضخم ويدخن منه وينظر فى شرود إلى الدخان.. وأفلام كثيرة يكون البطل فيها ضابط بوليس ولكن غالبًا ما يرفده المؤلف من الخدمة، حتى يصبح حر الحركة قليلاً ثم ينضم للعصابة ويعمل معاهم البدع ويشرب ويسكر ويزور ويقتل ويمشى مع الرقاصه. وفى النهاية نكتشف أن الرفد كان كده وكده، وأنه لا يزال فى الخدمة وسيترقى إلى رتبة أعلى كمان.. بالعِنْد فى العصابة.

وقديمًا كان رجل البوليس هو إحدى وسائل التخويف فى الشارع المصرى.. وكنا نخيف الأطفال بقولنا ح تسكت ولا أجيبلك العسكرى.. أما الآن فإذا حاولت أن تخيف طفلاً بقولك هذا سيرد عليك قائلاً.. عاوز واحد أسود وواحد أبيض..

وكان أى واحد فى زنأة يزعق بعلو حسه قائلاً:

يا شاويش.

ويأتى الشاويش الذى كان له شنة ورنة فى هذه الأيام بارمًا شَنباتُه يرج المنطقة كلها قائلاً:

هَعْ.. مين هناك.

ولكن عساكر هذه الأيام ربنا ما يوريك.. حالتهم الصحية والبدنية تصعب ع الكافر.. وحينما تراهم فى الشوارع مجموعات يرتدون الزى الأسود كأنهم بقاماتهم القصيرة وأجسادهم النحيلة خارجين لتوهم من حضانة البيبى سى للغات كى چى تو..

ولا يستطيع الشاويش اليوم أن يصرخ فى الليل البهيم صرخته الرهيبة.. هع.. مين هناك.. وهو معذور لأن التخفيض لم ينزل عليه وحده وإنما نزل على الجيل كله.. لا نعلم لماذا.. حتى انظر لأبطال السينما زمان.. يحيى شاهين.. أنور وجدى.. محسن سرحان.. حسين صدقى.. اللهم صلى على النبى كانوا يسدوا عين الشمس، أما نحن اليوم فأبطالنا يبدو أكبرهم بالكثير لسه واخد الإعدادية السنة دى..

النماذج التى قدمت لنا رجل الشرطة فى السينما محتاجة مننا وقفة..

أريد أن أرى رجل شرطة داهية، يفهمها وهية طايرة ولا يأتى متأخرًا كالعادة وإنما يأتى بدرى من أول الفيلم.. عندنا رجل شرطة فى بلدنا على أعلى مستوى ولا كولومبو ولا شرلوك هولمز

وغيرهمـا.. ولكننـا لا نـرى سوى عبـد العال والشاويش عطية.. لا مانع طالما أننا نضحك، ولكن على المستوى الجاد.. نحن فى حاجة إلى أن نرى الصورة الحقيقية..

لا أعلم لماذا وأنا أكتب هذا المقال تخيلت أن قوة كبيرة دخلت علىا، وهم يشهرون أسلحتهم فى وجهى قائلين:

سلم نفسك يا معاطى.. المقال محاصر من كل ناحية.

النجم فى الأوتوبيس

امرأة سمينة بعض الشىء.. مرحة.. تجر كلبًا نظيفًا وتقترب من الجمعية الاستهلاكية.. تشترى جبنًا وزيتونًا وبسطرمة.. هذه المرأة البسيطة تعمل أزمة فى الجمعية.. ليست أزمة زيت أو سكر.. أزمة زحام.. يلتف حولها الناس يسعدون برؤيتها.. يشيلونها من على الأرض شيل.. يبادرها أحدهم بقوله ضاحكًا.. أنتى جاية اشتغلى إيه!! وينفجر الجميع فى الضحك.. هذه المرأة هى مارى منيب.. هكذا بمنتهى البساطة نزلت لتشترى البقالة.. مشهد حقيقى لتلك النجمة الأسطورة.. ممتلئ بالعذوبة والجمال..

ورجل يركب الأتوبيس الفاضى.. الذى يسير فى الشوارع الجميلة الفاضية.. السائق يضحك بمجرد أن يراه.. ويوقف الأتوبيس ثانية ليسلم عليه.. والركاب لا ينزلون فى محطاتهم سيستمرون معه حتى ينزل.. إنها فرصة لا تعوض.. حالة من البهجة والألفة فى الأتوبيس.. والنبى تغنيلنا حاجة.. وبكل تواضع يغنى.. إدينى

بقرش لب.. اتسلى عشان بحب.. وحبيبى شغل كايرو مفيش فى القلب غايره.. ويصفقون معه.. ويتمايلون طربًا. هذا الرجل بيعت تماثيله بعد الحرب العالمية من فرط جماهيريته، وكان نجمًا شعبيًا مهولاً.. إنه.. شكوكو طبعا.

وزكى رستم.. الممثل الجبار.. يتمشى فى شارع قصر النيل، ويسلم على المارة ببساطة شديدة إزى الصحة يا زكى بيه.. ويرد بتواضع عال.. عال.. ومقهى فى عماد الدين يجلس عليه الريحانى والقصرى وشرفنطح.. والناس رايحة جاية يحيونه: سعيدة يا سى نجيب.. أهلاً يا سيدنا الأفندى.. ثانية واحدة.. ومن هذا المعجبانى الذى يتمخطر فى مشيته، واضعًا الوردة فى عروة الچاكته ويدندن وعايش مع نفسه.. محمد عبد القدوس.. قطعة السكر التى فى الأفلام.

أين ذهبت هذه الأيام؟! أيام النجوم الفطاحل.. وكيف كانوا بهذه السلاسة يتمشون فى الشوارع وينخرطون بين الناس.. هل كان النجم الذى فى عنان السماء يستأذن السماء قليلاً وينزل إلى الأرض.. بين الناس.. هكذا بلا بودى جارد ولا مدير أعمال.. ولا أحد يحمل البالطو وآخر يولع السيجارة وثالث يرد على الموبايل؟! ولماذا بودى جارد والجمهور كله كان بودى جارد للفنان.. الشوارع جميلة.. والناس جميلة والألفاظ جميلة.. ومصر كلها فيها ست سبع عربيات.. لم يكن الفنان فى حاجة إلى هوجة تمشى وراءه.. لأنه هو نفسه كان هوجة فى حد ذاته.. ولكنه بعد أن يمثل

يصبح بنى آدم عادى.. حقيقى.. ينزل إلى الشارع.. نفسه هفته على كوز دره مشوى.. ماشى.. شوب عصير قصب ما يمنعش..

أتصور مثلاً.. أن تمشى مادونا أو شارون ستون وخلفها كتيبة من القوات الخاصة لحمايتها من الجهور المتكالب عليها.. وهذا ليس من فرط حب الناس لأعمالها.. ربما لحمايتها من شر أعمالها.. فواحدة زى مادونا لو نزلت تحت الربع أو مساكن زينهم.. ح تتقطع.. من غير حتى ما يعرفوا أنها مادونا.. وظاهرة البودى جارد أصبحت موجودة فى العالم كله.. ربما لأن الدنيا مَعَدش فيها أمان.. وأنا شخصيًا بدأت أشعر بالخطر.. زَلَطة تِرْشق فى دماغى.. حد يكعبلنى وأنا ماشى.. من يدافع عنى وأنا ليس فى يدى سلاح سوى القلم.. وفكرة البودى جارد.. فكرة مادية بحتة.. فهو رجل يدافع عنك ويأخذ أجره.. لا يحبك ولا يخاف عليك.. ويحكى أن البودى جارد الخاص بكيسنجر كان جالسًا واضعًا قدمًا على قدم فى ألاطه وكيسنجر معدى.. والبودى جارد قاعد فى مكانه لا قام ولا اتحرك.. وسأله أحد الصحفيين.. كيف يمر أمامك كسينجر هكذا ولا تتحرك.. فأجاب البودى جارد.. الساعة ٦ دلوقتى.. أنا الحارس بتاعه من ٩ صباحًا لحد الساعة ٤ بعد كده انسانى وخد عنوانى..

وحتى المرأة اقتحمت هذا المجال.. وبدأنا نرى ستات يقفن خلف النجم.. مدججات بالسلاح.. يا ساتر يارب.. وأنا شخصيًا جال

بخاطرى أن أستأجر امرأة لتصبح الحارس الخاص بى.. لا لتحمينى من أحد.. وإنما لتحمينى من نفسى الأمارة بالسوء.. وصار البودى جارد مظهرًا من مظاهر الأبهة والفخفخة.. أى مطرب تنجح له غنوة.. يجيب البودى جارد بتاعه.. ممثلة ثانوية تعمل مشهدًا فى مسلسل.. تتفق مع البودى جارد فى الأول.. والشغلانة مربحة جدًا.. ولا تتطلب إمكانيات خاصة سوى أن تكون ضلفة باب.. عضلات مفتولة.. ونظرة ميتة تتجول فى المكان.. والشغل مش عيب.. أمريكا نفسها اشتغلت هذه الشغلانة.. المشكلة أنها حراءة أوى فى الفاتورة.. بس كل برغوت على أد دمه.. وأنا بصراحة.. على أد فلوسى كده.. استطعت أن أدبر لنفسى ـ من نفسى ـ بودى جارد على أدِّى كده.. يقف ورائى فى غموض.. فى كل مشوار أنا رايحه.. صحيح أنه ليس مفتول العضلات لكن حنين فى المرتب.. صحيح أنه لا يمتلك تلك النظرة الميتة المرعبة.. وإنما كان عنده للحق نظرة زائغة قريبة جدًا من النظرة الميتة.. صحيح أنه ليس ضلفة باب وإنما لا أنكر أنه لا يقل عن شُراعة.. وأخيرًا.. أصبحت ممن يمشون ووراءهم تلك الهيصة المحترمة من الحرس.. ولكننى إحقاقًا للحق.. لم أتمتع كثيرًا بحارسى الخاص.. إذ كنا نقضى معظم اليوم فى قصر العينى فى عنبر ٣ إذ كان لا يتحمل الشمس ولا المشى ولا أقل مجهود وكان عنده أنيميا حادة.. باختصار بعد فترة من الوقت شعرت أننى أنا.. البودى جارد بتاعه.

كتّاب شارع الهرم

لماذا صارت موضة أن تظهر الراقصة
بشكل فج وتتكلم ببجاحة وتقتحم أى حد
بمنتهى الجرأة فلا يوقفها أحد ولا يردعها
رادع.. لماذا يعطونها الصلاحية لكى
تكلمنى أنا الفقير إلى الله بالعين والحاجب،
وبأشياء أخرى وبعد فاصل من الإسفاف
والقباحة حين تحيى الجمهور هى وفرقتها
لماذا تنحنى فى خشوع، وكأنها تحيى مصر
أو تؤدى عملاً وطنيًا.. ولماذا إذا ضبطتنى واضعا يدى على خدى
كما فى الشكل ٥ (انظر الصورة) تمسكنى تريقة.. مالك.. شايل
طاجن ستك ليه؟! وتتهمنى بتبويظ الجو برغم أن أيدى التى على
خدى هذه كما تعلمون عيب خلقى ولدت به.. أتصور أن تمسك

الراقصة بالصاجات، ولكن أن تمسك بالميكروفون وتعمل توك شو من طرف واحد. فهذا ليس عدلا..

ولأن الأيام دول.. اليوم لك وغدا لى وغدا تدور الدوائر.. وثبات الحال من المحال.. فأنا أتصور.. أقصد يعنى أتخيل أعنى أننى أخرف.. وأتساءل.. هل سيأتى يوم سيحظى فيه الكاتب بما تحظى به الراقصة؟!! يا عينى.. سنستولى نحن أصحاب القلم على شارع الهرم.. وكازينو الليل سيصبح اسمه منتدى العقاد وكازينو البارادى.. سيصبح اسمه كازينو كرمة ابن هانئ.. والأندلس سيصبح اسمه كازينو الشعر العربى.. أتخيل نمرتى فى النايت كلوب.. يطلع صاحب المحل ليقدمنى. بكلمتين فقط.. والآن مع يوسف معاطى. وأطلع على المسرح.. وأواجه الجمهور بخجل ثم أقول.. الحقيقة أنا مش أد الكلام الكبير اللى قدمنى بيه صاحب المحل.. أنا ما استاهلش كل ده.. حقيقى.. هوه بالغ شويه.. واسمحو لى أحيى كل اللى شرفونا الليلادى.. من السعودية الشاعر الأمير عبد الله الفيصل ومن الكويت الشاعرة سعاد الصباح.. ومن لبنان الشاعر الكبير نزار قبانى.. (تصفيق حاد) وباحيى مصر وكل فنانيها وشعرائها.. وبعد أن أشعوذ الليلة بالتحية.. ألف وأنظر إلى الفرقة.. فرقتى على فكرة مجموعة من الأدباء الشبان.. وبعد أول مقالة ساخرة اقرأها على الزبائن.. تهيـص الصالة وتبدأ النقطة.. والنقطة فى كباريه الأدب والشعر..

لا تلقى على الفنان كما هو متبع وإنما يمكن أن تكون النقطة اشتراكًا سنويـًّا فى دورية ثقافية أو موسوعة هامة فى التاريخ.. وإذا كان الزبون مريش قوى ومثقفًا حقيقيـًّا يمكن أن ينقطنى بالأغانى لأبى الفرج الأصفهانى.. أما الزبون الجاهل فبالتأكيد ح ينقطنى بسُكاته.. بعد المقالة الساخرة.. نخش بقى ع الصهللة الجامدة.. أوى.. قصيـدة شعـر عمـودى.. يـا سيدى.. السـهر يحب الحاجـات دى ياأخواننا.. أنا سَهِّير قديم.. بعد ذلك تبدأ فرقتى فى عزف صولوهات.. عزف منفرد يعنى يقوم به كل أديب شاب. ده يعمل لنا حتة قصة قصيرة.. وده زجل عامى والصالة تكاد تنفجر من فرط المتعة.. ولكن.. يشير لى مدير المسرح أن انتهى بسرعة من الفقرة.. لأن النمرة اللى بعدى جاهزة.. وهى نمرة خطيرة.. مع الفنان الرائع.. حسام حازم.. أنهى فقرتى بسرعة ففى كباريه الأدب أصول برضه.. وأخرج وأسلم عليه وأقبله بسرعة لأن عندى نِمَرًا ثانية.. وقبل أن أخرج نتقاسم كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى.. الثلث يأخذه صاحب المحل وأنا الثلث والفرقة تأخذ الثلث.. ونركب الميكروباص أنا والفرقة وطيران على كازينو الجاحظ.. لازم نكون ع المسرح أربعة وربع.. هكذا طول الليل. حتى يطلع الصباح أذهب فورًا إلى أى أوتيل لأكتب قصة جديدة.. أو مقالاً أو قصيدة فزبائن كازينوهات الأدب والفن لا يطيقون التكرار.. يحبون التجديد.. بعكس زبائن كازينوهات هذه الأيام..

وليس معنى أن النقطة كتبًا ثقافية تضاف إلى رصيد مكتبتى أن الأديب لن يكون مسيور الحال.. ستباع القصائد بألاف الدولارات والمقالات والقصص القصيرة ستمثل ثروة..

وستصبح الراقصة وقتها مشروعًا فاشلاً.. أشبه بكاتب فى أيامنا يطبع كتابًا على حسابه فيخسر فيه الجلد والسَّقط.. أما الأدباء والشعراء فسيأكلونها والعة.. وفى الصعيد الجُوَّانى سيتربصون بعطيات ابنتهم لأنها انحرفت واشتغلت أديبة.. ولن يعمل بوليس الآداب فى كباريهاتنا.. كيف ونحن كل شغلنا فى الآداب والفنون.. ربما يضعون رَقيبا على المصنفات فى كل نايت كلوب أو ناقدًا فنيا. وستحرر المحاضر للشعراء الذين يكسرون.. الوزن.. ويخرجون عن البحر والتفعيلة.. والدِّيسكوهات ستغلق أبوابها أيضًا.. ستتحول إلى دُور للترجمة.. ويهمس لى صديقى (الفلانى): أنا رايح ديسكوتيك تشيخوف.. فيه حته بت مترجمة هناك حكاية.. ومع ارتفاع المستوى المادى والثراء الفاحش للأدباء وأصحاب القلم، لن تجد الراقصات لهن عملاً ولا مورد رزق، اللهم إذا فرجها ربنا برقصة هنا أو هناك فى قصور الثقافة أو فى معرض الكتاب الدولى.. يا سلام.. ما هذا النعيم..

وألتقى بالصدفة بزميلة الدراسة.. سهير.. واقفة فى الشارع فى عز الحر تشير إلى ميكروباص ليوصلها إلى بشتيل حيث تسكن، اركن بسيارتى الفارهة وأناديها.. سهير يا للصدفة الجميلة.. اركبى عشان

أوصلك.. تركب بجوارى.. الشقاء فى عينيها والفقر.. ورجليها مشققة من المشى إيه يا سهير.. إيه إللى حصل... وبتشتغلى إيه دلوقت.. تجيب فى أسى.. رقاصة.. أمد يدى وأخرج عشر بواكى من تابلوه العربية وأدسهم فى يدها، تمتنع فى البداية ولكننى أصر.. خلاص بأه عيب.. أنا عموما لن أتركك.. أعطيها (بدائع الزهور فى وقائع الدهور) لابن إياس. وأتحفها (بالبخلاء) للجاحظ.. و(العقد الفريد) لابن عبد ربه.. بمجرد ما أن ترى سهير أمهات الكتب هذه.. توطى على يدى لتقبلها. فأسحبها بسرعة.. وأقولها.. خلصيهم أنتى بس.. واستوعبيهم كويس.. وأنا إن شاء الله أشوف لك شغلانة معايا فى الكباريه.. وفى كباريه الأدب والفن.. لا يعتزل الأديب حينما يشيخ ويترهل جسده. بالعكس تصبح نمرته مطلوبة أكثر.. إلا إذا توقف عن الإبداع، وحتى إذا حدث هذا لا ينفض عنه الزبائن والمعجبون كما يحدث فى الكباريهات العادية.. لا.. يعتبرونه رمزًا.. ويظل قيمة كبيرة حتى إذا لم يقدم نمرته.. بل ويعيدون طباعة أعماله وقراءتها على الزبائن.. وتجد لها صدى كبيرًا. ما هذا الجمال.

حتى سائقى التاكسى الذين يأخذون الزبائن إلى الكباريه لا يستغلون الزبون ويقولون له.. ٥٠ جنيه.. عشان بأرجع فاضى.. هذا كلام لن يحدث فسائق التاكسى سيكون على درجة من

الثقافة والوعى، وسيكتفى من الزبون غالبا بمناقشة على مستوى رفيع حول الشعر المنحول أو تطور القصة القصيرة.. عشان يجيب حق البنزين.. الله!! يا عينى.. يا سيدى..

وأفقت على وكزة من صديقى.. يزغدنى.. فإذا بى فى الكباريه.. والراقصة أمامى.. وهى تمارس معى التوك شو التقليدى.. مالك يا أستاذ.. ما تفكها.. اللى واخد عقلك.. هى عند أمها وإلا إيه.. (وينفجر زبائنها فى الضحك) لأكتشف أننى عدت للأسف.. للأسف الشديد للواقع المرير الذى أعيشه.

❁ ❁ ❁

تكسب يا «أوسمان»

لا يوجد فيلم عربى قديم لا يوجد فيه عثمان (أوسمان) كما كان يسمى نفسه، وهذا البربرى الذى كان قاسمًا مشتركًا فى جميع الأفلام محتكرًا بلا منافس دور الخادم الأمين فى قصور باشوات الأفلام القديمة كان مثالاً فى الوفاء وفى التضحية.. وكان يسلف سيده إذا استدان وأعوزه الفقر إلا أنه كان خلقه ضيقا ويزهق بسرعة وروحه فى مناخيره، وفى الوقت نفسه كان الصدر الحنين لسيده البك الذى يعانى من حب الهانم التى لا تسأل فيه.. وكان أوسمان يتأسى لحالة (سيدى البيه)، ويعانى هو الآخر فى المطبخ من جفاء الخادمة وطناشها له.

وشخصية عثمان هذه كانت شخصية جاهزة للمؤلف الذى يكتبها.. وأحد معالم شخصيته هذه هو بطء الفهم، ولذا نرى دائمًا مجموعة من البرابرة يتناقشون فى موضوع ما.. وكلهم يتحدثون فى الوقت نفسه.. ولا يسمعون بعضهم بعضا.. والغريب أنهم يصمتون

أيضًا معا ليلتقطوا أنفاسهم قليلا ويعودوا مرة أخرى للكلام فى الوقت نفسه والحقيقة أن هذه الطريقة فى الكلام اتبعت بعد ذلك، وصارت منهجًا سياسيًا فى التحاور احتذى به مجلس الشعب نفسه فى مناقشة قضايا مصيرية، ولذا لا أعلم لماذا تصورت عثمان واقفا على باب المجلس يهتف لمديحة يسرى.. أهلاً وسهلا يا ستو هانم.. الزومبليطة فى الصالون (فى المجلس يعنى) ومعظم البرابرة اشتغلوا فى مصر خدمًا فى القصور أو بوابين.. وسأقول لك لماذا.. لأنهم فى غاية الكسل فمثلاً فى القصور لم يكن عثمان طباخا أو يمسح الشقة ويكنسها، أو يبذل أى نوع من أنواع الجهد.. كان فقط مرافقًا لسيده البيه يبكى لأحزانه ويفرح لأفراحه فكان تقريبا يحمل له حقيبته يمشى وراءه أو بالكتير يعمل سفرجيا يضع الأطباق على الترابيزة، وعلى بوابات العمائر جلس عثمان واضعا قدما على قدم من صباحية ربنا وحتى صلاة العشاء وكل ما يفعله هو أنه ينزل رجل من على رجل ويرفع يده اليمنى محييا سعادة البيه اللى طالع.. ويقول لعثمان الآخر الجالس بجانبه.. دى يبقى «هالد بيه همدى راجل كويس هالص».

ولأنه كسول وبطئ الفهم.. وكنوع من الدفاع الذاتى عن خطئه التراجيدى، جعل لنفسه مخالب أطلق عليها «زربونة» وصدقناه وكان يتزربن علينا ونسكت ونقول أصل دمه حامى.. والزربونة لما بتطلع ما بيشوفش قدامه، والتعامل مع الخدم فى الأفلام كان تعاملاً غريبًا

ومحتاجًا لدراسة، فالخدم أنواع.. فإما أن يكون خادمًا صريحًا بالأجر مثل عثمان هذا، وإما أن يكون خادمًا مستترًا.. أى صديق البطل ولكن البطل يمرمطه ويبهدله ويبيع ويشترى فيه ليل ونهار.. أما النساء فمنهن درجات مختلفة من الخادمات إما أن تكون ست كبيرة ترتدى طرحة بيضاء، ودورها فى الفيلم لا يتعدى ثلاث دعوات وجملتين (ربنا يخليكى يا بنتى.. أشوفك فى بيت العدل يا حبيبتى.. استرع اللى فى بطنها ده يارب. يا دى الفضيحة.. ما تحمليش هم يا بنتى أنا ح أربيهولك..) وينتهى هنا دور الدادة نهائيًا. أما إذا كانت الخادمة صغيرة فى السن فغالبا تكون بنت (لونة) مولعب يعنى.. ترتدى أشياء لا تمت للخادمة بصلة.. وفى ٩٩٪ من الحالات يقع صاحب البيت فى براثنها وتكشفه الزوجة مع الخادمة وتطلب الطلاق.. أما الحالة النادرة التى تحدث بنسبة ١ ٪ فقد حدثت مع صديق لى إذ اكتشفته الخادمة نائمًا بجوار زوجته، فطلبت حسابها وتركت لهما البيت.. وحاول صديقى بعد ذلك أن يصالحها مقسما لها أنها كانت لحظة طيش ولم يكن داريا ساعتها بما كان يفعل؛ إلا أن الخادمة أصرت على موقفها وطلبت الحساب بالتلاتة.. أى ثلاثة أضعاف حسابها الحقيقى.. حيث كانت اللعينة قد حسبت عليه كل الأوفرتايم الذى عملته حينما كانت زوجته خارج البيت. وهى نقطة للحق تحسب على الخادمات فى صالح الزوجات.

وفى نهاية القرن العشرين اختفى عثمان واختفت الدادة واختفت

الخادمة اللعوب من الواقع الاجتماعى، وحل محلهم الفلبينية والسريلانكية والتايوانية.. وكلها محاولات لتقليد اليابانية الأصلية (فتاة الجيشا)، التى ضربت مثلاً فى الطاعة والراحة للرجل.. وصارت الفلبينية هذه رمزًا من رموز الأبهة والفخفخة فى العصر الحديث.. لكنى لا أتوقع أن يكون للخادمة الفلبينية نفس القبول والجماهيرية نفسها التى نالها (أوسمان) فى أفلامنا، ربما لأنها تتكلم لغة غريبة علينا وربما لأن ملامحها غريبة علينا.. ولكن الأهم من كل هذا أنها لا تستطيع أن تعوض خفة ظل هذا النوبى الأسمر الجميل.

ومع هذا فصديقى الطبيب المشهور التى كانت تعمل عنده خادمة فلبينية وحدث أنها تشاجرت مع زوجته مشاجرة رهيبة مرضت فيه الزوجة بعدها. وصرخت فى زوجها يا أنا يا هيه فى البيت.. واضطر صديقى الطبيب أن يضحى بالأم لكى يعيش الأطفال واحتفظ بالفلبينية طبعا.

❁❁❁

ع الأوبرا.. يا بوى!

لماذا لا يذهب «داد» إلى الأوبرا؟!

و«داد» هذا شاب صعيدى مفتول العضلات، اسمه الحقيقى «جاد»، ولكنهم فى هذه البقعة النائية من الصعيد لم يصل إليهم حرف الجيم بعد. وداد عبد المودود لا يقرأ ولا يكتب وعاش حياته كلها يعمل من كد ذراعيه، يحمل أشياء من أسفل إلى أعلى أو من مكان إلى آخر.. وتزوج وأنجب ما شاء الله نصف دستة من الأطفال.. ويشاور عقله هذه الأيام فى أن يتزوج من أخرى.. نعود للسؤال الأول.. وهو ليس سؤالى، وإنما طرحه بعض المثقفين إبان افتتاح دار الأوبرا.. قالوا إن من حق الإنسان المصرى أن ينتفع بهذه الدار الثقافية ولذا فلا يجب أن يشترط الدخول بالملابس الرسمية حتى لا يصبح مقصوراً على طبقة واحدة هى الطبقة الارستقراطية التى تمتلك البدل والكرافتات والسواريهات والبارفانات. من حق الطبقات الكادحة أن تذهب إلى الأوبرا، وأن ترى باليه جيزيل والأميرة النائمة وأوبرا لاترافياتا إذا لزم الأمر.

والله كلام جميل، وسَرَح خيالى المريض لأتخيل «داد» وهو ذاهب إلى الأوبرا مصطحبًا صديقه وجاره، ووِلْد عمه اللدود هريدى، وهما يستقلان ميكروباس الأرياف الجميل المثقل بالقفف والأقفاص والناس أيضًا.. ويطل السائق من نافذته والسيارة لا تزال ماشية:

على فين يا بلديات؟

ويجيب داد وهريدى فى الوقت نفسه، وهما يهرولان خلف الميكروباس:

ع الأوبرا يا بوى..

فى الميكروباس كان السائق مندمجًا مع الشيخ ياسين التهامى وتواشيحه الجميلة، ثم أراد أن يفرفش الركاب فوضع لهم شريطًا جديدًا لمطرب كداب يا خيشة يقول فيه.. أنا بحب الحمار.. بجد مش هزار وصفق الجميع، وتمايلوا مع المطرب الذى يحب الحمار..

وهمس داد لهريدى:

ع نشوف إيه يا هريدى فى الأوبرا النهارده؟!

فأجاب هريدى فى اقتضاب:

الأميرة النايمة..

وسرح داد بعيدًا ثم عاد ليسأله:

ع نشوفها وهيه نايمه!!

فأجاب هريدى:

ما خَبِرْش. على ما نوصل تكون صحيت.

وبعد أن قطعا التذاكر جلسا على مقهى كتكوت لشد نفسين معسل، وحتى يضيعا الوقت إلى أن يحين موعد العرض فى الأوبرا.. جلس بجانبهما الأسطى شعبان السباك، وهو ينظر فى ساعته متململاً وبادره داد قائلاً:

ع تبص فى ساعتك يعنى؟! على فين العزم؟!

فأجاب شعبان السباك: ٠

لا مؤاخذة يعنى أصلى قاطع النهادة فى الأوبرا والواد الصبى بتاعى معاه التذاكر، وما شفتش وشه من صبحية ربنا..

ودخل الصبى ممسكًا بالتذاكر، وهو يرتجف وقام شعبان وانهال عليه ضربًا عليه:

أنت مش ح تبطل الحركات دى يا روح أمك أنت ما حرمتش م المرة اللى فاتت أنا قلت ما فيش أوبرا إلا ما نخلص أكل عيشنا..

والتفت إلى داد قائلاً:

الواد الأسبوع اللى فات سَهَّانى وراح يحضر بحيرة البجع.. دخلت جيبته من زُمَّارة رقبته من جوه الأوبرا.. كنت ح اطلع روحه فى إيدى.. وبعدين يا جدعان أنا مش حارمه من حاجة.. أنا لسه

موديه كسارة البندق مفيش أسبوعين.. هو كده ابن مَهْروشة.. غاوى تشايكوفسكى.. كيف عنده..

وتدخل زبائن القهوة ليخلصوا الصبى من يد الأسطى شعبان، وخرج المعلم صاحب القهوة غاضبًا:

«ما تفضوها سيرة بقى يا جدعان انتوا كل يوم خِناق»..

وكعادة أولاد البلد الكرماء فى الحال، هدأ وقال فى شهامة:

خلاص يا إخواننا المشاريب كلها عندى، وكلكم معزومين على حسابى فى الأوبرا الأسبوع اللى جاى..

وهمهم الحاضرون:

تعيش يا معلم. وقال الصبى المسحوب من لسانه:

أنا مش أجى يا معلم.

ولكزه الأسطى شعبان قائلاً:

ما ترفضش عـزومة المعلم ياد.. عـيب.

فقال الصبى فـى بجاحة:

يا جماعة الأسبوع اللى جاى اللى المعلم عازمنا فيه.. الأوبرا ح يبقى فيها باليه الدانوب الأزرق وده بتاع شتراوس.. وأنا موتى وسِمِّى شتراوس أنتوا لو تأجلونى لتشايكوفسكى.. أنا تحت أمركم..

فى الأوبرا.. فى الصف الأول كانا جالسين داد وهريدى.. كان داد برغم جلوسه فى الصف الأول ممسكًا بنظارة مكبرة معظمة، كالتى يمسكها رواد البلكون.. ماذا كان يفعل بها وهو فى الصف الأول وبينه وبين الأميرة النائمة أقل من نصف متر الله أعلم!! فى الصف الثانى جلس الأسطى شعبان والصبى ومعلم القهوة وبعض الزبائن.. ومر فى الطرقة التى بين الصفوف ولد يمسك بصينية عليها أكواب الشاى والمثلجات، وهو يقول ويخبط بملعقة على الصينية.. شاى.. بيبس.. حاجة ساقعة.. ساندوتشات.. واستطاع هذا الولد بصوته المزعج وإلحاحه المميت.. استطاع وحده ـ وبلا معاونة أحد ـ أن يوقظ الأميرة النائمة من نومها لتغلق الستار وتعتزل الأميرة الباليه مدى الحياة..

هذا ما حدث حينما ذهب داد إلى الأوبرا.. بالله عليكم لماذا يذهب داد إلى الأوبرا؟!!

جواز مع النفاذ

بعد الزفة.. والعوالم.. والفرح.. يدخلان حجرة النوم.. العروسة بفستان الزفاف.. والعريس ببذلة الزفاف.. تجلس العروس على السرير والعريس يظل واقفا.. تمر فترة من الصمت.. ينظران إلى بعضهما بعضا.. وفجأة تقول له:

سنمثل أمام الناس أننا فى منتهى السعادة.. سنتظاهر بأننا نقضى شهر العسل فى منتهى الحب.. ولكن بيننا وبين بعض..

ويقاطعها العريس قائلاً:

إنتى مراتى قدام الناس بس.. إنما هنا.. إحنا أغراب عن بعض.. عن إذنك:

ويأخذ اللحاف.. والمخدة والبطانية ويذهب لينام بره.. ع الكنبة.. وأتساءل.. لماذا دائمًا العريس هو الذى ينام بره.. ولماذا يترك حجرة النوم الجديدة ببوشها للعروسة.. برغم أنها غالبا ما تكون هى سبب هذه القطيعة ليلة الزفاف.. لأنها إما أن تكون على

علاقة بواحد تانى قبل الزواج وكاشفت زوجها بذلك فى ليلة الزفاف.. هكذا تقول له بمنتهى الغتاتة.. أنا كنت بحب ابن عمتى أرجوك.. ابتعد عنى.. لا أستطيع أن أعطى جسدى لغريب لأننى أشعر أننى ألقى به فى البحر، وأحيانًا يتزوجها ليستر عليها لأن الذئب الذى عمل عملته سافر إلى أوروبا ليحصل على الدكتوراه.. وده وقت دكتوراهات يا دكتور برضه!! مش لما تشوف الماجستير اللى أنت سايبه ومسافر ده.. والحقيقة أننى أجد المؤلفين والمخرجين يعطون قيمة للمظاهر لا أفهم لماذا؟!

أريد أن أرى مشهدًا جديدًا فى ليلة الزفاف.. يدخلان حجرة النوم.. تجلس العروس على السرير والعريس بجوارها ويقول لها:

إنتى مراتى بينى وبينك بس.. إنما قدام الناس إحنا أغراب عن بعض!!

وغالبا ما نجد العروس التى تتزوج، مع إيقاف التنفيذ للظروف التى شرحناها سلفا والتى هى المفروض لا تريد شيئًا من عريسها سوى أن ينفذ المظاهر.. ترتدى قمصان نوم رهيبة «مكشوفة» مقورة.. وتروح وتجئ أمامه وهما وحدهما فى البيت.. طيب أغراب عن بعض إزاى بس.. وغالبًا ما تلتوى قدم العروس وهى طالعة على السلم وتصرخ أى.. رجلى..، ويجرى عليها العريس بدافع الشهامة طبعا ليدلك لها رجلها المجزوعة.. وتلتقى نظراتهما ولكن.. يتذكران الشرط الرهيب.. فيبتعدان عن بعضهما.. وحينما

يخرجان معا أمام الناس يعنى ليمثلا المظاهر تسوق فيها العروسة.. تقبل عريسها وتحتضنه... وتراقصه.. وتغار عليه من طوب الأرض وكل ده.. المفروض إنه كده وكده يعنى.. وما أن يدخلا البيت ترسم العروسة تكشيرة مفتعلة وتقول له:

الحمد لله.. بابا وماما ما حسوش بحاجة.. ويقول العريس لنفسه لكن أنا حسيت بحاجة.. ثم يقول لها ملمحًا فى خبث:

ما رأيك أن نذهب إلى البحر.. الميه بيقولوا حلوة دلوقت..

وغالبًا ما تتأجج مشاعر الذئب الذى عمل عملته، والذى هو السبب فى المشكلة والسبب فى الفيلم كله.. وتحلو العروسة فى عينه بعد الزواج ويبدأ فى تدمير حياتها مع أنها كانت قدامه.

ويصبح الفيلم كله انتظارًا منا نحن المشاهدين لأن يصبح الجواز مع النفاذ.. فنجد العروس والعريس يمارسان حياتهما الزوجية كاملة.. أكل شرب.. زيارات للأقارب.. عزومات فى البيت.. حياة متكاملة لا ينقصها إلا الحتة دى.. وكأن الحتة دى فقط هى الزواج.. ولا أعتقد أن هذه التيمة ستصلح بعد ذلك، ولن تتواءم مع جيل فتيات الفيديو كليب فلقد تغيرت روح العصر.. فى ليلة الزفاف.. سيدخلان حجرة النوم.. ستقول له العروسة بعد أن غيرت ملابسها:

شوف يا باشمهندس نريد أن نظهر أمام الناس وكأننا سمن على عسل علشان منظرنا قدام الناس..

سيسألها العريس:

وهنا؟! فى البيت ح يبقى إيه النظام..

ستقول له العروس:

هنا عايشين حياتنا برضه علشان منظرك أنت قدامى بأه!

والتمثيل فى الحياة أصعب من التمثيل على الشاشة.. فالافتعال والتكلف فى الحياة يصيبنى بالغثيان.. وإحقاقا للحق المرأة أشطر من الرجل بكثير فى حكاية التمثيل فى الحياة هذه.. الراجل يتهرش بسرعة.. أما المرأة فلها وسائلها.. اذكر أن راقصة أقنعتنى ذات يوم أنها لم تعرف رجلاً فى حياتها.. وصدقتها.. واكتشفت بعد ذلك أنها لم تعرف رجلاً فعلاً.. كلهم كانوا شباب صغيرين.. وأخرى كان وجهها مضيئًا من فرط براءتها.. وعيناها تلمعان ببريق غريب.. وصدقت لمعان عينيها.. وبعد منتصف الليل رأيتها ولكن هذه المرة كانت تلمع كلها.. فى نايت كلوب.. وثالثة قالت لى إنها من ضحايا الثورة.. على أساس أن عائلتها كانت تنتمى إلى باشاوات ما قبل الثورة.. وحينما ذهبت إلى بيتها اكتشفت أنها ليست من ضحايا الثورة، وإنما من ضحايا الزلزال.. وأخرى كانت على وش خطوبة، وقبل أن يأتى العريس إلى البيت عشان يتكلم.. استدانت من طوب الأرض وأجبرت أهلها أن يبيضوا الشقة ويشتروا طقمًا جديدًا عشان برضه العريس.. يتخض.. يذكرنى هذا بديكورات واجهات المحلات التى يغيرونها فى المواسم لجذب الزبون.. وجاء الزبون

العريس يعنى، ولكنه لم يتكلم.. بص له بصة.. وقال لهم.. ح ألف لفة وأرجع لكوا.. ولم يترك حتى عربونا ليحجزوا له العروسة..

أعزائى.. لا أتصور أن نبدأ حياتنا بتمثيلية.. هذا ما كنت أنصح به صديقى البرنس.. وهو ليس برنسا ولا حاجة.. وإنما هو شاب ضاربه السلك.. قلت له:

يا برنس.. لا تقل لحبيبتك أنك تسكن فى الزمالك ع النيل.. قل لها إنك من العمرانية ع الترعة.. لا تقل لها إن والدتك تشغل وقت فراغها فى الجمعيات الخيرية، وإنما قل لها إن والدتك تتلقى المعونات من الجمعيات الخيرية.. لا تقل لها إنك والعائلة تفضلون دائما أن تفطروا إفطارًا جماعيًا فى الهواء الطلق.. قل لها إنكم زبائن مستديمين على موائد الرحمن.. الوضوح.. والصدق يا برنس.. هما الطريق الوحيد لقلب البرنسيسة حبيبتك..

وذهب البرنس وعمل بنصيحتى.

تريدون طبعا أن تعرفوا النتيجة.. لا داعى لهذا الذى يدور فى أذهانكم.. البرنس زى الفل ومفيش أى حاجة.. أنا فقط مُقَصِّر فى زيارته بعض الشىء بسبب مشاغلى.. كما أنهم فى الخانكة لا يسمحون بإطالة الزيارة.. ولا يسمحون بدخول أطعمة من الخارج.

بنااااادى عليـ ى ى ى ك

خلاص.. لم تعد فى أفلامنا شخصية الأب المشلول المقعد على كرسى متحرك والمتدثر ببطانية صوف فى عز الحر، يغطى بها قدميه بعد أن قام المؤلفون والمخرجون بعلاج طبيعى لهذه الشخصيات جميعًا.. فلم تعد نفسية المشاهد تتحمل أو تتعاطف مع هذه الشخصيات، وقديما كانوا يجعلون العلاج الشافى فى مثل هذه الحالات.. خبر كويس يسمعه المشلول فيقفز من على كرسيه كابن سبعتاشر ويتنطط من الفرحة؛ إذ إنه سيستطيع أخيرًا أن يسجل اسمه فى التشكيل الجديد للفريق القومى.. وتخصص الراحل فريد الأطرش فى علاج حالات الشلل النصفى بالذات.. حينما يجلس المشلول على كرسيه فى كواليس المسرح، ويشدو فريد الأطرش بالأوبريت المعجزة.. بنااادى عليك.. بنااادى عليك.. وينتفض المشلول من على كرسيه جاريًا فهو لن يتركه ينادى عليه كل هذا الوقت بلا رد، وحسين رياض هو فى الحقيقة صاحب الرقم القياسى

فى الجلوس على الكرسى المتحرك بين ممثلى جيله كلهم، ويقال إنه كان يتقاضى نصف أجر عن الفيلم إذ أنه يقضى باقى الفيلم جالسا.. ولأنه اعتاد أداء هذه النوعية من الأدوار، أصبحت إصابته بالشلل فى الفيلم ليست مفاجأة ولا كارثة درامية مفجعة.. اسمعه وهو يقول لفردوس محمد ببساطة وكأنه يطلب منها كوب شاب بالحليب.. يظهر إنى اتشليت يا أم حسين فترد أم حسين ببساطة خش رَيَّح لك شوية لحد ما الغدا يخلص!! عادى!!!!

وليست الأخبار المفرحة والأوبريتات الغنائية هى الوسائل المضمونة فقط لعلاج الحالة المستعصية، فالمخرج يجب أن ينوع فى وسائله أيضًا.. فالفنانة ماجدة قامت برضه من على كرسيها المتحرك لتنقذ ابنها الوحيد، الذى طلع إلى البلكونة ووقف على السور.. وخافت عليه من السقوط.. لو كانت الحكاية كده لحولنا حياة المعوقين جحيمًا.. ناس تنط من على السور قدامهم.. وحرامى يقتحم الشقة عليهم أو نولع لهم فى البيت.. لحد ما تحصل المعجزة.. وأحمد سالم مثلاً استرد ذاكرته بعد أن ارتطمت رأسه بشجرة.. أما صالح سليم فالهُدْر الذى أخذه على السلم وأعاد إليه بصره لم ينقذه وحده، وإنما أنقذ الفيلم كله.. بل وأنقذ النادى الأهلى وقتها.. أما فى فيلم الأخرس الذى قام ببطولته محمود ياسين، فقد كانت العاهة هى فقدان القدرة على الكلام حينما فقد أخاه أمام عينيه فى المصنع وصرخ مناديا إياه، وكانت هى الصرخة محطش منطق بعدها..

شالوا دوره من السيناريو وكمل الفيلم بالإشارة.. إلى أن التقى بالبطلة مديحة كامل (فى عزها)، ومع ذلك لم ينطق برضه.. برغم أن مديحة لم تدخر جهدًا فى إنطاقه فالمايوه الذى كانت ترتديه ينطق الجن ولكن تقول إيه.. ينطق محمود ياسين فقط حينما يؤنبه الأب (حماه يعنى) على زواجه من مديحة، ولأن كان شايل منه طول الفيلم وعلى قلبه قد كده راح مفتوح فيه بقى.. واخدين بالكوا.. لو عاوز تِنَطَّق واحد أخرس.. زهقه فى عيشته!!!

والحقيقة أن رغبة كُتاب الدراما فى شفاء العجز الجسدى بأدوية قدرية وأوبريتات وأغان تعكس نقطة بالغة فى الخطورة والأهمية.. وهى عدم التعامل مع حالة الإعاقة على أنها أمر واقع يمكن استمرار الحياة والتعايش معه. فالأعمى يجب أن يفتح فى آخر الفيلم والمقعد يجب أن يجرى كالرهوان قبل كلمة النهاية لا أعلم لماذا!! وماذا يفعل الأعمى والمقعد والأصم وغيرهم من الذين يتفرجون على الفيلم ويعيشون بيننا.. وهل نستطيع أن نعمل أوبريتات تكفى كل هؤلاء.. من أين بالله عليكم!! لقد انتقل العجز إلى المسرح الاستعراضى شخصيًا وفن الأوبريت هو الذى أصبح الآن يحتاج إلى معجزة كى يقف على قدميه.

والشىء الوحيد الذى يحيرنى هو لماذا دائمًا تأتى الحلول من الخارج، وليست نابعة من أنفسنا لماذا الذى يعالج عبد الحليم فى الفيلم هو الدكتور جونسون الأجنبى برغم أن المليجى فى الفيلم

دكتور برضه، وليس حلاق صحة.. لماذا لا نركز أكثر على عنصر الإرادة والاقتحام وإذا أحببنا أن نناقش قضية لماذا لا نتعرض لها بشجاعة؟ وإذا كان البطل عندك كفيفًا يعانى من قسوة الحياة والبشر بعجزه عن الإبصار، لماذا تخبط رأسه فى آخر الفيلم بشجرة لتريحه وتريح نفسك وتتعبنا نحن.. بيتهوفن بعد أن أصيب بالصمم لم ينتظر المعجزة (الأوبريت) الذى سيعيد له القدرة على السمع، بل صنع هو السيمفونيات المعجزة متحديًا الحياة التى أصبحت فجأة هُسْ.. هُسْ..

المعوقون يا أعزائى ليسوا من كواكب أخرى.. والإعاقة جزء صغير من حياة كبيرة بعيوبها.. بحلوها ومرها.. وتأتينى خطابات من معوقين آخر خفة ظل ومسخرة.. لدرجة إننى أحيانًا ينتابنى شعور غريب بأننا نحن كتاب الدراما المعوقون فى التعبير عنهم.

م البيت للكباريه وم الكباريه للبيت

ما إن هممت بالكتابة عن فن الرقص الشرقى ونجماته من الراقصات اللامعات، حتى اهتز القلم فى يدى وخرج عن طوعى ووجدته يتثنى ويتمايل فى خلاعة.. وتعجبت من قلمى الخجول المنطوى على نفسه أن يأتى بهذا الفعل الفاضح، ويخلع لأول مرة برقع الحياء.. ولأننى اعتدت أن أعيش الموضوع الذى أكتب عنه، فقد أغلقت على نفسى باب حجرة مكتبى ووضعت شريطًا فى جهاز التسجيل لواحد من رواد الغناء خلف الراقصات اسمه سامى على.. «هما الحلوين علشان حلوين يعملوا كدهوه.. الله يسامحك ياللى فى بالى».

فى الحقيقة وجدت الموضوع مسليًا وممتعًا إلى حد كبير؛ مما جعلنى أفكر فى أن أقترح على الأستاذ رجاء النقاش رئيس التحرير أن نخصص بابًا ثابتًا يختص بالرقص الشرقى، واقترحت أيضًا أن أتولى أنا كتابته ومتنازل مقدمًا عن الأجر مكتفيًا بالنقطة.

لا توجد بنت مصرية ولدت على ضفاف النيل العظيم، لا تعرف الرقص الشرقى.. رأيت طفلة لم تتجاوز السنوات الخمس ترقص بطريقة، تؤهلها للحصول على الثانوية العامة قسم أدبى، واستطاعت هذه الطفلة أن تلم حولها المعجبين من سن السابعة وحتى الثانية عشرة، ولكنها أكدت أنها لا تفكر فى الزواج فى هذه المرحلة.. أين وكيف ومتى تعلمت الرقص الشرقى.. الله أعلم.

ولا توجد امرأة مصرية ترضى عن رقص أى راقصة شرقية حيث تفرزها من ساسْها إلى رأسها. وكل امرأة تجلس فى فرح فيه راقصة تقول بينها وبين نفسها أنا بَرِقَبَتِها.. وكلهن ينظرن إلى الرجل على أنه مخلوق عبيط، تؤثر فيه هذه الحركات وتخيل عليه وتنسى أنها أوقعت به بالمنهج نفسه وإن اختلف الأسلوب.

وبينما تقاطع النساء الراقصة فى أى فرح مقاطعة نهائية، يحاول الرجال تطبيع العلاقات معها.. وهناك راقصات قبل أن يحترفن الرقص عملن فى البيوت.. وهو ليس عيبًا ولكن جلسة الطشت اللعينة غالبًا ما تترك أثرًا على شكل الجسم لا تستطيع أكبر معاهد التخسيس فى أوروبا أن تزيله.

وفى السينما كانت الراقصة تيمة أساسية فى أفلام حسن الإمام.. وكانت دائمًا تظهر فى صورة الضحية التى قضى عليها المجتمع.. فرأينا راقصات يرقصن من غير نفس، وراقصات يرقصن ليدفعن أجرة العملية لراقصات أخريات. بل ورأينا راقصات تنقلب الجامعة رأسًا

على عقب وتقوم المظاهرات من أجلهن.. وكان ذلك بداية لسلسلة من الأفلام التى تبدأ بكلمة الراقصة و... فشاهدنا «الراقصة والسياسى» ثم «الراقصة والطبال» و«الراقصة والحانوتى».. مما سهل مهمة المؤلفين للغاية فعلى المؤلف فقط أن يكتب الراقصة، ويضيف أى وظيفة رجالى ليصبح عندك فيلم مضمون النجاح.. وبالتالى فمن المنتظر أن نسمع عن أفلام بعنوان الراقصة ومدير شئون العاملين أو الراقصة ورئيس قسم المحفوظات.. أما الطبقات الشعبية فلهم فى الطريق الراقصة والسباك والراقصة والسمكرى والراقصة والصايع.

وقد كتبت الراقصات فى مرحل كثيرة من تاريخنا سيناريو الأحداث السياسية والاعتقالات والمؤامرات وتولية وزارات وخلع وزارات.

بل إن راقصة ومطربة اسمها «إتفاق» عاشت فى أيام دولة المماليك البحرية، تزوجت ثلاثة أخوة الملك الصالح إسماعيل فمات ليتزوجها أخوه الملك الكامل شبعيان فمات ليتزوجها أخوهما الملك المظفر حاجى وكلهم أبناء الناصر محمد بن قلاوون.

كيف استطاعت الأخت «إتفاق» أن تجعل الأخوة الثلاثة يتفقون على الزواج منها؟ الله أعلم!! ويقال إنهم عملوا لها «عصابة رأس» تقدر بمائة ألف دينار لما تحمله من مجوهرات وأحجار كريمة.. ويقال أيضًا إن عصابة الرأس هذه قسمت ثلث لها وثلث للفرقة وثلث لصاحب المحل..

ويقال إن المستنصر الفاطمى أعجبته سيدة تسمى «نسب»، وقد كانت عالمة مشهورة وتعرف بالطبالة لأنها ترقص وتدق على الطبلة فى الوقت نفسه، وحين انسجم منها المستنصر ولم يكن معه سيولة وقتها لكى يلقى عليها برزمة من فئة المائة دينار مثلاً.. فنقطها حيًا بأكمله عرف فيما بعد باسمها واسمه حى الطبالة.. وهو حى عامر الآن بالمحلات والبيوت والناس.

عزيزى القارئ.. اسمح لى أن أكتفى بهذا القدر وأتركك فى سلام لأن عندى نمرة ثانية فى مجلة أخرى.

رأفت الهجان و.. رأفت الولهان!!!

كالأدباء والمفكرين.. الراقصات أيضًا لهم مريدون، فكما كان طه حسين يعقد ندوته الأسبوعية يوم الأربعاء والعقاد يرد عليه بندوة أخرى، ويلتف حول هذا مريدوه، وحول ذلك معجبوه، لكل راقصة ترابيزة خاصة يجتمع عليها الهائمون بحبها المدلهون فى عشقها.. وكما كان مجاذيب العقاد يهتفون بإعجاب لمقالته الأخيرة ويقول أحدهم.. الله يا أستاذنا.. ينبرى رجل الأعمال الذى يحب الراقصة ويخرج الأستك من جيبه ويلقى به عليها.. وتبلغ ذروة متعته، حينما تتساقط البواكى فوقها وهى تتلوى.. والله بأه.. لو أمسكت الراقصة بالميكروفون وقالت بدلال بعد أن تغمز له بعينيها.. والتحية دى بقى من رأفت بيه.. ويبتسم رأفت بيه فى سعادة وفخر.. أمه داعياله.. ربنا يبعد عنه القر.

التقيت به ذات يوم منذ سنوات عديدة.. رحب بى بشدة، حينما علم أننى صديق «تى تى» وأمسك بى وأصر أن يعزمنى على العشاء.. وبعد أن أنهت «تى تى» وصلتها لم يتركنى.. تشبث بى..

وقال:

ح نفطر مع بعض.. نروح أى حتة و«تى تى» معانا.. ذهبنا إلى الأوتيل الفخم لتناول الإفطار.. جلست «تى تى» بعد أن ساعدها رأفت بيه فى خلع البالطو.. ووضعه بحرص وقدسية على المقعد المجاور.. لم يكن رأفت بيه يحمل بالطو تى تى.. وإنما كان يحمل التاريخ.. وتذكرت الأثرى الأمريكى هوارد كارتر حينما اكتشف قناع توت عنخ آمون وحمله بحرص وجلال خارج المقبرة.. قال رأفت بيه وهو يتصعب:

تى تى.. موهوبة يا أستاذ، ولكن مظلومة لم تأخذ حقها بعد.. أريدك أن تساعدها.. اكتب لها فيلمًا وأنا أنتجه.. والله أنتجه وسأدفع لك ما تريد.

وابتسمت تى تى فى دلال وقالت فى دلع كالأطفال:

مفيش حاجة حرشه!!

وانتفض رأفت بيه من جانبها ونسى الموضوع الخطير الذى كنا نتكلم فيه ونادى على الجرسون بعنف:

جرسون..

وأتى الجرسون مهرولاً وقال له رأفت بيه بجدية وخطورة:

أخلق لى بتنجان مخلل فورًا!!

وعاد ليجلس بجانبى.. وقال:

نفسها مسدودة.. ما بتاكلش خالص يا أستاذ.. أنا كلمتها ما بتسمعشى كلامى.

قلت له: ولكن هذا أفضل لها كراقصة..

فقال رأفت بك وكأننى صرحت له بمعلومة خطيرة:

هل ترى ذلك حقًا.. ولكنها تهمل فى صحتها.. الراقصات كلهن يغرن منها، يحاربنها.. لماذا لأنها طالعة.. قل لى بالله عليك هل رأيت الراقصة فلانة.. لقد ترهلت. لم تعد تستطيع أن تعطى.. أين هى من تى تى..

وبدأنا نعقد مقارنة شبيهة بمادة الأدب المقارن التى كنا ندرسها فى الجامعة بين مدرسة تى تى فى الرقص والمدارس الأخرى..

قال لى صديقى (س) الذى كان يحب راقصة وتركته بعد أن أفلس:

اللى تهز وسطها لازم تقل بأصلها.. وإن أخدت من الحمار صوف، خد م الرقاصة معروف.. قلت:

الله.. الله.. من أكلم يا ناس الزمخشرى.. ادعيلها.. لقد صنعت منك فيلسوفًا.

ويحكى لى رأفت بك حينما كلم تى تى بعد الزلزال مباشرة ليطمئن عليها.. فأجابت تى تى:

وقالت هزة!! أمتى حصلت.. أنا ما حسيتش بيها.

ويؤكد مرصد حلوان للزلازل أن الراقصات أقل إحساسًا بالزلزال من الناس العاديين.. وهذا الزلزال الأخير الذى سجل ٧,٥ بمقياس ريختر وصل لتى تى وقد صار ٤,٢ ريختر فقط.. أرزاق!!

وتمر السنون ورأفت بك كما هو.. فى المنضدة نفسها أمام تى تى.. يلقى رزم النقود ويتعبد فى تى تى.. إلى أن رآنى ذات مرة.. قال لى:

لن أتركك سنفطر مع بعض.. هل رأيت الشو بتاع تى تى.. تغير تغيرًا جذريًا بدأت شخصيتها كراقصة تكتمل ألست معى فى هذا.. أنا أصلى وراءها.. بدأت تهتم بشغلها... لأنى أزن عليها.. عرضوا عليها أن ترقص فى المحل الفلانى، ولكنى رفضت بشدة وكانت زعلة بينى وبينها.. هل يرضيك يا أستاذ بعد أن رقصت فى فنادق خمس نجوم أن ترقص فى محلات؟ أريد رأيك أنت.. تى تى الآن نقلت نقلة ثانية خالص.. ولابد أن تدرك هى حجمها الذى صارت فيه.. كلمها. عَقِّلها يا أستاذ..

كان رأفت بك يتكلم عن تى تى بحماس.. بثورة.. بوطنية.. وشعرت أن رأفت بك يحب تى تى أكثر مما أحب مصطفى كامل مصر.. وتى تى بعد أن تضرب لها بتنجناية.. تقبله فى رأسه:

بأموت فيك يا رأفت.. ربنا يخليك ليا..

ويبتسم رأفت فى طيبة وهو يتكلم عن إنجازاته مع تى تى فى الفترة الماضية:

غيرنا الفرقة كلها.. كانوا ينهبونها.. والمطرب الذى يغنى وراءها ضبطته يغنى وراء راقصة أخرى فى أحد الكباريهات.. تخيل.. الأغانى نفسها التى ترقص عليها تى تى!! هل تعلم يا أستاذ بعد أن روحت يومها لبيتى لم أنم.. الضغط ارتفع عندى ولسانى ثِقل.. وكلمتها هل تذكرين تلك الليلة يا تى تى..

أومأت تى تى برأسها وفمها مملوء بالطعام..

واستطرد رأفت بك:

وغيرناه خطفت لها مطربا كان يغنى وراء راقصة أخرى. ولكن إيه!! ولد!! يعرف كيف يهيج لها الصالة وللحق أنا لم أؤثر عليه.. الولد كان بيدوق المر من الراقصة الأخرى..

قلت له: تعالى يا ابنى.. لماذا لا تغنى وراء تى تى..

قال لى: هذا حلمى يا رأفت بك واحضرته لها، وللحق يا أستاذ هى لا تتأخر عن الفرقة فى حاجة..

وهمس لى وكأنه يسر لى بسر خطير: بيوت مفتوحة يا أستاذ على حسها.

وتأملت رأفت بك، وأنا أفكر.. أليس عند رأفت بك موضوع آخر غير تى تى؟!

يصرف آلاف الجنيهات ويضيع وقته ولياليه وأيامه من أجل تى تى.. لابد وأنه يرى فى تى تى شيئًا عبقريًا رهيبًا لا نراه نحن.. وتأملت تى تى وهى ترقص أمامنا، وقلت لنفسى.. ما هذا الشىء الذى لا نراه نحن يا رأفت بك.. ما حنا شايفين كل حاجة أهوه..

وأحلى من الشرف مفيش.. يا آه.. يا آه..

كثيرًا ما يطيب للمؤلفين وكتاب الدراما بالذات إظهار فتاة الليل فى صورة الضحية التى ظلمها المجتمع واضطهدتها الظروف فصنعت منها هذه العاهرة.. ذهبت لتأخذ من صاحبتها كشكول المحاضرات بينما بيت صاحبتها ده.. أعوذ بالله.. رجاله طالعين ورجاله نازلين.. وأم صاحبتها دى طنط شعرها أصفر ومعمول على طول.. وحواجبها رفيعة، وتتحرك أثناء الكلام، وفى يدها كأس لا تفرغ أبدًا.. ولكن البنت ـ يا حبة قلبى ـ لم تلتفت إلى كل هذا كان تركيزها كله منصبًا على كشكول المحاضرات.. وتشاء الأقدار أن يكبس بوليس الآداب فى اللحظة نفسها التى أخذت البنت الكشكول، وأحدهم يحاول معها وقد لعبت الخمر برأسه.. وهى تقاوم.. وتقاوم.. ولكن فى ثانية.. كانت فى النيابة وفى يدها الكشكول. أقسمت للجميع أنها بريئة.. ولم يصدقها أحد ولا أنا برغم أننى مؤلف الرواية.. وخرجت بعد الوصمة لا أمل لها فى

الزواج.. لا أمل فى أى شىء.. تعمل إيه.. طوحت الكشكول وقالت تلقط رزقها بأه.. وقصة أخرى لفتاه شريفة جدًا ولكن أمها مريضة وابنها مريض وعائلتها كلها مريضة والطبيب لا يعرف سوى كلمة واحدة.. ألفين جنيه عشان العملية.. وهى بالطبع لا تملك المبلغ. تحركها الشهامة، وتنظر لنفسها فى المرأة.. فتكتشف أن عندها أشياء تجيب لها المبلغ فى ساعة زمن.. لن تبيع الصيغة فهى لا تملك صيغة أساسًا.. ستبيع نفسها.

ولذا فتراث الفن يحمل أعمالاً فنية وأدبية.. مثل أشرف خاطئة.. والمومس الفاضلة.. وأفلام كثيرة تناولت الموضوع ببساطة جعلت الفكرة إلى حد ما.. مصرية.. فنحن بكينا ولطمنا على ديانا مثلا ولم نعط لأنفسنا الفرصة لنتساءل.. هل هى شريفة؟! بمجرد أن طرحت السؤال ثارت إحداهن فى وجهى وقالت لى.. لأ. كده أنت داخل على سكة رجعية متخلفة.. مش بتاعتك.. أرجوك ما تغيرش رأيى فيك.. قلت لها والله حضرت الجنازة من أولها لآخرها. وعيطت واتشحتفت ولكن سؤالى لماذا لا تجيبين عليه.. قالت لى.. ألم تعرف ما الذى فعله معاها تشارلز.. أقرأ.. حتى تعرف كم عانت معه إنه هو الذى دفعها لذلك.. وتساءلت هل للانحراف أى مبرر؟! مهما كانت الدوافع.. إذا ضاقت الدنيا فى وجه البطل يذهب إلى الكباريه عشان يسكر وينسى.. والبطلة إذا العملية قفلت فى وشها.. معروفة السكة.. والمبررات الأخلاقية التى تقولها لك أى فتاة ليل مبررات محفوظة مش عاوزة أهلى يحتاجوا أى حاجة..

وغالبا ما يكون لها أخ صغير تحتضنه بعد عوتها فى الصباح وتقول فى إنسانية متدفقة.. ده مش أخويا.. ده ابنى.. ح أدخله أحسن مدارس، وتدخل أختها الوحشة من الحجرة الثانية.. إنتى جيتى يا سوسو.. تهمس سوسو لى.. لازم أجوزها عشان ما تمرش باللى أنا مريت بيه.. وشحط طويل أخوها الأكبر.. تغمزه بعشرين جنيه فى يده حتى لا يشعر بأى فرق بينه وبين أصحابه.. تريد سوسو أن تقول لى أنها شمعة تحترق من أجل عائلة تعيش.. وأنا أريد أن أقول لسوسو.. الله يحرق العيلة كلها بجاز أسود هل يمكن تسليم الشرف بهذه السهولة؟! رواية «أنا حرة» لإحسان عبد القدوس.. كانت من أكثر الروايات مبيعًا عند صدورها.. فالبنت التى تثور على التقاليد، والتى تريد أن تخرج من البيت بعد العصر بشرط أن تعود قبل الثامنة.. البنت التى تريد أن تناقش أباها فى العريس المقبل.. بل وتتجرأ وتناقش العريس نفسه. الذى سيأتيها، كانت هذه البنت أعجوبة هذه الأيام.. تقول: أنا حرة فيثور المجتمع كله يخرب بيتك وكمان بتقوليها يا مقصوفة الرقبة.. الآن يا أعزائى.. «أنا حرة» لاتبيع نسخة واحدة.. عارفين ليه!! لأنها أصبحت رواية رجعية متخلفة بالنسبة لتصرفات هذا الجيل.. يمكن أن تبيع لوكان اسمها أنا خارجة ومش عارف ح أرجع أمتى! أو لو كان العنوان أنا بايته بره.. والمحمول.. الله يلعن أبو المحمول على اليوم اللى سمعنا عنه.. بنت فى ربيع العمر.. ماسكة المحمول.. وبتكلم ماما.. ألو..

أيوه يا ماما.. لأ ما تقلقيش.. أنا مع أصحابى.. نامى إنتى.. هذا الكلام سمعته فى الثالثة صباحا.. فى نايت كلوب.. برضة لازم تطمن مامتها. قلب الأم برضه.. وفى الجامعة.. كثيرًا ما تحدث قصص حب.. فبعد أن أحب عبد الحليم نادية لطفى فى الخطايا.. صار حب الجامعة من المواد الأساسية لكل طالب.. أنا شخصيًا أحببت فى فترة الجامعة.. حبًا رهيبًا جارفًا.. من أولى لثانية.. نظرات من بعيد.. وخجل.. فى ثالثة تجرأت وعزمتها على كوب شاى فى الكافيتريا بين المحاضرات فى سنة رابعة قلت ما بدهاش.. فى لحظة جنون وطيش وحماقة.. قلت لها.. بحبك.. أحمر وجهها كأنما أصابتها حمى وتركتنى بسرعة كأنها مسها عفريت.. ظلت أسبوعًا كاملاً لا تحضر المحاضرات ولا ترينى وجهها.. وحينما عادت لم تنطقها.. كتبتها بالإنجليزية على كشكول المحاضرات.. يا دى الكشكول اللى مش عاوز يطلع من دماغى.. وكانت القطيعة يوم تجرأت واقتربت منها كأى ذئب بشرى.. و.. و.. لمست يدها اليمنى.. جذبت يدها فى عنف.. وكانت النهاية.. واعتبرت نفسى مسئولا عن نهاية العلاقة.. وأنها غلطتى.. ومسكة الإيد زى عود الكبريت.. لا يمكن تتصلح..

فى أيامنا هذه بقى.. الله على أيامنا.. فى أولى جامعة.. يعنى وهما لسه شمورت.. أو وراور بلغة الفراخ.. يتفق البنت والولد على الزواج العرفى من سنة أولى.. عشان يلتفتوا لمذكراتهم.. وما يضِيعوش الوقت فى المواعيد والجوابات والكلام الفاضى ده..

وبالنسبة لموضوع الحمل. مفيش مشاكل فكما تعلمون أصبح أطفال الحضانة على دراية كاملة بكل وسائل منع الحمل.. والأب والأم فى البيت عندهم بنت فى الجامعة نفسهم يفرحوا بيها، وما يعرفوش إنها فرحت قبلهم لوحدها من سنة أولى، وفى البيت التانى أب وأم برضه عندهم ولد ونفسهم الواد يكبر ويشيل المسئولية والود ما بيبطلش شيل مسئولية من سنة أولى.. مش قادر يصلب طوله.. وفى سنة تالتة يختلفان هو وهى.. لأنهما بلا خبرة وبلا مشاعر حقيقية وبلا ثقافة وبلا تربية أيضًا.. هنا أصبحت البنت فى موقف لا تحسد عليه.. ما زالت أمها تدللها فى البيت تعالى يا نونه. يا ختى كميلة.. ولا تعلم الأم أن نونه بقت عقبال عندكم المدام.. فهى شايلاها لابن خالتها اللى ح يتاقلها بالدهب.. وابن خالتها مقطع السمكة وديلها برضه.. إنما بره.. بس لما ييجى يتجوز يتجوز نونه.. الأدب والتربية والحتة البيتى.. المضمونة.. والحل.. دخلنا فى أزمة درامية.. لم تعد أزمة يا أعزائى.. زيارة لطبيب متخصص فى الغش، عملية بسيطة وتخرج نونه من عنده.. خجولة.. هايبة الجواز.. والأم توصى العريس أن يتحملها لأنها لسه خام..

لا يوجد يا أعزائى أى مبرر أقنعنى منذ ولادتى إلى اللحظة التى أكتب لكم فيها هذا المقال.. مبرر واحد للتفريط فى الشرف.. لا الظروف ولا الحب.. الظاهرة الأغرب يا ناس.. شبكات الدعارة التى يقبضون عليها، سيدات أعمال وفنانات وفتيات إعلانات ـ وناس

مريشة.. طيب لماذا.. أبوس أيديكو حد يقول لى.. لم يطلب الطبيب فلوس العملية.. ولا توجد قصة حب أوقعتها فى الخطيئة وعندها فلوس تتوب ألف عاهرة وتلمهم فى شغلانة شريفة كمان.. لماذا؟! أتصور وهذا مجرد تفسير شخصى.. إنها الرغبة فى إهانة النفس.. فى تحقير الذات ومسح البلاط بها.. إنه مرض شيطانى.. وعلى فكرة.. علمت من مصادر موثوقة.. أن إبليس أخذ أجازة دون مرتب ح يوجع دماغه ليه.. ما الشغل ماشى زى الفل ومن غيره كمان..

هَنادى خَدْها الوَبا

فى فيلم دعاء الكروان.. بعد أن عملت هنادى عملتها.. أصر خالها البدوى الرهيب على أن يغسل عاره بدمها.. هكذا فى صمت مرعب.. تاواها وحينما سألته آمنة أختها، وفى وجود أمينة رزق.. الأم الثكلى وين هنادى يا خال.؟ أجاب بجملته الشهيرة.. هنادى.. خدها الوبَا.. وأتساءل والسؤال لحضراتكم.. لماذا كذب الخال الذى ثأر لشرفه على آمنة الضعيفة وهو فى الموقف الأقوى طبعا.. وقال لها إنها ماتت بالوبا.؟ لأنه يريد أن يلم الموضوع.. أن يستر هنادى حتى فى موتها.. لم يقل لها مثلا.. أتمسكت فى شقة الباشمهندس.. وسجلنا لها مكالمات ع الموبايل.. وخلصنا عليها.. برغم أنه لو قال لها ذلك ربما يعد على سبيل العبرة.. والإنذار حتى لا تقع آمنة فيما وقعت فيه هنادى.. وهذا ما حدث بالفعل. ولكن التركيبة النفسية للعقلية العربية تتناقض إلى حد كبير مع الفضايح والتجريس.. وقانون الجاهلية كان يحظر نشر أى قصائد غزل فى

واحدة من شاعر ولهان.. وإلا حرمت عليه حرمانية الأخت.. فكان جميل بن معمر يريد أن يتغزل فى بثينة مثلاً.. فيناديها فى القصيدة بليلى.. وهذا تزوير فى أشعار رسمية.. يعنى لو عشت مثلاً فى أيام الجاهلية.. وأحببت واحدة اسمها عفراء.. ما تسيحش.. عاوز تكتب لها جواب.. ابعت على عواطف.. عواطف مين؟! مش مهم.. المهم أن عفراء رجلها ماتجيش فى الموضوع.. وكتمان العلاقات العاطفية مسألة أساسية وحتمية فى المجتمع العربى.. ويقول الشاعر نعم.. أنا مشتاق وعندى لوعة ولكن مثلى لا يذاع له سر.. والناس زمان كانوا يكتمون الأسرار بالسنين.. ولا يصرح بها إلا عند الاحتضار.. هوه ده يا بنى السر اللى خبيته عليك من عشرين سنة.. أمك دى ماهيش أمك.. أمال مين دى مرات خالك.. وعمتك تبقى مش عمتك.. أمال مين.. عمتك دى أمك الحقيقية.. ويتلخبط الولد.. العيلة كلها دخلت فى بعضها..

هذا كان مقبولاً أيام زمان.. إنما فى عصر النم.. أصبحنا نعرى كل شىء.. وننهال بالسكاكين على أى بقرة تقع أمامنا.. ولم نكتف بالأبقار.. معيز ماشى.. أرانب.. إنها هيستريا التشفى.. واللف بجنون وراء أى جنازة لنشبع فيها لطما.. والحقيقة إحنا عباقرة فى تعرية السلبيات والعيوب والأخطاء.. فالأفلام التى تناولت النكسة وفساد عصر الثورة.. كانت أروع بكثير من أفلامنا عن نصر

أكتوبر.. وإذا سألت واحدة عن رأيها فى زوجها (المثالى) ربما بالكتير ستقول لك.. يعنى.. كويس.. ما شفتش منه حاجة وحشة.. أما إذا سألت واحدة عن رأيها فى طليقها.. فستنفتح، ولن تنسد فى وصفه بأبشع الأوصاف الممكنة.. أتصفح الجرائد والمجلات.. فأصاب بالذعر.. نحن لا ننشر غسيلنا القذر فحسب.. وإنما قبل أن ننشره نمرمطه فى الطين والأوحال.. ثم ننشره.. ونرجع خطوتين وننظر إليه منشورًا على الحبل.. لأ.. لسه فيه حتة بيضا ما أتوسختش.. نشيله من على الحبل.. ونمرمط.. ونطين.. ونرجع ننشر تانى. لم نتكلم عن المسرحيات الناجحة والأفلام التى أقبل عليها الجمهور.. تكلمنا عن خناقة هياتم وماجدة الخطيب واحتلت الخناقة.. الصفحة الأولى.. أما تعاملنا مع ظواهر النجاح فهو كوميديا سوداء.. إذا نجح أحدهم نجاحًا فازعًا.. يصبح حديث الجرائد والقعدات الفنية وكل واحد يسمى نجاحه ظاهرة..

وكلمة ظاهرة كلمة خبيثة لا تنفى النجاح وإنما مشوبة بأمنية من القلب أن تزول هذه الظاهرة التى عكننت عليهم حياتهم.. أو يحاول أحدهم أن يكون موضوعيا فيقول.. هوه بقى نجم محدش ينكر.. بس لسه ما يشيلش.. ويرد آخر.. مش ح يكبر عن كده فيسأله الجميع.. ليه.. يقول الواد إتغر.. والغرور ده بقى بداية الوقوع.. ويهمس العارف الأكبر.. لأ.. أنا عندى أخبار إنه بيشم.. وحالته بأت زفت.. وبيضرب أوردرات.. وما بيجيش فى مواعيده.. تصور

عاوز يكتب اسمه قبل محمود المليجى.. لأ.. ده اتجنن. كل هذا يقولونه عن النجم الصاعد الذى لم يفعل شيئًا سوى أنه نجح. والمؤلف إذا لمع تدخل أعماله فورا إلى الطب الشرعى.. يرفعون البصمات عن كتاباته.. آه.. الكتابات دى مسروقة كلها.. ده بينقل.. والمذيع إذا تألق تسمع الكلام.. دمه تقيل.. مالوش حضور.. مفيش ثقافة.. والمخرج إذا نجح يتساءل بعضهم.. هوه فين الإخراج.. الفيلم ده فيه إخراج.. يا عم مشى حالك.. وإذا حدث ـ وهذا نادرًا ما يحدث ـ إذا كتب أحدهم كلمة كويسة فى نجم أو نجمة.. تنهال عليه التعليقات قبضت كام يا سيدى.. ما هو أنت أكيد قابض. أمال ح تكتب الكلام ده لله كده بلُّوشى.. ويقسم لهم صاحبنا أنه حتى لم يعزمه على كباية شاى.. ولكن من يصدق هذا المرتشى الأثيم.. كده طيب أنا مرتشى.. ح تشوفوا.. فى العدد التالى يلعن سنسفيل أبو النجم ده..

يا ناس.. نحن معقل الفن والرخصة لا تطلع إلا من عندنا.. والفنان لا يصبح فنانا بحق إلا إذا نجح فى السميستر أو الكورس الصعب هذا اللى اسمه مصر.. لماذا نفعل فى أنفسنا كل هذا.. لماذا لا نبرز من فننا سوى الشبكات والخناقات والقوادين والعاهرات والبلطجية.. بينما تظل صورة أى فنان يأتى إلينا من لبنان أو أى بلد عـربى.. صورة ملائكية خاليـة من أى عيب.. جورج وسوف.. لا يشرب السيجارة وراغب علامة ينام من الساعة ثمانية.. ونوال الزغبى.. بتنكسف من خيالها.. ووائل كفورى.. عنوان البراءة

والالتزام.. أما مدحت صالح هذا كثير الزواج وفلاتى.. وعلى الحجار.. ما بيبطلش كلام لا هو ولا محمد الحلو. إنهما يستعرضان صوتهما ولا يغنيان.. وعمرو دياب أكلمك عن عمرو دياب وبلاويه.. لا أريد يا سيدى أن أصدمك.. هل تعلم كم فتاة وعدها مصطفى قمر بالزواج؟ أعزائى.. رأيت على محطة عربية.. السهرة كانت عيد ميلاد مطرب لبنانى ناشئ.. محدود الصوت.. ظفر أى مطرب مصرى من هؤلاء بعشرة من أمثاله.. ولكنهم كيف قدموه.. كيف تعاملوا معه.. ومع نجوميته.. إنها صناعة يا ناس.. لا تضيعوا عمرنا فى المقارنة بين عمرو دياب وعبد الحليم.. اصنعوا عبد الحليم آخر.. بل وكونوا أكثر جرأة واصنعوا نجمًا أكبر من عبد الحليم نفسه.. عيد ميلاد المطرب اللبنانى هذا كان عيدًا قوميًا عندهم.. صواريخ فى السما وتورتات ضخمة، وصور له بحجم العمارات.. ليس مهما أن يتصدر خبر زواج جيهان نصر الصفحة الأولى الأهم أن يكون الخبر أن على الحجار يغنى أغنية جديدة.. وأن محمد فؤاد سيعمل فيلما..

كذبة خال هنادى المزعومة.. أن هنادى خدها الوبا.. كانت كذبة رائعة بها الكثير من الشرف والحفاظ على صورة هنادى نقية حتى أمام أختها..

❁❁❁

ليك يوم يا ديك

كل الأفلام التى يعملها الرجل ليوقع بالمرأة أفلام وائعه محفوظة صم. ولولا أن المرأة تأخذه على أد عقله لصارت حيلته معها من أهون الحيل.. عندك مثلاً محاولة خايبة منه للاختلاء بها فتجده يقول لها والكذب بينط من عينيه: ماما عاوزه تتعرف عليكى. كل هذا ليأخذها إلى الشقة ثم يفاجأ حينما يذهبان إلى الشقة الخالية أن ماما مش موجودة، وبتمثيل مفتعل. تصورى ماما خرجت، وتنظر هى إليه بشك مفتعل برضه، ولكنه يقسم بأغلظ الإيمان أن نيته حلوة، وأنه لم يكن يقصد أن يستفرد بيها إطلاقا. هنا تتظاهر الضحية البريئة أنها زعلت وتذهب نحو الباب قال يعنى ماشية، ولكنه يتمسك بها، يتوسل إليها أن تبقى، وحجته فى استبقائها إن ماما زمانها جاية جاية بعد شوية، جايبة لعب وحاجات. والحجج التى يؤلفها العشاق للانفراد بعشيقاتهم كثيرة ومتنوعة.. شفتى صورتى وأنا صغير مش ح تعرفينى أنا كنت مكلبظ خالص ما تيجى

نروح البيت، أوريكى ألبوم الصور. وتذهب المسكينة مع الذئب وهى ليس فى مخها سوى أنها مشغوفة برؤيته وهو صغير. لتفاجأ به يخدعها ويريها صورته، وهو كبير، وحيلة أخرى اعترف أننا كلنا جربناها تكلمنى فى التليفون فأرد بصوت ضعيف متماوت كأننى فى الإنعاش، إلحقينى يا حبيبتى بأموت حرارتى ٤٦ وشرطتين. ويصيبها الجزع والهلع على الساعات المعدودة الباقية لى فى الدنيا. وتأتى مذعورة على ملا وشها. وحجتها فى الذهاب إلى عازب يعيش بمفرده فى شقته أن زيارة المريض واجب. ولا أعلم هل ستضاف زيارتها لتعود مريضًا كذابًا مثلى إلى حسناتها أم إلى سيئاتها. والحقيقة أن المرأة حينما تطاوع الرجل فى الذهاب إلى شقته إنما تتبع المثل الشهير الذى يقول خليك مع الكداب لحد باب الدار وأحيانًا لحد أوضة النوم وللحق هى لا تدخل من باب الدار إلا بعد أن يعطيها وعدًا شخصيًا بأن يقعد بأدبه. والإحصائية تقول إن عددًا محدودًا جدًا من الرجال استطاعوا أن يفوا بهذا الوعد، ربما لأن الوفاء بمثل هذا الوعد يعد إخلالاً بالوعد الأكبر الذى قطعه الرجل على نفسه منذ بداية البشرية. فلحظة اختلاء الرجل بالمرأة لحظة تاريخية، ينضم إليهما فيها الشيطان ليكتمل الثالوث الذى يساهم فى عدم انقراض النوع. ولكن من قال إن الشيطان ينتظر هذه اللحظة ليصبح ثالثهما إنه لا يضيع وقته. ولذا فهو ينضم للمرأة وحدها فى البداية، ويجلسان هو وهى فى انتظار ذلك الرجل الذى سيأتى ليكمل الثالوث.

وفى البيت الأبيض. رجل.. استطاع أن يحول البيت الأبيض إلى كراخانة، فأنت إذا مررت بجوار البيت الأبيض الساعة ٢ بالليل ستسمع أصواتًا وضحكات وفضايح ستشعر إنك معدى تحت شقة طنط أم عواطف فى بحرى. وللحق لا أعلم لماذا جعل كلينتون من البيت الأبيض مرتعًا لغرامياته. سكرتيرة قاعدة فى حالها بتكتب على الكومبيوتر يمد إيده عليها ليه. ولما ييجى يبص على شاشة الكومبيوتر يميل عليها بجسمه قوى كده ليه. والنسوان هناك على كيو ـ أى بيتلككوا وبعدين هو البيت الأبيض دى مش مكان أكل عيش ما ينفعش هنا يا ريس أصل الحاجات دى بتمنع الرزق وبعدين تتزنق والميزانية تعجز معاك تقوم تقول اضرب العراق.. وتلم قرشين من هنا وقرشين من هناك. وتبيع لك كام طيارة وكام صاروخ.

شفتوا آخر المشى البطال. يذكرنى صاحبنا هذا بالديك الذى لم يترك فرخة فى العشة لحالها وصاحبه يحذره.. يا ديك.. يا ديك بلاش افترا يا ديك.. ليك يوم يا ديك. ولكن الديك لا يرعوى.. أرانب صغيرة ماشى معزة شمورد. مفيش مانع، إلى أن يأتى يوم إذا به ملقى على السطوح قاطع النفس بلا حراك. ونظر له صاحبه يعاتبه فى مرارة مش قلت لك يا ديك أدى أخرتها وبدأت الغربان تحوم حوله. فصعب على صاحبه أن تنهش الغربان لحمه وبدأ يهشها فإذا بالديك اللعين ينتفض غاضبًا صارخًا فى صاحبه.. يا أخى حرام عليك بقالى ساعة مستنيهم ينزلوا؛ يقصد الغربان طبعا.

والشيء الذى يستفزنى فى غراميات كلينتون.. ذوقه!! بصراحة ومن غير أى مجاملة زبالة.. عليا النعمة لو مونيكا دى اتحايلت عليا

أسلم عليها ما اعبرها حتى. هوه فيه إيه. من بين كل جميلات أمريكا ما يلاقيش غير دى. ولا الثانية دى أم بوز (باولاجونز) التى لو أتت إلى مصر لأخذت كل أدوار مارى باى باى فى السينما. ولكانت تعبتها قوى. ثم ما موقف السيدة الشهمة هيلارى!! يقال إنها الوحيدة فى أمريكا التى لم يتحرش بها كلينتون، ولذلك فهى تدافع عنه دفاع المستميت.. ورأيى الشخصى أن الحكاية مصالح وبيزينس، وليس للمشاعر أى دور فيها. قالت لى إحداهن أنها تدافع عن كرامتها كامرأة. أى كرامة يا هيلارى اسكتى دى أنتى غلبانة.

هو البيت الأبيض ده كده معمول فيه عمل مرمى فى بطن سمكة. أى رئيس يقعد فيه تجيله جنونة الستات.. جورج واشنطن وكيندى بتاع مارلين مونرو، وريجان الذى انتهى يا حبة قلبى بمرض الزهايمر «النسيان» من كتر اللى شافه منهم، النسوان بوظت أمريكا يا جدعان، ويتساءل أحدهم كيف يتهم الأمريكان رئيسهم بمجرد التحرش ويقيمون الدنيا ويقعدونها. والمجتمع كله يعيش فى حرية جنسية تصل إلى الفوضى والانحلال؟! هذا لأن النسوان فى البيت الأبيض لا تنفع فى اليوم الأسود، وربما أيضًا للتزمت والرجعية والتخلف الحضارى فى أمريكا. والاتجاه السلفى الإرهابى الذى لا أستبعد أن يكون للشيخ عمر عبد الرحمن دخل فيه.. فشرايطه هناك تباع أكثر من مايكل جاكسون، ولذا أعتقد أننا سجلنا نقطة

حضارية، سبقنا بها الأمريكان منذ الأربعينيات، حيث كان الملك فاروق يتحرش بطوب الأرض. ونقرأ عن حكاياته مع قطعة الزبدة كاميليا، وقارورة العسل سامية جمال، وميمى شكيب وزوزو شكيب، ومع ذلك استقبلنا الموضوع بكل تحضر، واعتبرنا هذا كله مجرد تصرفات شخصية. متى حدث هذا؟! من خمسين سنة. ييجوا يتعلموا بأه.

ولا أعلم لماذا يذكرنى الموقف الحالى بفتوات عماد الدين، الذين كان كل منهم يمسك برقبة قزازة ليأخذ إتاوة من الرقاصة دى ومن الراجل ده.. والديك الفتوة الذى يهدد الغلابة بمية النار، أيامه أصبحت معدودة فى البيت الأبيض، فهناك هم أيضًا لايرحمون سينتفون ريشه، وينزعون عرفه. وساعتها ستتخلى هيلارى هى الأخرى عن شهامتها المزعومة، وسينقلب الحال وهى التى ستتحرش به هذه المرة، ولكن تحرش عن تحرش يفرق.

قال لى صديقى محمود لبيب أشهر مصفف شعر فى مصر، إيه رأيك أعمل لك شعرك رانساج؟ قلت له كقروى ساذج.. ران إيه.. قال لى بابتسامة الخبير: رانساج.. زى كلينتون كده. دى موضة السنة دى. قلت له يفتح الله.. أنا عاوز تسريحة بوركينا فاسو.. استغرب وقال لى باندهاش.. إيه التسريحة دى.. قلت له زلابطة.. خلصنى يابا!!

أدينى كتبت أهوه!!!

الدَّخْلة صارت مهمة جدًا بالنسبة للمطرب.. أهم شىء الدخلة.. دخلته على المسرح.. بعد التقديمة والمزيكا وخلافه.. نسمع صوته من خارج المسرح.. دون أن يظهر هو.. نوع من التشويق مثل حبيبة رايحة تزور حبيبها فتطرق الباب، وتضع يدها على العين السحرية علشان يقعد يقول.. مين.. مين وعينه ح تتخزق وهو زانقها فى العين السحرية يريد أن يرى من الطارق.. فيفتح الباب فى النهاية ليجدها أمامه وبالحضن علطول.. دخله برضه.. والمطرب يضع يده على عين المشاهدين.. ويغنى من الكواليس.. ثم يقفز فجأة ليصبح فى وسطهم.. هنا تشتعل الصالة.. شباب يرقص ويهتفون باسمه ويحملون صوره وباقات الزهور تلقى عليه.. أما هو فيلقى بقبلاته على الجمهور.. ثم يتوقف قليلاً وتدمع عيناه.. يمسك الميكروفون.. وبلهجة تمثيلية مؤثرة يقول أنا مش لاقى كلام أقوله.. حقيقى.. استقبالكوا ليا ده حبكوا.. تنزل دمعه ويكمل

بصعوبة.. حقيقى.. أنا.. مش عارف أتكلم.. حقيقى أنا ما أساويش حاجة من غيركو.. أنا.. حقيقى.. (وهنا مسموح للمطرب أن يقول حقيقى أكبر عدد ممكن من المرات، وبعد أن يأخذ السوكسيه (التصفيق يعنى) يتحول فجأة من حالة الشجن والدموع المخنوقة فى الأحداق.. إلى.. هييه ياللا.. فين السَّقْفة.. كلهُ معايا.. تتحرك الكاميرا بسرعة لتنقل لنا مشاعر بنت فى العشرين يكاد قلبها يقف من فرط إعجابها بالمطرب.. وجهها أحمر دم من فرط الإثارة.. شاب أخر روش رابط دماغه.. يحمله أصدقاؤه ليرقص بلدى على أنغام أغنية المطرب.. عشرون شابا وشابة يمسكون بأيدى بعضهم ويتمايلون يمينًا وشمالاً فى حركة منتظمة.. طربًا ومتعة.. حقًا.. ذلك هو النجاح بعينه..

ولكن.. وآه من لكن هذه.. أراهم بعد الحفلة يركبون جميعًا (حتى الفتاة التى كاد قلبها يقف) ميكروباس بعد أن أخذ كل منهم حق الجو الذى عمله.. حق ترويش الليلة.. إنها مسرحية.. هو يقوم بدور المطرب، وهم يقومون بدور المعجبين والمعجبات المفتونين بفنه.. وأنا أقوم بدور الأطرش فى الزفة..

ظاهرة أخرى جديدة فى عالم الغناء.. وهى أن يقول المطرب نص الكوبليه ويلف الميكروفون الذى فى يده ليضعه فى وجه الجمهور.. حتى يكمل الجمهور نص الكوبليه التانى.. على أساس يعنى أن الأغنية مِسَمَّعة والناس ماشية فى الشارع ملهاش سيرة

غيرها.. لكن الجمهور مش حافظ!! وإلا يمكن الميكروفون ما بيلقطش؟! لأ.. سُورى.. ثانية واحدة.. بعضهم فعلاً يردد نصف الكوبليه الناقص.. الصف الثالث بأكمله يغنى مع المطرب ونصف الصف الرابع كمان.. يا للمصادفة كل الذين حفظوا الأغنية جاءت قعدتهم جنب بعض.. ولكنهم بعد الغنوة يخرجون جميعا ليقابلوا مدير أعمال المطرب ليسلم كلا منهم مظروفًا أبيض.. لا أعلم ما به وبعد الحفلة.. يهمس لى صديقى العبيط بس بصراحة الواد محبوب..

على فكرة.. أنا لست ضد أغانى الشباب.. أنا من عشاقهم.. (بس بجد) ما أخدتش ولا ظرف والله ده أنا صارف فلوسى كلها على شرايطهم.. وإذا كان بعضهم قد قال إن الغناء المصرى يعانى من ورم خبيث.. فأنا أرى أنه يعانى من ورم حميد.. مالها بقى أغنية حميد الأخرانية (نفسى ومنى عينى) مسروقة من (قوليلى مين زيك والله مالك زى) بتاعة عبد الحليم!!! طيب وماله «كل العباقرة بيسرقوا.. هو عبد الوهاب لما غنى أحب عيشة الحرية مش واخدها من السيمفونية الخامسة لبيتهوفن!! السؤال.. نجح وألا لأ.. نجح بإجرام واكتساح.. أنا شخصيًا لا أنام من الأغنية ليل نهار ـ عربيات چيب وبنات وولاد.. نازلين رقص معاها فى الشوارع فى القهاوى فى الديسكوهات، واختلفت الأقوال حول الأغنية، قال لى أحدهم.. إن ميادة حينما غنت ما تجربنيش.... رد عليها حميد وقال نفسى

ومنى عينى.. وجهة نظر برضهُ.. قال بعضهم أن الفيديو كليب منقول.. وإيه المشكلة.. منقول.. منقول!! نجح وألا لأ.. الناس مبسوطة.. لكن.. وآخ من لكن هذه.. هل ستعيش؟! هل ستسكن الوجدان؟! هل ستدخل التاريخ!! كل هذه أسئلة ليست ذات موضوع.. هذه أغانى للفرفشة.. وهى مطلوبة.. مثل منلوجات شكوكو وإسماعيل ياسين زمان.. قانون هذا الزمان أن المطرب لا يريد للأغنية أن تعيش.. إنه هو الذى يريد أن يعيش..

أرجوكم دعونا من حكاية الغناء هذه نتكلم فى المسرح.. عشقى الأول والأخير.. أحب الزحام على الشباك ليس من أجل الإيرادات فأنا لا يدخل جيبى منها شىء.. ولكن المسرح فرجة.. وخروجة.. وتأهب للسعادة. أحب خلية العمل التى وراء الديكورات.. المساعدون والعمال والحركة الدائبة.. يذكرنى هذا بأمى حينما يأتى أهل أبويا للزيارة.. تصبح شعلة نشاط فى المطبخ.. الدقات الثلاث لبداية المسرحية.. أحبها أكثر من الجرس فهى الأصل.. يصرخ مدير المسرح.. ح نرجع التذاكر للناس.. الهانم ما جاتش.. والهانم طبعًا هى بطلة المسرحية.. لماذا ما جاتش؟!.. لا أحد يعلم.. ثم خطاب تانى يوم لأنها تعتذر عن الرواية.. السبب الوحيد القانونى للاعتذار أن تكون مريضة،.. ولكن المشكلة أن صحتها كويسة أوى. تطلع فتوى جديدة. أن للممثلة حق الإعتذار عن الرواية.. إذا كانت مريضة.. أو على سفر..

فى الرواية القادمة.. بعد أن توقع البطلة على الدور.. سأجلس معاها على انفراد وأقول لها.. قوليلى بصراحة فيه حد فى حياتك!! يعنى فعلاً مش مرتبطة.. فيه أى سفريات قدامك.. وبعد كل هذا إذا تركتنى أثناء العرض.. لن ألجأ إلى النقابة.. وإنما سأذهب إلى السيدة زينب واكشف رأسى وأقول حسبى الله ونعم الوكيل ياناس.. لنترك المسرح حتى لا تنفقع مرارتى.. نتكلم فى السينما.. تسأل المذيعة الممثل الذى لم ير كاميرا سينما من عشر سنين.. ولماذا لا نرى لك أفلامًا.. يضحك فى استعلاء ويقول.. هى فين السينما.. هى دى سينما.. أنا لا أشارك فى هذه المسخرة.. ومانشتات فى كل الصحف.. أزمة السينما أزمة السينما.. وبالصدفة وقع فى يدى عدد من مجلة الاثنين سنة ٤٦.. ووجدت المانشيت.. أزمة السينما مع وعد من النحاس باشا بحل الأزمة.. فى كل العالم يبيعون الأفلام وعلى الفيلم سعره والسعر هنا يحدده صاحب البضاعة.. إلا هنا.. أنت تعمل الفيلم ويأتى الموزع الخارجى واضعًا قدما على قدم.. وإحداهما فى وشك ويقول معاك مين؟! تقول له معايا فلان وفلانة.. يقولك.. أشيل على جوز جنيهات.. ستبيع غصب عنك.. مش بمزاجك.. وينهال علينا النقاد.. أفلام مقاولات.. أصحاب الكباريهات ينتجون.. يا للعار فين أفلام أنور وجدى؟! يا سيدى موجودة.. ولكننا نريد أن نعرف هذا الجيل ماذا يريد أن يقول كامننا!! وماله كل أفلام اسماعيل ياسين فيها كامننا..

حالة من البهجة والضحك ونسيان الهم الأزلى.. يأتى لى صديق أحيانًا.. ويبادرنى بقوله.. عاوز اتفك معاك شوية.. وكلنا هذا الصديق.. تعبنا من الأفلام التى نخشى أن نصرح بأننا اتخنقنا لما شفناها.. حتى لا نتهم بالجهل والسطحية وعدم معرفة اللغة السينمائية.. تعبنا من الأفلام الضلمة.. والبلاعات والصراصير والبيوت الحقيرة.. ومقالب الزبالة.. والعقد النفسية.. الأغنياء كلهم وحشين ورجال الأعمال نصابين.. والفساد مستشرى والهيروين ماشى.. رسالة الفن التنوير.. معاك.. ولكننا فى المدرسة نأخذ فسحة بين الحصص حتى لا تتأكسد أمخاخنا.. أحب أن أرى ابن رشد.. بالتأكيد.. ولكن بعد أن يدق الجرس وأخرج من الحصة الممتعة دى أحب أن أرى ابن الجنية هذا اللى اسمه هنيدى.. والكارثة الكبرى (ناس ذوق ذوق..) أشرف عبد الباقى والمصيبة العظمى أحمد أدم.. (معلش إحنا بنتكلم) والدمار الأزلى المنتصر بالله.. (وحصل خير إن شاء الله).. صلاح عبد الله وعلاء ولى الدين ومحمد الصاوى وحجاج عبد العظيم وضياء الميرغنى.. ومصطفى رزق، ومحمد محمود وطلعت زكريا.. وغيرهم.. فأنا مثل صديقى أيضًا.. عاوز أتفك شوية.. آه لو علمتم قيمة الكوميديان أنت حينما تنظر لوجهه تنسى همومك.. ويالها من معجزة.. ما بالك بواحد.. كلما التقيت به يقولك.. دفعت إيجار الشقة؟! والأقساط اللى عليك؟! ومراتك لسه عند أمها؟! وقرحة

المعدة لسة برضهُ؟! والضرائب بعتولك كام!! سمعت أن عربيتك اتخبطت.. الوش القدمانى والفانوس!! يا ساتر يارب.. ارحمنى.. لكن تخيل بقى سعادتك أنك أنت ومراتك متخانقين خناقة لرب السما.. وواقعين وقعة سودة ماذا تفعل؟ خذها فوراً لتحضر مسرحية لأى من هؤلاء المصايب الكوميدية فى المسارح السالف ذكرها، سيذوب الجليد وستضحك المدام.. وأنت ستفك التكشيرة راخر وتسَخْسَخ من الضحك.. ضحكة بضحكة.. ستضع يدك على كتف المدام وتقول لها.. خلاص بقى يا أم طارق.. صافى يا لبن.. صدقونى هذا ليس من نسج خيالى.. هذا يحدث بالفعل.. ومن هنا انتشر المثل الذى يقول يا بخته من وفق راسين فى الحلال.. إنه الكوميديان..

أعزائى.. انهالت على الكواكب الأسبوعيين الماضيين تليفونات تتساءل.. لماذا لا أكتب فى الفن برغم أنى أعمل بالوسط الفنى؟!.. أدينى كتبت.

أغانى ومعذبانى..

أعزائى.. نحن نعشق ونذوب ونتعذب ونعيش قصص الحب والغرام من خلال الأغانى، وبالذات تلك الأغانى (الحراقة) اللى فيها مواقف درامية.. ولهذا كل علامات الغناء فى مصر «أم كلثوم» و«عبد الوهاب» و «عبد الحليم».. لعبوا على هذه النقطة، وهى أن يحطوك فى الموقف الدرامى المشعوط ويسيبوك بأه وأنت الجانى على روحك.. والمفارقة الغريبة أن العباقرة الثلاثة ثومة وليمو وعبد الوهاب لم يتذوقوا لحظة عذاب حقيقية أو مرارًا كما كانوا يغنون.. وإحنا اللى اتعذبنا.. وتلك هى روعة الفن..

انظر إلى جمهور «أم كلثوم» فى حفلاتها التى تذاع بالتليفزيون تجد السميعة كلهم «حبِّيبه» وعايشين قصص تشيب يابا. وكان جمهورها يتابعها، ويمشى وراءها فى كل الحفلات.. فترى واحدة ست شيك وريحة بارفانها طالعالك م التليفزيون مندمجة وعايشة مع الست، وفى إيدها سيجارة.. إذا نظرت إلى وجهها تعرف قصتها

فورًا.. لو قالت أم كلثوم «أنساك.. ده كلام أنساك يا سلام أهو ده اللى مش ممكن أبدًا».. تهز المستمعة رأسها بإيماءة لا إرادية.. فأعرف أنا (باعتبارى أروبة) أنها تحب شخصا، ولا تستطيع أن تنساه.. ولكننى أراها هيه هيه نفس الست الشيك فى حفلة أخرى تومئ برأسها أيضًا والست تغنى «ستاير النسيان نزلت بقالها زمان» فأقول لنفسى (وأنا أروبة كما تعرفون) آه.. تبقى أكيد سابته..

وبرغم هذا التناقض الذى فى الأغانى، إلا أن الحب يتحمل هذا التناقض.. فالرجل حينما يحب يقول فى حبيبته أجمل الكلام وحينما يتعذب فى حبه يلعن اليوم الذى شافها فيه، ولكن يصل الحب ببعض الناس أحيانًا إلى درجة من درجات الجنون فاسمع فريد الأطرش مثلاً فى إحدى أغانيه ينتظر حبيبته ولكنها كالعادة تديله بومبة، وهو مع ذلك مُصر على اللقاء.. «ح أقابله بكره» ويصرح فريد فى أغنيته بأن حبيبته إذا لم تأت بكره سيقول إن بكره هو اللى ما جاش وح أستنى ليه ما ستناش؟! سيظل واقفًا فى الشارع يومين فى انتظار حبيبته.. واضح طبعًا أنه فاضى وأبيض يا ورد، وإذا كان لقاؤه معها يوم الجمعة سيظل واقفا حتى يأتى يوم السبت وسيذهب الناس إلى أشغالهم والعيال إلى مدارسهم، أما هو فسيظل يتعامل مع يوم السبت على أنه يوم الجمعة.. وجهة نظر!! وبرغم هذا إلا أن الموقف الدرامى جميل.. هذا العاشق المنتظر الذى لا يكل ولا يمل.. صورة فقدت نهائيًا من واقعنا العاطفى.. لأنه حتى لو

توفرت لعاشق التسعينيات الرغبة فى الانتظار، فبالتأكيد ستواجهه مشكلة أخرى أنه لن يجد لعربته ركنة.. وتلتقى مشاعر الحب الصادق مع أحاسيس كلها خوف.. خوف على الحبيبة.. حتى فارس الفرسان عنترة بن شداد فى خوفه على معشوقته (عبلة) كانت تنهار فروسيته وقوته وقلبه الجامد.. ويصبح شابًا أمُّور فى نادى الجزيرة.. 'بس روح لعنترة كده، وهو نازل ضرب فى القبائل بسيفه البتار، وقول له عبله بعافية شوية.. سيسقط السيف من يده وسيترك المعركة ويجرى ع البيت وفى إيده كيس برتقان وجايبلها معاه كونسلتو.. حتى عنترة بن شداد حينما نظر إلى جبل التوباد بكى. واتشحتف ورفس فى الأرض برجله وغنى: (وأجهشت للتوباد حين رأيته وأجهش لى التوباد حين رآنى).. وتلك هى عبقرية الحب.

ولا أنسى تلك الحبيبة التى غنت لحبيبها.. من بعيد يا حبيبى بسلم.. من بعيد من غير ما اتكلم.. لم يعرف أحد لماذا أصرت على أن تسلم عليه من بعيد أنا بأه اتطقست وعرفت.. المسألة إن حبيبها كان واخد دور برد شديد قوى ورشح وانفلونزا، فإذا سلمت عليه من قرب حتاخد منه العدوى وترقد لها أسبوع فى السرير، ولهذا إذا قام بالسلامة فلا مانع من أن يغنى لها.. تعالى.. بص لى.. قرب كمان قرب هنا جنبى وهات شوقك على شوقى، وهات حبك على خبى.. ولذا فموضوع الأغنية يجب أن يخرج من موقف ما فى قصة حب كما أنه تقرير إخبارى لحالة العاشق.. فإذا تركته الحبيبة

يغنى باكيًا.. راح.. راح.. راح.. خد قلبى وراح.. وإذا عادت إليه الحبيبة ما المانع أن يغنى مهللا.. جه.. جه.. جه جاب قلبى وجه..

صدقونى لا تنجح أغنية إلا إذا لمست الوجدان.. حتى لو كانت أغنية سوقية ركيكة.. ففى أعماقنا أشياء ركيكة أيضًا فالمصرى بالذات هو الوحيد الذى تهفه نفسه على حتة طرشى، مهما كان قدامه كافيار ومايونيز وبلاوى زرقا.. وعندنا تعبير ليس له ترجمة فى أى لغة أخرى.. نفسى فى حاجة حرشة.. وينطبق هذا على الفن أيضًا..

ولذا نجحت كل الأغانى التى تتكلم عن السمار.. ما دام الحبيب أسمر أو الحبيبة سمراء غنى وأنت متطمن.. وكلمة أسمر لها سحر عجيب فى الأغنية المصرية.. وخد عندك.. أسمر يا اسمرانى لعبد الحليم.. وأبحث عن سمراء لمحرم فؤاد.. وأنت احلويت قوى يا سمارة لما اسمريت لمحمد منير.. وبحبك يا اسمرانى لإيهاب توفيق وجانى الأسمر جانى لعتاب.. وغيرها.. وغيرها... نجحت كل الأغانى السمراء هذه لأن الغالبية العظمى مننا لون بشرتهم، تبدأ من فيلكس بتاع الأهلى وأنت نازل.. ولذا تعد هذه الأغانى مذكرات الدفاع عن القاعدة العريضة السمراء أما إخواننا البيض، فليسوا فى حاجة لدفاع لأنها ماشية معاهم بصراحة.. والريس متقال كان أكثرنا جرأة حينا صرخ صرخته العنيفة فى وجه كل السمر، قائلاً: البت بيضا وأنا أعمل إيه؟!!

ع الضيَّق

كيف تكتب أغنية عاطفية؟ أنا أقول لسيادتك.. حب واحدة فإذا جعلتك تعيش فى جنة ونعيم وخلت حياتك أخر جمال اكتب قول.. اسبقنى يا قلبى اسبقنى ع الجنة الحلوة اسبقنى.. وإذا طينت عشتك ورأيت بعينيك تلك النجوم التى تظهر فى عز الظهر، وسهَّرتك الليل لترى النجوم الثانية بتاعة بالليل.. فأصبحت حياتك كلها نجومًا.. وتلك هى المرحلة السابقة على طول لما يسمى بانفصال الشبكية.. هنا تكتب وتقول دمرتنى لأننى كنت يومًا أحبها.. ويمكن أن تكمل الكوبليه بجملة (ساعدوا عاجز النظر).. أريد أن أقول إن الحب فى الأغانى هو كلام موجه من الحبيب إلى الحبيبة وبالعكس.. يعنى الموضوع كان (ع الضَّيَّق) ولا أنكر أن هناك محاولات فى الأغانى لتوسيع الموضوع شوية.. محمد فوزى مثلاً حينما قال جريت ورا عمه وبوست إيد خاله، وظهور العم والخال فى الأغنية العاطفية هنا كان على أساس أنهما من العيلة ومفيش حد غريب.. أما محرم فؤاد

حينما قال.. يا مين يوصلنى لأبوها وإلا لأخوها وأدفع مهرين، ربما كان هذا لأن الحلوة كان أبوها يشغل مركزًا حساسًا ومقابلته ليست سهلة، وأخوها الكبير ضابط فى أمن الدولة ومش فاضى له.. ومحرم هنا يريد واسطة لكى يستطيع أن يقابلهما.. ولكن برضه تظل المسألة ع الضيق.. فدخول الأب والأخ فى الموضوع دخولاً واجبًا، وفى شعر الغزل القديم أيام الجاهلية كان الذى ينسب (يتغزل) يعنى فى واحدة ليس بينه وبينها رباط رسمى.. يمنع من الزواج منها. إنهم يريدون أن يمسك الحبيب لسانه قليلاً.. حتى لا يجرِّس البنت.. وليس أطرف من الأخ جميل بن معمر حينما كان يحب بثينة، وقالوا له إحنا ف عرضك يا عم جميل أوعى تجيب سيرتها فى شعرك عشان نقدر نمشيلك فى الموضوع.. فإذا به يكتب:

لا لن أبوح بحب بثينة

إنها أخذت على مواثقًا وعهودًا

قال..... يعنى كده ما قالش!!!؟!

أما أغانى هذه الأيام فقد وسعت الموضوع وخلته ع البحرى ودائما أرى البنت التى يحبها المطرب بين شابين ويدلل هذا على الحرية التى تعيشها بنات هذه الأيام فيقول هشام عباس.. عمال يحكى لى عنها.. عمال يوصف لى فيها.. وينصح صاحبه بأن يكف عن الكلام عن حبيبته أمامه وإلا ستزوغ عينه عليها ويُشْقُطْها منه.. وفى أغنية أخرى بعد أن مشى معاها وقعد له فترة زهق منها فجأة وقال

لصاحبه.. حلال عليك.. حلال عليك، أما المطرب خالد على فقد وقع فى أزمة أخطر.. فيقول: محتار أختار مين فيهم هما الاثنين عاجبنى.. وإذا كانت المشكلة مشكلة اختيار فأنا لا أرى مشكلة يا بو الخلد.. المهم أن تعدل بينهما، يعنى زى ما تجيب لدى.. جيب لدى.. أما الذى وسع الحكاية أكثر أن تعترف لطيفة لحبيبها.. أرجوك أوعى تغير.. أنا حواليا كتير.. ثم تجد الحل بعد ذلك فتقول.. عشان بحبك وأخاف تغير بخبى عنك حاجات كتير.. وتموت البنات كلهم فى أغانى لطيفة، ربما لأنها تسمح لهم بأن يداروا ع الموضوع ويكفوا ع الخبر ماجور.. لأنها لو قالت لحبيبها أنها حينما كانت تحضر عيد ميلاد چى چى صاحبتها.. عاكسها عمرو أخو چى چى، وأصر أن يرقص معها وهى ما رضيتش تكسفه، وقال لها أثناء الرقص إنها البنت التى يحلم بها وخطف منها قبلة بريئة فى نهاية السهرة.. لو قالت لحبيبها ذلك سيعكنن عليها وسيمنعها من الذهاب لچى چى، لذا فهى تقول لنفسها مثل لطيفة.. دى حاجات بريئة بس الحقيقة البعد عنها أسلم طريقة، ولذا فحينما يسألها حبيبها كنت فين امبارح، ستقول له.. كنت مع ماما عند دكتور السِّنان وما تجيبش سيرة عمرو ولا غيره.. ونوال الزغبى.. تصرح بملء فمها.. ولا بيهمنى أبدًا منهم.. إيه يعنى أكون حلوة فى عينهم.. وهكذا كما ترون الحكاية وسعت برضه، ولم تعد مقصورة على الحبيب والحبيبة.. ناس تانية دخلت فى الموضوع.. وأعتقد أن هذه الأغانى (الجماعية) تعبر عن المود العام الذى يعيش فيه الشباب، وسادت

ظاهرة نوادى البلياردو التى تفتح للفجر ويلتقى فيها الشباب والبنات.. والبلياردو كان يظهر فى الأفلام القديمة يلعبه ناس كُبَّارة غالبًا ما يكون رئيس عصابة مع البطل ويستخدم المخرج الكرة، وهى تنزل فى الفتحة استخدامًا رمزيًّا يتبعه علطول بجملة من رئيس العصابة.. أنت وقعت يا أحمد خلاص.. أما بلياردو هذه الأيام فلا يحتاج إلى رمز.. ما تفسير هوجة البلياردو؟ أقول لسيادتكم إنها أماكن (التعليق) ولا مؤاخذة ست بنات شاهدتهن يدخلن نادى البلياردو على سنجة عشرة بعد الثالثة فجرًا..

جايين منين الساعة دى؟! مش عارف!!

رايحين فين بعد كده؟! عارف..

ولذا انعدمت الخصوصية. فالشباب يظهرون دائمًا فى جماعات.. تيجوا ناكل فتة؟! الكلام ده الساعة أربعة صباحًا.. ياللا.. وتمد البنت يدها فى طبق الفتة وتأتى على آخره. ثم تحبس بالشيشه وبعدها تيجو نروح الديسكو.. ويتحركون شراذم وجماعات.. ولا ألوم على خالد على أنه يحتار فى اختياره.. فالستة كانوا عاجبينى بصراحة.. وأتذكر وأنا فى هيصة نادى البلياردو أغنية وان رحت مرة تزور عش الهوى المهجور سلم على قلبى.. وأتساءل والسؤال موجه إلى عمنا الشاعر الكبير إمام الصفطاوى.. أين هذا العش المهجور بتاع الهوى.. أعتقد أنه كتبها حينما كان ميدان العباسية جزءًا من الصحراء الشرقية وكانت الخلوة فى الحب متوفرة..

أصبح الحب اليوم ضجيجًا.. صراعًا.. زحمة كان يكفى جدًا بالنسبة لعبد الحليم أن يقف هو ومريم فخر الدين ع البحر فى إسكندرية وحدهما فى الرواقة.. الكورنيش كله بتاعهم ويغنى لها.. الشعر الحرير ع الخدود يهفهف ويرجع يطير.. ع الضيق كده، وفريد الأطرش.. أنا وأنت.. أنا وأنت وبس.. (من حقه) اليوم أرى المطرب واقفًا يغنى بحبك.. وبجواره عشرين بنت اللى ترقص واللى تغمز بعينيها.. فلا أعرف على وجه التحديد هو بيحب مين؟ وفى أغنية غلطة لهانى شاكر حينما خانته حبيبته لاحظوا معى المشهد لم يظبطها مع واحد!! وإنما ضبطها مع ثلاثة.. وأعتقد أن هذا الغزل الجماعى هو غرض شعرى جديد يضاف إلى الأغراض الشعرية التقليدية التى ابتدعها الشعر العربى.. فهذا غزل عفيف.. وهذا غزل صريح.. وهذا غزل جماعى.. أتصور أغنية جماعية تغنيها مطربة من جيل الأغانى الجماعية تقول فيها..

تانى ح أحب تانى.. غير جوزى الأولانى.. وخطيبى التانى سبته. وكرهت معاه زمانى لكن كل الأمانى.. لقيتها فى قلب تانى.. وقلبى الأولانى.. أديته لحد تانى.

وهكذا تصرح الحبيبة أنها أقامت أربع علاقات فى أغنية واحدة، وهو فى الغناء مسموح به شرعا، أما الرجال فالمسألة بالنسبة لهم مفتوحة شوية عن كده.. يقول المطرب الجماعى وهو عضو فى نادى

الجزيرة وطالب يدرس فى الجامعة الأمريكية.. وله علاقة وثيقة بعدد كبير من عبدة الشيطان.. يغنى قائلاً:

حبيت السكشن كله.. أول ما خاصمت النادى.

وقدرت أثبت للنادى.. إنى ح أقدر أنساه.

وهنا أحب المطرب فى حدود من ألفين إلى ثلاثة آلاف بنت، وهى سابقه تحسب له فى الحقيقة.. تقول چى چى لصديقتها.. مش سوزى اتجوزت؟! فتسألها صديقتها اتجوزت مين فترد چى چى واحد فتندهش صديقتها قائلة.. واحد بس!!!

❁ ❁ ❁

وَلَّعْها.. وَلَّعْها

دخل الممثل الشاب ومعه جوقته (الشلة يعنى) التى تطبل له فى المجالس والقعدات وقال لنا المتحدث الرسمى الخاص بالممثل الشاب.. والله العظيم الأستاذ ده مظلوم.. ده يعمل كل الأدوار.. چان يمشى كاراكتر يمشى.. شرير يمشى.. كوميديان يمشى.. طالب فى الجامعة يمشى.. أب لسبع عيال يمشى.. قلت له مداعبًا.. عارف بأه أحسن حاجة يعملها فى ده كله إيه؟! قال لى إيه؟! قلت له.. يمشى!! ونظر لى الممثل الشاب، وهو يفتعل الضحك وقال لى.. ماشى.. عليا النعمة بكره ح أبقى نجم وح اقعدهم كلهم فى بيوتهم.. واستوقفتنى الجملة هل أنت لكى تنجح يجب أن أقعد أنا فى بيتى.. وهل لكى يحبك الناس لابد أن يكرهونى؟! ثم ما حكاية ح أقعده فى بيته هذه.. هل القعاد فى البيت يعد دليلاً على الفشل.. ليس شرطًا.. عندك محمود مرسى.. قاعد فى بيته سنين.. وفى قمة النجاح.. بينما غيره..

خرج (يمثل) ولم يعد (إلى بيته) منذ سنوات طويلة، ومع ذلك لم يضبط متلبسًا بنجاح..

تعبيرات عنيفة انتشرت فى الوسط الفنى.. أسمعها هنا وهناك. أسمعها فتصدمنى.. يقول الممثل الكوميدى لصديقه الكوميكى الآخر.. شفت الإفيه ده بأه.. صريخ.. يقصد يعنى أن الجمهور صرخ من كتر الضحك والإفيه ده بأه.. بيكسر الصالة.. يا منجى من الإفيهات يارب.. تعبيرات غريبة وتستحق الدراسة.. فهم يسمون الرواية أو النص المسرحى أو السينمائى (الورق).. يقولك.. بعثت لك ورق ما قريتش لسه؟! ورق!! ورق ماذا ورق لحمه!! ورق عنب.. ورق جرائد.. ورق تواليت؟! إنه الورق الذى عصر المؤلف دماغه وخبطها فى الحيط وكتب وشطب وقطع عدة مرات حتى أصبح موضوعًا.. واسمعهم يقولون عن الفنان الفلانى.. وهو نجم وممثل كبير.. فلان كويس بس ما بيعش؟!

وأسألهم وفمى مفتوح ع الآخر فى بلاهة منقطعة النظير: ما بيبيعش إيه؟!

يرد المتحدث فى فقه: ما بيبعش بره.. فى الخارج يعنى.. وما حكاية هذا النجم الذى يتقاضى هذا الرقم المهول وأفلامه تقع ورا بعضها؟! حلوا لى هذه المشكلة..

فيرد المتحدث بثقة أكبر: أصله اسمه بياع..

لاحظوا معى اللفظة.. بياع!!!! لغة الوسط الفنى تغيرت، أخذت

شكلاً ماديًا عنيفًا فهم يسمون العمل الفنى سَبُّوبَه وأحيانًا (مرَمة)، وأنا لست ضد هذه التعبيرات إذا كانت بين الحرفيين فهى مناسبة لطبيعة عملهم، أما الفنان فهو صناعته الكلام.. وغالبًا الكلام الجميل.. فأين الجمال فى مثل هذه التعبيرات يعجبنى فى الأطباء مثلاً.. إنهم لهم طريقة فى الحديث.. فهم يرطنون مع بعضهم بعضًا بالإنجليزية وتقف بينهم مثل الأطرش فى الزفة لا تفهم شيئًا مما يقولون..

ذهبت مرة إلى أحد الأطباء أشكو من ألام فى المعدة.. كشف عليا ونظر إلى زميله الطبيب، وقال مثل اسماعيل ياسين: بوللين مستكاين استكاينى ليبون كوندنسد..

وتغيرت ملامح الطبيب الآخر قائلاً: معقول يا دكتور ده مستكانس هربرى فرنچد.

قال له: إزاى ستوماك مالاتو دى برطوشه. وصرخت فيهما قائلاً: برطوشة!! والله العظيم ما أكلت حاجة من يومين؟!

وحينما كنت أعمل مرشدًا سياحيًا فى فترة من حياتى.. كنت ألاحظ هذا التناقض بين طبيعة المهنة وبين اللغة التى نتعامل بها كمرشدين سياحيين.. فأنت مع الجروب السياحى طوال اليوم تتعامل مع التاريخ والآثار والتماثيل واللوحات.. والجمال بكل أنواعه.. وحين نجلس معًا نتكلم عن العمولات، التى كنا نتقاضاها فنسمع

مرشدًا سياحيًا يقول كشطت الزبون.. ودبحت الجروب.. يعنى أنه كسب منهم أكثر ما يمكن..

أعتقد أننا عندنا أزمة فى طريقة التعبير.. ليس فى الفن وحده، وإنما فى مجالات كثيرة أيضًا... ويبدو الله أعلم أننا نعيش عصرًا غريبًا يغنى فيه سيد سيكا من بولاق أغنيته الشهيرة العبثية «شَعْلِّلها شَعْلِّلها.. وَلَّعها.. وَلَّعها.. ولا يقدر على القوى إلا الشديد القوى».. وأنا أضم صوتى إلى صوت الأخ سيكا.. مطالبًا بأن نولع فى كل هذه الألفاظ التى دخلت علي مجتمعنا.. وانشاله أكل.. أنا عيش.. حاف.. حاف.. حاف..

❁ ❁ ❁

زيتنا فى دقيقنا

ظاهرة تستحق الدراسة تلك التى يمكن أن نطلق عليها (الأفلام العائلية)، والمقصود بكلمة عائلية أن هذا المنتج أو هذا المخرج يعمل فيلمًا لزوجته فإذا كان لها جوانبها الإيجابية التى تتمثل فى إظهار مشاعر الود والعرفان فى العائلة، إلا أن لها جوانبها السلبية أيضًا وهى أن تظهر أفلام ليس بها أى ود أو عرفان بالجمهور.

وفى السينما العالمية نماذج لهذه الأفلام العائلية، بدليل أن كارلو بونتى أنتج لصوفيا لورين ـ زوجته ـ أفلاما بالزُّوفة، ولم يهاجمه كاتب ثقيل الدم مثلى وحشر مناخيره فيما ليس له فيه، وهذا ليس لأن لهذه الأفلام العائلية حرمة لم يجرؤ النقاد على خدشها، ولكن لأن المسألة فيها فنانة اسمها صوفيا لورين ـ أما إذا أنتج كارلو بونتى لفنانة مثل «نبوية أوعى رجلك» فيلمًا واحدًا لأخذه على الفور بوليس آداب روما من قفاه بتهمة إفساد الذوق العام.

وإذا كان هذا المنتج أو المخرج لا يستطيع أن يشكمها فى البيت لأسباب عائلية، فبالتأكيد أنها ستشكمه فى الفيلم لأسباب عائلية أيضًا ـ تعالوا نفترض أن صوفيا لورين وزوجها سهرا معًا حتى الصباح، وكانت ليلة خميس مفترجة وكانت ليلة يا عمدة.. وفى اليوم التالى ذهب زوجها إلى التصوير وجاءت هى متأخرة عن الأوردر.. هل سيجرؤ عم كارلو بونتى أن يفتح فمه؟!!

المجاملات بين الزوج وزوجته ليس لها مكان، إذا كانت النتيجة فيلمًا.. من حقك أن تفاجئ زوجتك فى عيد ميلادها بأن تدخل عليها، وفى يدك إسورة ألماظ، لأنها فى النهاية هى التى ستلبسها ولكن أن تدخل على زوجتك وفى يدك مخرج وفى يدك الأخرى فضلة خيرك مؤلف أو اثنين.. فالنتيجة فيلم ليست هى التى ستلبسه، وإنما فى الغالب سيكون الجمهور.

والحقيقة أن حكاية أن يفرض الزوج زوجته على الآخرين حكاية لها جذور تاريخية... فالملك رمسيس الثانى ذهب إلى حدود النوبة عند أبو سمبل وأحضر العمال والصنايعية وعربات الزلط والرمل، وطقت فى دماغه هو أيضًا أن يبنى فى هذا المكان معبدًا.. لمين؟! للست.. أعنى الملكة نفرتارى... طيب يا عم رمسيس يا تانى.. العالم الغلابة دول ذنبهم إيه؟! والعالم الغلابة دول يزدحمون اليوم على باب السينما وقد اقتطع كل منهم قيمة التذكرة من لحم الحى يريدون البهجة والمتعة والفن.. ولكنهم يرون فيلمًا تفصيل على

مقاس البطلة زوجة المنتج أو المخرج.. والمأساة هى أننى تصورت - ومن حقى أن أتصور - ما سيحدث إذا كان المنتج هذا له أربع زوجات، فهل يبيح له الشرع أن ينتج أربعة أفلام بواقع فيلم لكل زوجة.. وهل سيعدل بينهن حتى لا تنظر كل زوجة إلى فيلم ضرتها، وهل ستكتب الزوجة هذا الفيلم فى «القايمة»؟!

هذا إذا كان المنتج هو زوج البطلة، أما إذا كان المخرج زوجها تصبح المصيبة أعظم لأن هذا المخرج يرى فى زوجته مواهب وإمكانيات لا نراها نحن.. فيجعلها تغنى وترقص وتمثل كوميدى وتراچيدى.. ولا أحد يصفق أو يضحك أو يبكى إلا هو.

والعمل فى السينما بطريقة (زيتنا فى دقيقنا) هذه ستخلق جمهوراً مستسلمًا لهذه الأفلام العائلية، وبدلاً من أن يسأل من هذه البطلة؟! سيقول زوجة من هذه البطلة؟! وسوف تنظر السيدات إلى الشاشة فى حسد، وهن يتفرجن على الفيلم قائلات: يا ختى جوزها مش حارمها من حاجة.. ده مكلف فيلمها الشىء الفلانى.. وهذه الأفلام العائلية ستخلق جمهوراً عائليًا أيضًا، سيتنحنح قبل دخوله دار السينما ويصفق بيده.. إحم.. يا ساتر.. دستور يا أهل الله ياللى هنا.. لتكون البطلة خالعة رأسها، وإلاّ حاجة؟! وفى علم الوراثة والجينات قال ذلك العالم الألمانى الذى نسيت اسمه إن زواج الأقارب ليس مستحبًا لأنه فى كثير من الأحيان ينتج أطفالاً متخلفين عقليا.. وقد أكدت أم عيد الخاطبة كلام العالم الألمانى، فكما كانت

توفق رأسين فى الحلال بحكم مهنتها، كانت تفرق بين البنت وابن عمها والولد وابنة خالته حتى لا ينجبا أطفالاً متخلفين عقليًا، وأنا أيضًا أؤيد نظرية أم عيد فى السينما، وأؤكد على أن الأفلام العائلية تنجب أعمالاً فنية متخلفة عقليًـا.. وربنا يشفى.

❁ ❁ ❁

اشمعنى ده بالذات؟! وأنا لأه!

الحسد موجود فى القرآن.. والعين فلقت الحجر نصفين.. والناجح يرفع إيده ليس تباهيًا بنجاحه، وإنما ليخمس بها فى وجه الحاقدين والحاسدين، فكما خلق الله فى هذه الدنيا الناجحين خلق سبحانه وتعالى أيضًا المفروسين والمغلولين.. ونحن لا نسأل أنفسنا بصورة منطقية لماذا ينجح فلان؟! وإنما نقولها ونحن نجز على أسناننا فى غيظ لماذا ينجح فلان ده بس؟! على إيه!! فيه إيه زيادة عنى!!

وفى مشوار النجاح ظواهر كسرت الدنيا بنجاحها عدوية مثلاً قالوا إنه نجح لأنه خاطب الطبقات الشعبية وكلمها بلغتها، وهذا صحيح ولكن الشىء الملفت للنظر فى أغانيه هذا الغلب الأزلى والإحساس بالنقص تجاة المحبوبة فنسمعه يقول لها: يا أهل الله ياللى فوق (ما تبصوا على اللى تحت) أو يقول كله على كله.. هو فاكرنا إيه (مش ماليين عينه).. لاحظ أنه دائما ما يتصور المحبوبة تنظر له من أعلى، وأنه لا يملأ عينيها وحالته تصعب على الكافر، أو يقول لبنت

السلطان: حِنِّى على الغلبان المية فى أيديكى وعدوية عطشان، هل يعيش فى صحراء قاحلة أو المنطقة التى يغنى فيها لم تصل إليها مواسير المياه بعد. وحينما يقول لبنت الغاليين حنى على المسكين ياللى خدودك فاكهة وكلامك فيتامين.. المسكين هنا ينظر إلى الفاكهة على أنها مطلب غال بعيد المنال، أما الفيتامين فهو منتهى الرفاهية بالنسبة له..

ونجح عدوية وكان أداؤه الحزين خير معين للتواصل مع هذه الطبقات.. وربما تجد عبد المطلب مثلاً كان يقول كلامًا به نفس الغلب ونفس التوسل، ولكن أداء طِلِب الهجومى العنيف كان يصل إلينا بطريقة أخرى.. فأسمعه وهو يغنى يا أهل المحبة. (أدونى حَبَّة من فضلكم) إنه لا يستجدى فى أدائه.. وإنما يقولها بعصبية وعنف ويشخط فيها وكأنه يجرجرها من شعرها.. يا أهل المحبة المحبة أدوونى حابا.. آه آه الرجل لا يشحذ، أنت تشعر أنه سيضربها قلمين أيضًا.. إنه ابن بلد جدع وأيده طَرْشة.. ونجح طلب أيضًا مع الطبقات الشعبية أما أغانى هذه الأيام، فنجد فى كلامها أحيانًا بعض الميوعة والتخنث، ومعظمها يدور فى غرض شعرى واحد.. وهو أن واحد بيعاكس واحدة وهى لا تعيره اهتمامًا، ولا تسأل فيه ولا تعبره.

وإذا كنا تقبلنا من فايزة أحمد ذات الصوت الأنثوى الرقيق أن تقول أنا قلبى إليك ميال.. فكلمة ميال لا نقبلها من رجل.. ربما

نتقبل أن يقول بحبك.. يقول أهواك.. أما ميال هذه.. ما علينا.. اسمع هذه.. رجل آخر يقول مهما جانى حد تانى مش ح أوافق غير عليكى.. هل تتقدم العرايس لخطبته بالزوفة.. وهل هو يوافق أو يأخذ فرصة ليفكر!! أو ما الحكاية بالضبط، تخيلت الرجل ممسكًا بصينية الشربات، ويدخل للعروسة التى تقدمت لخطبته ويضعها فى خجل ويخرج مسرعًا من الحجرة.. ليختلى بنفسه ويغنى.. مش ح أوافق غير عليكى.

وصاحبت ظاهرة الميوعة الكلامية الغنائية للرجال من المطربين ظاهرة الخشونة عند مطربات أخريات... فنرى واحدة تقف وهى تزغر لواحد غلبان وتقول له: إنذار.. إنذار!! وأخرى تقول: لا يمكن أرجع لك ما لم ترجونى قُدام الناس وعيونك تبكى بإحساس.. هل هذا معقول.. راجل يقعد يعيط، وقدام الناس كمان.. هيه ماسكة عليه ذلة ولا إيه.

أنا عندى اقتراح فى الحقيقة إذا أخذ به أولو الأمر فى الغناء سيعدل مسار الأغنية المصرية.. خلو المطربين يغنوا أغانى المطربات وبالعكس.. ومع ذلك فهم نجحوا وكسروا الدنيا لا أحد ينكر ذلك، ولكن لماذا نجحوا.؟ لأنهم يعبرون عن الواقع أصدق تعبير، فالشباب غلبان فعلاً ولا يستطيع إلا أن يعاكس ويحلم ولكنه لا يحب.. فإذا وقف ذلك الشاب اللى زى القمر ليعاكس تلك الفتاة الجميلة.. وإذا تصورنا مثلاً مجرد تصور أنها وقفت فى أدب جم وبرقة شديدة، وقالت له.. أنا أيضًا معجبة بك.. تعال واطلبنى الآن من بابا.. أنا

موافقة.. فى الحال، ستظلم الدنيا فى وجه الولد.. وسيرى أمامه الأربعة مستحيلات.. الشقة والمهر والشبكة والجهاز.. ومواويل سودة أخرى.. سيجرى مبتعداً يبحث عن أخرى يعاكسها فقط.. إنه لايريد أن يستغرق فى حب لأنه يخشى أن يتعذب على الفاضى.

إنه يريد أن يصفق ويضحك ويتمايل ويرقص، لأن هذا هو الذى يقدر عليه. والمطربات لا يردن أن يرحمنه. بل ينهلن فوق دماغه أنا باتحداك.. إنذار، ولهذا نجحن أيضًا.. والشباب اليوم وهو يغنى لمحبوبته تشعر أنه يجرى وراءها ليس مستقرا بجوارها.. اسمع الإيقاعات السريعة تجد أنه ليس عنده وقت ليضيعه.. إنه يريد أن يأخذها من ذراعها ويجريان إلى أقرب ديسكو بعكس ذلك المحب الكسول الرايق، الذى يتمطع ويتثاءب ويقول: يا رايحين الغورية.. هاتوا لحبيبى هدية..

يا أخى قوم أنت وهز طولك وانزل واشترى لها ما تريد، بدلاً من أن تتعب الناس معك.. إنه إيقاع العصر..

نحن لا نغنى كلمات وألحانًا.. نحن نغنى سياسة واقتصاد وعلم نفس واجتماع أيضًا، فحينما يغنى عبد الوهاب: «وعشق الروح مالوش آخر، لكن عشق الجسد فانى» كان ذلك هو لسان حال عصره، فالأمور مستقرة والأحوال فُلْ؛ ولذا فأنت تصدق ذلك، ويمكن أن تتقبل أيضًا أن يحب أحمد رامى فتاة لم يرها أبدًا.. كانت واقفة خلف المشربية ويظل يمر من أمام بيتها يوميًا ويكتب فيها

أجمل القصائد، ويتخيلها كما يريد ليكتشف بعد سنوات وعشرات القصائد أنه كان يحب قُلة.. مجرد قلة وأن لا أحد خلف المشربية، وكان موقفًا باردًا بالتأكيد.. لكنهم نجحوا وغيرهم سينجح، لأنهم كانوا لسان عصرهم.. صدقونى لا ينجح فى هذه الدنيا من لايستحق النجاح، ويا أيها القابع فى حجرتك تلعننى وتأكل فى أظافرك، وترى أنك أحق منى بأى نجاح حققته ستظل تأكل فيها إلى أن تأكل أطرافك كلها.. من انشغل بغيره مات كمدًا وطوبى للناجحين. وطوبة للفاشلين.. طوبة جامدة أوى.

❁❁❁

ألاقيش عندك تيمه جديدة؟!

حينما أقرأ أحب أن أسمع ما أقرأه.. وانفعل به لدرجة تؤهلنى لزيارة قصيرة لمستشفى بهمان للأمراض العقلية.. يهبلنى الكاتب الروسى الرائع تشيكوف، فتطلع منى جملاً قصيرة دون وعى وأنا جالس وحدى فى حجرتى أقرأ.. جمل قصيرة مثل «يا ابن اللذينة».. «إيه ده» «ده أنت مجرم».. وكل هذا طبعًا على سبيل الإعجاب.. فتدخل أمى المسكينة إلى الغرفة، وقد سمعتنى أكلم نفسى وتنظر لى نظرات ذات مغزى.. فهى طول عمرها تؤكد أن القراءة ستلحس مخى. والمؤلفون بالنسبة لى كالمطربين.. لهم حس.. العقاد صوته عالى يخرم أذنى ولكنه فخم ومهيب، وطه حسين يهمس لى ولكن ليس أى همس.. أما يوسف إدريس فصوته غريب.. يصدمنى.. يخدعنى.. يبدو هادئًا طيبًا وفى حاله.. وفجأة يرزع واحد يا ليل بقوة الزلزال الأولانى ده.

ولأنى سَمِّيع أكثر منى قارئًا محترمًا.. بمعنى أننى لا أستطيع أن

أقرأ وأقعد ساكت ـ فأنا عندى مشكلة حينما أكتب.. إذ ينتابنى شعور خفى أننى لا أكتب وإنما ـ بعيد عنكو ـ أغنى ـ والمقال بالنسبة لى ليس المقدمة ثم الموضوع ثم المغزى أو الناتج النهائى للمقال.. لا.. المقال بالنسبة لى مطلع وكوبليهات وقَفْلة ولذا فأنا اتعذب حينما اتجرأ بحماقة وأمسك قلما وورقة وأشرع فى الكتابة أو فى الغناء يغنى.. خصوصًا وأنه لا يزال يتردد فى أذنى أصوات كامل الشناوى وتوفيق الحكيم، وهذا الكاتب الشعبى المعجزة نجيب محفوظ.

قال لى الأستاذ الكبير الناقد رجاء النقاش:

عندى لك كتاب اسمه (How Not To Write A play?!) يعنى كيف لا تكتب مسرحية؟!

وللحق لم يقصد الرجل أن يعرفنى الطريقة التى أتوقف بها عن الكتابة حتى يريح منى القراء.. فهو للأمانة خير مشجع لى ولغيرى من الأصوات الشابة الجديدة فى عالم الكتابة.. ولذا فأنا أحب قبل الكتابة أن أعد لنفسى وليمة سَرَحان، ولأننى أعلم جيدًا أننى لن أذهب إلى الموضوع، وأن الفكرة هى التى ستأتى لحد عندى كده من نفسها.. فأنا أترك شاشة ذهنى تعرض ما تراه بلا أى تحكم منى، وما أكثر الأفكار المقاولات التى تعرضها، ولكنى فى النهاية أنا الذى أختار.. تتحرك كاميرا دماغى فى المكان المحيط بى، هذا الرجل الأصلع ذو الكرش الذى يشد أنفاس النارجيلة يشدنى إليه.. من

هذه السنيورة ذات العشرين عاما التى تجلس بجواره.. أخته!! ابنته!! زوجته؟! حبيبته؟! ولكن كيف؟ هل أجبرت الفتاة على الزواج من رجل فى عمر أبيها؛ لأنها تعانى من ظروف مادية صعبة!! وتسطع شاشة ذهنى العفريتة.. لابد وأن أمها مريضة وفى حاجة إلى نقود.. ما هذا.. موضوع مستهلك وليس جديداً على الإطلاق.. دع الرجل ذا الكرش فى حاله.لن أكتبه. وأمزق الورقة.. انظر هنا.. تدخل المرأة الجريئة العينين.. المقتحمة فى صفاقة.. تخترقنى نظرتها، فأنظر إلى حذائى فى خجل.. أنا الذى أخجل.. تجلس على مقربة وحدها فى المكان.. تخرج سيجارة وتدخن فى عصبية.. لابد أنها فى انتظار أحد.. لم تترك مكانًا يصلح لتعليق الذهب فارغا.. سلسلة ذهبية تتدلى من صدرها.. وأساور فى يدها وخواتم فى أصابعها.. إنها (الصاغة) متنقلة.. من أين حصلت على كل هذا.. بالتأكيد من رجل.. ولكن من هذا الرجل.. ترى هل هو الرجل الذى نحن فى انتظاره ربما تزوجت من ثرى عربى.. وجائز أنه شاب مصرى غنى.. وهذا أوقع.. على الأقل جديد، وربما اسمه نادر، ولكنها ليست سعيدة مع نادر.. نظرتها تقول ذلك.. ما معنى ذلك هل هناك رجل آخر.. شر يف!! حسام مثلاً.. آه منكن أيتها النساء وماذا يعيب نادر بس!! شاب وغنى ومن عيلة.. لحظات وتبوظ الحكاية.. تدخل امرأة محجبة لتجلس معها.. ويصبح نادر وشريف وحسام لاشىء.. مجرد وهم.. وأنا السبب.. وأمزق الورقة مرة ثانية.

ولكن لماذا حواديتى كلها تدور حول الحرمان والشقاء.؟ ابحث لنا عن حدوته مبهجة.. الناس طقت من النكد.. آه.. ها هو مرادى شاب زى الفل.. رياضى مبتسم ممتلئ فتوة وصحة وشبابًا.. أيوه كده.. سأسميه مراد ستأتى الآن رشا.. خطيبته فارعة ورائعة فى الوقت نفسه ولكنها أقصر من مراد قليلا حت يتيسر لها أن تستند على كتفه القوى، حينما تسير هى فوق الرصيف وهو تحت الرصيف وهما يحلمان بالغد.. ولكن هل يعارض الأهل زواجهما؟! لماذا يا أخى بَس الأهل موافقون وكل حاجة.. وسيتزوج كل منهما الآخر.. وما المشكلة؟! ليست هناك مشكلة، قصتى هذه المرة بلا أى مشاكل.. وأنا متحمس لها.. أنا فقط فى انتظار رشا، لا أعلم لماذا تأخرت كل هذا.. مراد ينظر فى ساعته، وأنا لا أقل عنه قلقًا على رشا، وأخيرًا تأتى رشا لتهد كل السيناريو.. امرأة فى الستين.. عجوز شمطاء لماذا يا مراد.. لماذا تضيع شبابك وصحتك.. ومن أجل ماذا يابنى.. هل تترك رشا من أجل هذه المرأة.. وهل تستحق هذه كل هذا الحنان الذى تعاملها به.. تقبل يدها وتخلع عنها المعطف، وتضعه بحب على الكرسى.. أنا آسف.. لن أكتب قصصًا من هذا النوع، أنا آيم وإذا بصوت مراد يخترق أذنى وهو يقول للعجوز التى تجلس معه.. تحبى تتغدى إيه يا أمى!!

❁ ❁ ❁

فى إيدى سيناريو مُشْ ناوى أكمّله!!

أثار فيلم رومانتيكا زوابع وخلافات ومشاكل بالزوفة.. ولم يعد اسم الفيلم (رومانتيكا) اسما على مسمى، فقد خرج جميع المشاركين فى الفيلم عن الرومانتيكية وأفسدوا لحظة النجاح بإلقاء الاتهامات على بعضهم بعضا.. المخرج قال قرفونى وكرهونى فى عيشتى، والفيلم كان يطلع أحسن من كده، والمنتجة بتقول بأى حق المخرج يستلم الجايزة بعدما اتلطمت ورا الفيلم فى المحاكم ودُقْت الأمرين بسببه.. هذا المخرج لم يكمل الفيلم.. ومع ذلك.. مع كل ذلك حصد الفيلم وحده ودون غيره كل جوائز المهرجان.. مبدئيًا أنا مع الفيلم.. لأننى مع النجاح.. ولكنى سرحت شوية مع نفسى كده وتساءلت.. هل لو اكتمل الفيلم كان سيحصل على كل هذه الجوائز؟! أعتقد لأ.. لماذا.. أقول لسيادتك.. لأنه لو أكتمل، لصار مفهومًا وغالبًا لا تحصل الأفلام المفهومة على الجوائز فى المهرجانات.. فبعض النقاد يعطى الجائزة للفيلم غير المفهوم، حتى

يصبح دليلاً على أنه هو الوحيد الذى فهم الفيلم..

وأكثر النقاد تطرفًا فى هذه النقطة بالذات النقاد الإيطاليون.. دول بأه بالذات كارثة.. حاولت إحدى العصابات أن تسرق بنكًا فوضعت خطتها، بحيث يبدو فيلما يصور بجوار البنك، وأثناء التصوير والزحام يشطبوا ع البنك ولكى يحبكوا خطتهم.. أحضروا كاميرات ومعدات وناس مالهاش فى الشغلانة.. وصوروا أى كلام فى أى كلام.. عمارة.. أتوبيس معدى.. واحد بيهرش فى مناخيره.. وسرقوا البنك. بعدها ربط رجال المباحث بين الجماعة بتوع الفيلم وبين سرقة البنك. ولكنهم.

قالوا: لأ.. إحنا كنا بنصور فيلم فعلاً.

وأحضروا الفيلم، وكان هو الدليل المادى.. لو طلع فيلم بحق وحقيق.. يطلعوا براءة.. لو طلع أونطه يبقى هما اللى سرقوا البنك.. وعُرِضَ الفيلم على الشاشة أمام مجموعة من الخبراء فى السينما.. وفضل الراجل يهرش فى مناخيره أكثر من ربع ساعة.. والأوتوبيسات تعدى قدام الكاميرا.. وحاجة فضيحة.. ولم يستطع القاضى تحمل هذا العبث.. فأوقف شريط الفيلم، وقال:

أظن المسألة واضحة..

ولكن فجأة طلع واحد منكوش الشعر والدموع تسقط من عينه.. كان يصفق بحماس قائلاً:

معجزة.. عظمة.. برافو.. حقيقى.. مين المخرج.. أرجوكم أشوف المخرج العبقرى ده.. عاوز أنحنى قدامه..

فقال القاضى، وهو يكز على أسنانه من الغيظ:

وحضرتك تبأى مين..

أجاب صاحبنا: ناقد إيطالى من الموجة الجديدة..

ولم يسمع له القاضى طبعًا وقبض عليهم بتهمتين.. سرقة البنك.. وإخراج الفيلم!!

ومن المحاولات البديعة لعمل فيلم عن مخرج لم يكمل فيلمه. فيلم اسمه تمانية ونصف.. للعظيم الراحل فلليني، كان قبل هذا الفيلم قد أخرج سبعة أفلام بمفرده وفيلما آخر تقاسم إخراجه مع مخرج أخر فاعتبره نصف فيلم، وهكذا اعتبر هذا الفيلم رقم تمانية ونصف فى حياته. وقصة الفيلم أنه يخرج فيلمًا ولا يكمله.. يبنى ديكورات ثم يهدها.. يكتب الحوار ثم يشطبه، وفضل طول الفيلم يحنسنا.. وفى النهاية أخذ جائزة الإبداع فى مهرجان كان السينمائى..

قلت لنفسى بعد مشاهدة الفيلم: هايل.. بس إحنا أخذنا إيه ياباشمهندس!!

دائما العمل الفنى غير المكتمل يثير المتلقى.. لا أعلم لماذا.. إنها ثورة الفنان وتمرده على فنه شخصيا.. مثل الطفل الذى يقولك

فجأة.. مش لاعب.. والفنان طفل.. وأجمل طفل فى الدنيا كلها.. الراحل صلاح جاهين.. كتب يقول:

قررت أكتب قصيدة

ح اكتبها

وإن ما كتبتهاش أنا حر

الطير ماهوش ملزوم بالزقزقة..

أهوه كده من غير ما حد يكلمه.. رجع فى كلامه وراح حالِف ما هو كاتب القصيدة..

دائما نسمع عن اللحن المفقود والسيمفونية الناقصة.. وقصة لم تتم.. فينوس نفسها لو كانت مكتملة الذراعين.. لصارت مثلها مثل البت شربات، وهى بتنزل السَّبَت من البلكونة لبتاع الجرجير.. ولكن عدم اكتمال فينوس وحرمانها من الذراعين.. أعطاها غموضًا وخيالاً وبريقًا أخَّاذًا.. كما أنها لن تمد يدها ذات يوم وتقولك هات.. والحقيقة المرة التى أعترف بها.. أننا حينما لا نفهم.. نتمتع أكثر بكثير منا حينما نكون فاهمين..

وأعطيك مثالاً بسيطًا.. صديقى حنفى السمكرى وينادونه فى الحتة كلها باسم بلبل.. حنفى هذا يحب فى صمت البت توتو اللى ساقطة فى الدبلوم، ولكنه لا يستطيع أن يعترف لها بحبه للفارق الثقافى والاجتماعى الذى بينهما.. فحنفى بصمجى.. بلاطة يعنى.. أما توتو.. برضه يعنى مش أى حاجة.. دى واحد ساقطة فى الدبلوم، وليها مركزها ووضعها فى الحتة..

وقلب لى حنفى دماغى بتوتو. يأتى لى ويستشيرنى:

لقد واربت الشباك ثم ابتسمت.. ما تفسير هذا.. وفى اليوم التالى.. تصور لقد مرت أمام الدكان ولم تعبرنى، إيه ده يا عمنا.. تفسيره إيه..

احتمالات كثيرة كانت تشغل رأس حنفى، طالما أنه لم يفهم توتو بعد إلى أن صارحته بالحقيقة..

قالت له: بحبك يا أسطى..

ومرت أيام وسألت حنفى أخبار توتو إيه:

قال لى بلا اكتراث: يا عم دماغك!! وعلمت السبب.. لقد فهم حنفى!!

دائمًا هذا الشىء الناقص.. فلا أجمل ولا أمتع فى هذه الدنيا من أن تظل عمرك كله تشرب المياه الغازية فى انتظار أن يظهر لك الجادون على الكازوزة ولا يظهر.. صدقنى مش مهم.. والمهم أن تظل أنت تجمع فى المقعد والهيكل والعجلة القُدامانية والورَّانية.. تلك هى متعة الحياة.. لى صديق محظوظ جدًا، طلع له ست جادونات مرة واحدة وتعجبت من أمره.. الأعجب أن أبوه يعمل فى شركة المياه الغازية نفسها شفتوا الصدف.. وجريا وراء نظرية الشىء غير المكتمل، راح مصممو الأزياء يبتكرون الفستان غير المكتمل والبلوزة التى تظهر البطن..

قلت لإحداهن، ونحن نتأهب لنسهر فى أحد الأماكن: لا داعى للعجلة.. أكملى ارتداء ملابسك..

أجابت ببراءة: ما أنا كده لابسة..

وكلنا طبعا نعلم أن النساء ناقصات، ومع ذلك فنحن نتهبل عليهن.. ويعود هذا فى المقام الأول إلى هذا النقصان.. لابد أن تكون المرأة ناقصة شيئًا ما.. أى شىء.. هل تذكرون عمارة مصر الجديدة التى انهارت فى الزلزال، صاحبتها كان اسمها الحاجة كاملة!!! عرفتوا ليه وقعت بأه.

أعزائى.. أعترف لكم بأننى مقدم على مرحلة جديدة فى حياتى الفنية.. سأكتب أعمالاً كلها غير مكتملة.. عندى نصف سيناريو جاهز وثلاثة أرباع مسرحية.. وأغنية كتبت منها المطلع فقط.. وسأبحث عن المخرج المناسب الذى يترك الفيلم فى نصفه.. ولكن بالطبع لن أكون سعيدًا إذا وجدت المنتج الذى يكتفى بأن يدفع لى نصف أجرى فقط.. ما بحبش الهزار فى الحاجات دى.. انتظروا أعمالاً فنية وجوائز فى مهرجانات لأنصاف أفلام وأرباع مسرحيات.. وأدى دقنى إن كملت عملاً فنيًّا بعد الآن.. وأدى المقال اللى بكتبه.. ودينى وأيمانى ما أنا مكمله راخر!!

حِصَّة.. فى التأليف الفَوْرى

قام المؤلف الشاب من نومه على صوت رَزْع على الباب، فتح الباب قبل أن يفتح عينيه، وجد محصل النور واقفًا، سلمه الإنذار فى صمت، ومضى، إنذار بقطع الكهرباء، هكذا يصبح مؤلفنا الشاب قد استلم آخر إنذارات الدولة له، التليفون انقطعت حرارته، والماء أيضًا، والغاز شرحه، جلس فى قرف، وقال لنفسه هل سأظل هكذا، أكتب حياة الناس ولا أحد يكتب لى حياتى، وصرخ موجهًا صرخته للنقاد وللجمهور، أليس من حق المؤلف أن يعيش!!

أخذه المخرج «الفِتك» من ذراعه، وقال له:

ستظل عبيطًا هكذا، أنت تساوى ثقلك ذهبًا. تريد فلوسًا تعال، ستأخذ عربونًا الآن يعدل لك حياتك، فى مكتب المنتج إياه جلسا، ديكور المكتب يشبه محل عصير قصب، كله مرايات، والأثاث غال، ولكن بلا ذوق.

فى البداية ألقى المخرج «الفتك» محاضرة طويلة عن المنتج،

وكيف أنه أتى لينقذ صناعة السينما، وأنه الوحيد الذى يفهم سينما فى مصر الآن، أكد المنتج بالطبع على كلام المخرج «الفتك» ونسب لنفسه كل شىء، إنه الذى يؤلف الأفلام ويخرجها ويقوم بنفسه بالمونتاج، ولم ينقصه سوى أن يقول إنه الذى مثل فيه، ولكنه أشار إلى ذلك بقوله إنه الذى وجه أداء الممثل الفلانى وغنى للمطربة الفلانية.

بعد السلامات والتحيات، ابتسم المخرج للمؤلف، وقال له:

قول بأه يا سيدى، الموضوع اللى يجنن اللى قريتهولى.

ثم غمز للمنتج وقال له: أنا أول ما سمعته منه، قلت ده ما ينتجوش غيرك، رحت قابض عليه وجِبْتُه على هنا، أحسن ما يتخطف.

لم يكن المؤلف عنده أى موضوع ولا أى فكرة، كل الذى كان عند المؤلف وقتها فاتورة النور والتليفون والميه والغاز، فأجاب فى خجل:

أعطنى يومين فقط أكتب الموضوع وأجيبه.

انزعج المخرج وقال: يومين إيه!! أنت خايف الموضوع يتسرق، الدار أمان هنا ح تقول وألا أفتح أنا الكلام، البنت اللى حبت واحد واعتدى عليها.

التفت المنتج فى اهتمام للمؤلف، وقال له:

حلو ده، بداية تشد.

ابتسم المخرج فى انتصار وقال له:

مش قلت لك وقال للمؤلف كمل بأه يا أستاذ. كمل الحكاية عاوزين نمضى ونخلص.

أصبح المؤلف متورطًا، يجب أن يمارس التأليف الفورى.

وسأله المنتج ليستدرجه للحديث: هل هى قصة كوميدية.

أجابه المؤلف كالغريق الذى يتعلق بقشة: كوميدية، آه، كوميديا نعم ولكنها كوميديا سودة.

قال المنتج: حلو ده، الكوميدى مطلوب، والبطل، ما هى ظروفه، كلمنى عن البطل هل فاروق الفيشاوى أم محمود حميده، وسكت برهة وقال: بس أنا عاوز الشحات.

فأجابه المؤلف: البطل ظروفه صعبة؛ لأنه لم يدفع فاتورة النور ولا التليفون ولا الغاز ولا المية.

«انفجر المنتج ضاحكًا» وقال: والله.. حلو قوى ده. هيه فيها مبالغة شوية، بس مُونْكِن فى الكوميدى يبقى حلو، وبعدين.

ضغط المؤلف على دماغه المريض لدرجة أنه أحس أن العصير سينسكب منه، ثم قال: حاول أن.. أن يقترض نقودًا من أحد الأصدقاء، ولكنه.. أنكر نفسه.

ابتسم المنتج قائلاً: الله.. الله.. الناس تحب الحاجات دى، كمل يا أستاذ..

شعر المؤلف أن مخه أصبح صغيرًا متقلصًا، وقد تغطى بالشقوق

السوداء بدلاً من التلافيف، والتعاريج، بل وشعر أن مخه قد توقف نهائيًا عن العمل..

أنقذه المخرج وقال: خش ع الحتة بتاعت الرقاصة اللى اتعرف عليها.

نظر إليه المؤلف فى غضب، وقال: البطل لم يعرف راقصات.

نظر إليه المخرج وهو يدوس على شفته السفلى، ويضغط على قدمه من تحت الترابيزة، وقال: يا سيدى الموضوع بتاعك والله ما تخافش.. ح تمضى العقد دلوقت، وح نسجله باسمك فى الشهر العقارى. قول ما تبقاش بخيل

تنهد المنتج وقال: ولكن أليس هناك أدوار أخرى، أنا أرى الرواية مقفولة بعض الشىء.

ابتسم المخرج وقال: الصبر.. التقيل ورا.. أنا فاهمك..

وقال للمؤلف أديله فكرة مختصرة كده عن دور السواق، وغمز للمنتج وأشار نحوه. يبدو أنه كان قد وعده بدور فى الفيلم.

أجاب المؤلف: أنهْو سواق.

قال المخرج: السواقِ، السواق الذى تركب معه البطلة.

انفتحت نفس المنتج، حينما سمع كلمة البطلة وسأل وكأنه غير مهتم برغم اهتمامه الشديد، وده دور حلو بأه.

أجاب المؤلف متعمدًا إغاظة المخرج، لأ ده سواق.. مجرد سواق..

انفجر المخرج غاضبًا وقال: يا ساتر عليك.. يا لؤمك.. السواق!! ده الفيلم كله بيدور ع السواق ده، وإلا أنت يعنى مَسْتَخْسَر أن الباشا يعمله، والتفت إلى المنتج قائلاً: حته سواق.. محصلش، بيحب البطلة وهيه مش حاسَّة بيه، شوف أنت بأه.

تساءل المنتج مستاءً: والبطلة قعدت طول الفيلم مش حاسة بيه.

لم يستطع المؤلف الرد، وإنما نظر للمخرج لينقذه، وللحق كان المخرج جاهزًا، وقال: لأ طبعا، ما هى حست بيه فى الآخر، وخدته فى حضنها وقعدت تعيّط.

ابتسم المنتج ولمعت عيناه، حينما سمع أن البطلة أخذت السواق فى حضنها، ثم تساءل مندهشًا وعيطت ليه!!

قال المؤلف فى عبث.. آه صحيح عيطت ليه، أجاب المخرج بسرعة.. عيطت ليه!! آه، لأنها كانت مجبرة تتجوز البطل، واخدلى بالك، أنا كأنى شايف المشهد قدامى، أنت والبطلة كلوز، وشكوا مالى الكادر، والبطل توتاله، مش باين خالص كده فى الخلفية. أجاب المنتج محاولاً أن يكون موضوعيًا لأ ده البطل برضه لازم يبان، قرب منه شوية.

فكر المخرج قليلاً وكأنه يخرج الفيلم، فى ساعتها، وقال: أنت صح، عشرة على عشرة، إحنا نقرب منه شوية، وتقوم البطلة مَرْمية فى حضن السواق، وأشار نحو المنتج وتطلع كلمة النهاية، الفيلم ده بتاع مهرجانات، ودينى بتاع مهرجانات.

فى ثانية خرجت العقود من مكتب المنتج «السواق»، ووقع المؤلف العقد وأخذ عربونًا، ووعد بتسليم السيناريو خلال أسبوع من تاريخه، ونزل من عند المنتج والمخرج يربت على كتفه ويقول: ما قلت لك، أنت تقعد من غير نور ولا ميه، أنت عبيط!!

فجأة توقف المؤلف على السلم، وقال له: استنى أنا نسيت حاجة..

طلع على السلالم مسرعًا واقتحم غرفة المنتج، ومزق العقد أمامه، وألقى بالعربون، وقال له:

أنا أسف يا أستاذ، البطلة لن تحضن السواق فى نهاية الفيلم، والبطل لن يدفع فواتير الكهرباء والمية.

❁ ❁ ❁

وكان الإنتاج.. ثالِثهُما

ما اجتمع رجل ثرى وفنانة ناشئة جميلة.. إلا وكان الإنتاج ثالثهما.. ولاتحتاج الفنانة المثيرة لوسائل إقناع عبقرية للإسهام فى صناعة السينما باكتشاف منتج شاب ليضخ فى الدورة الدموية الفنية دماء جديدة.. هيه قعده حلوه وشوية سمك وجمبرى.. وتدعو الفنانة من تشاء من أصدقائها من الوسط الفنى.. ويجلس (مشروع المنتج) فى صدر الترابيزة لابس اللى على الحبل.. وهى تقوم بالتعريف.. أعرفكوا بقى يا جماعة.. الأستاذ فلان المنتج.. أهلاً وسهلاً يبتسم (مشروع المنتج)، وهم يصفونه بالمنتج قبل أن ينتج أى شىء ويشعر بأهمية كبيرة وإن كان يشوبها بعض الارتباك من هذه التعبيرات الفنية التى يسمعها لأول مرة من أهل الفن، ولا يفهم منها شيئًا ويظل (مشروع المنتج) الشاب مسحورًا مأخوذًا بهذا العالم الغريب.. الذى هو عالم الفن.. وحينما يأتى الممثل المعروف متأخرًا كعادة النجوم.. يهلل الجميع لقدومه بصورة مبالغ فيها كأنه داخل

على المسرح.. هييه هييه ويصفقون كأنه يؤدى أروع أدواره على الإطلاق ويبتسم هو فى سعادة أهيه كملت.. النجم وصل والقعدة ح تحلا.. وتقابله الفنانة الناشئة صاحبة الليلة بالقبلات والعناق، ويحاول المنتج الذى لم ينتج بعد أن يعود نفسه على ذلك ولا يشعر بالغيرة وإلا أصبح نشازًا.. فهم فى الوسط الفنى يقبلون بعضهم بعضًا ويتعانقون.. ولا حياء فى الفن.. فيحاول أن يبدو طبيعيًا حتى يذوب وسطهم، ولا يشعر بالغربة..

تقول الفنانة الناشئة للنجم: أنا كنت بأكلمك على مين إمْبارِح فى التليفون.

يبتسم النجم فى خبرة: أيوه.. أيوه.. هو أنت بأه.. دى بتحكى عليك أهوال..

وينفجرون فى الضحك ثم بحيوية شديدة مفتعلة..

يقول النجم: السينما عاوزة الشباب اللى زيك.. زِهِقْنا بقى من المنتجين اللى بيحسبوها بالمليم، إحنا عاوزين سينما كويسة.. عندك مثلاً فى أمريكا..

ويبدأ النجم فى محاضرته الشهيرة عن السينما الأمريكية والمنتج يسمع كلاما بالإنجليزى لا يفهم منه شيئًا ولكنه طبعًا يومئ برأسه موافقًا على كل كلمة، ثم يعقب على كلام النجم بالجملة التى ظل أكثر من نصف ساعة يجمعها فى مخه:

والله أنا ما عاوز أكسب من السينما أنا الحمد لله.. شغلى ماشى.. أنا بأعمل سينما عشان بحب الفن..

ويصفق الجميع لروعة الجملة وذكائها الحاد. ولا تنسى البطلة الناشئة أن تهمس فى أذن المنتج:

أوعى تمشيه من غير ما يمضى العقد ويأخد العربون.. أحسن يطير مننا.. أنا جايباه بالعافية..

ويختلى المنتج بالنجم فى ترابيزة تانية، ويخرج من جيب جاكتته رزمة بعشرة آلاف جنيه.. ويقسم ألا يأخذ منه إيصال بالمبلغ.. و.. مبروك.. وعناق بالقبلات.. هكذا كتبت شهادة ميلاد منتج سينمائى سيضاف إلى تاريخ الفن..

وهذه القصة ليست جديدة.. إنها قصة مكررة.. ويقال إن عم يوسف وهبى.. عبد الله باشا وهبى ذهب إليه ذات يوم ليوبخه على مضيه فى طريق التمثيل، الذى مشى فيه رغمًا عن أنف أبيه وعائلته الكبيرة.. وحينما ذهب إليه وجد عنده أحد أغنياء الحرب.. تاجر خيش، وكان يوسف بك يفاوضه على إنتاج الفيلم الجديد.. وظل عبد الله باشا مذهولاً.. كيف لابن الباشا العريق أن يذل نفسه هكذا، ويتعامل مع هذه النوعية من السوقة والنوفوريش. وأعطاه التاجر شيكًا بمئتين جنيه.. دفعه أولى لإنتاج الفيلم.. وخرج يوسف بك وراءه يودعه ويوصله حتى الباب.. ويعانقه بترحاب شديد.. وحينما عاد وجد عمه فى قمة الثورة:

أنت يابن الباشا تتعامل مع هذا الرابش.. البَزْرَميط..

ويندهش يوسف بك.. من تقصد؟! يجن جنون الباشا العم: هذا الرجل الجاهل الذى كنت تمسح له جوخ..

يبتسم يوسف بك.. أنا لم أكن أرحب بالرجل.. وإنما كنت أرحب بالشيك.. وأودعه وأوصله إلى الباب.. إن هذا الشيك.. هو الفيلم..

كنت أنا وصديقى المخرج.. فى شارع عماد الدين ثم دخلنا يمين فى كوريدور قديم.. بين الأفيشات القديمة المهترئة والبوبينات (علب السينما) الصدئة المجنزرة كنت أخطو بصعوبة، محاولاً أن أجد المكتب الذى ينتظرنا فيه.. المنتج القديم الذى نبحث عنه.. العمارة قديمة متهالكة، ورغم ذلك ماسكة نفسها يا أخى.. ع الأقل تبدو أعفى من عمارتنا التى لم يمر على بنائها سوى ثلاثين عامًا، ومع ذلك تحس أنها واخدة قرار إزالة من ٤٠ سنة.. أما هنا فى تلك العمارة التاريخية فكل شىء عظيم فخم.. الأعمدة بسم الله ما شاء الله منتصبة واقفة فى فتونة.. الأسانسير تحس أنه شقة أوضتين وصالة وبه مرآة وكرسى ومجلد من الداخل بالخشب.. وكزنى صديقى المخرج فى كتفى، وقال.. هيه.. إنت رايح فين.. تعالى من هنا.. وحول مسارى إلى كوريدور ضيق أسفل العمارة حيث سنلتقى بالرجل الذى نبحث عنه.. هذا ليس فيلمًا.. الحكاية إننا كنا نبحث عن فيلم.. ليس فيلمًا نؤلفه ونخرجه. لا وإنما فيلم لنشتريه.. نشترى النيجاتيف بتاعه.. فيلم قديم إنتاج عام ١٩٤٦

اسمه بنت المعلم.. ومنتجه لا يزال على قيد الحياة.. لا شك أنه تجاوز الثمانين على الأقل.

كان الرجل يجلس أمام مكتبه القديم وعلى المكتب تليفون أسود وكبير، وفوق المكتب صور لفنانين رحلوا جميعًا.. وكان يأكل علبة زبادى.. طريقته فى الأكل بلا أسنان تشعرك أنه لا يأكلها وإنما ينفخ فيها:

صباح الخير يا حاج..

رفع عينيه ونظر إلينا فى توجس كأننا أتينا له من عصر آخر، ثم ابتسم ابتسامة ماكرة، وقال: اتفضلوا معانا..

انتهى من الزبادى بسرعة، وقال: أؤمروا..

كان الرجل برغم عمره المديد فى منتهى اليقظة والنشاط، وقبل أن أكلمه عن فاطمة رشدى وماری كوينى وفتحية أحمد.. كلمنى هو عن حنان ترك ومنى زكى وهنيدى.. وفهمت الفولة.. فالرجل يعلم جيدًا الفرق بين الجنيه بتاع زمان والجنيه بتاع دلوقتى.. يعنى البيعة باظت قبل ما تبدأ..

وسألته بفضول: كم تكلف فيلمك سنة ٤٦..

ابتسم ابتسامة أكثر مكرًا من الابتسامة الأولى.. وقال: هذه قصة طويلة..

قلت: نسمعها..

قال: أنا من إسكندرية، وكان لى مطعم أمام إحدى دور السينما

بالإسكندرية، وذات ليلة كانت السينما تعرض فيلمًا بطلته الفنانة (س) رمز الأنوثة والإغراء فى هذه الأيام، وكنت ما زلت شابًا يمتلئ قوة وحيوية.. وتمنيت أن ألتقى بها فذهبت إلى مدير السينما، وأبلغته برغبتى فى أن أعزم فريق العمل بالفيلم عندى فى المطعم بعد عرض الفيلم.. ووعدنى أن يبلغهم برغبتى.. وعملت عزومة محصلتش.. وجاءت البطلة والمخرج وباقى الممثلين ليتعشوا عندى.. لا أستطيع أن أصف لك جمالها وسحرها فى تلك الليلة.. ولاحظت أنها بين الحين والآخر تنعم علىا بنظرة.. ابتسامة.. يا لَهْوى.. يا خرابى.. وتمنيت أنَ أقترب منها قليلاً، ولكن هيهات.. النجمة دائمًا حولها كثيرون.. إلى أن أختلى بى المخرج، وقال لى:

واضح إنك مهتم بالفن وبالسينما..

قلت له: أوى يا أستاذ..

قال لى: لماذا لا تنتج فيلمًا إنها عملية مربحة..

فى اللحظة نفسها.. وبتزامن غريب حيتنى النجمة برأسها مبتسمة.. قلت له، وعيناى معلقة بها:

أنتج.. أنتج يا أستاذ الفيلم يتكلف كام..

قال فى حدود تلاتلاف جنيه..

ولم أبت الليلة فى إسكندرية.. فى ليلتها كنت دبرت المبلغ وتركت المطعم.. وع القاهرة.. فى القطار نفسه الذى أخذنا إلى

القاهرة.. دفعت عرابين واتفقت مع الجميع تبعًا لتعليمات المخرج، ولم أخذ منهم أى شىء سوى اسم الفيلم.. وكان اسمه.. (العلمو نورن). وكنت أرى حماسهم للاسم وضحكهم، وكأن الفيلم يعرض على الشاشة.. ومرت أسابيع وشهور ولم أر العلمو.. ولا نورن.. ومع ذلك لم يتوقف نزيف الطلبات والفلوس.. بحجة التحضير للفيلم إلى أن قابلنى صديق إسكندارنى على إحدى المقاهى، وقال لى:

ماذا تفعل يا سيدى فى مصر..

قلت له الفيلم والممثلون.. والعلمو.. نورن..

فضحك ساخرًا.. وقال لى: علمو إيه ونورن إيه إنت عبيط.. هو واحد يشترى الترماى وأنت تشترى العلمو نورن.. دى نصباية لا أكتر ولا أقل.. خد بعضك ولو معاك قرشين فاضلين ارجع على إسكندرية ويا دار ما دخلك شر..

وكانت صدمة رهيبة..

قلت له: إسكندرية كلها فى انتظار الفيلم، الذى قلت لطوب الأرض إننى ذاهب لأنتجه.. هل تعلم ماذا يفعل الإسكندرانية فى إسكندرانى انضحك عليه.. إنت إيه ما تعرفش إسكندرانى.. لابد أن أعمل فيلما حتى لو فشل حتى لو خسرت كل شىء.. المهم أن أعمل الفيلم..

هنا شعر صديقى بحجم الأزمة، وقال لى:

اسمع سأبعثك إلى مخرج أنا ضامنه.. اسمه عباس كامل.. روح له وشوف عنده سيناريو وهوه يلم لك الفيلم فى عشرة أيام.. وترجع على إسكندرية..

فى المساء ذهبت إلى عباس كامل.. وطلبت منه أن يعطينى سيناريو يخرجه هو، ويتفق مع الممثلين.

قال لى فى حنية: السيناريو موجود بس إدينى عربون.. وسيبنى كام يوم كده عشان أعمل شوية تعديلات..

قلت له صارخًا: لأ.. عربون.. لأ.. اللى إتلسع من الشوربة ينفخ فى الزبادى.. إدينى الفيلم أديلك الفلوس..

وأندهش المخرج وسألنى: ماذا حدث..

فحكيت له حكايتى من يوم العشوة السودة فى المطعم إلى أن أتيت إليه..

فضحك المخرج، وقال: صوابعك مش زى بعضها.. تعالى لى بعد خمس أيام وخد الفيلم. وعدت إليه فى الموعد وكان الرجل بحق عند كلمته وقدم لى السيناريو وعقود الممثلين. وأعطيته الفلوس..

وفى أيام قليلة بدأ التصوير.. زعيق وخناقات ومشاكل لا أفهم منها أى شىء.. ويعيدون جملاً مرات عديدة بلا جدوى.. لا أعلم لماذا.. إلى أن جاء يوم العرض.. ودخلت لأشاهد الفيلم.. ولكن لا يمكن.. باللمفاجأة.. إن قصة الفيلم.. قصة رجل صاحب مطعم عزم فرقة الممثلين عنده ليلة العرض.. و.. و.. إنها قصتى

نفسها.. التى حكيتها للمخرج، لقد سرقوا حكايتى أيضًا.. ولكن هذا أهون بكثير على أى حال.. صمت المنتج الذى يقترب من عامه التسعين ليلتقط أنفاسه قليلاً. وقد بدا على عينيه أنه تعلم الدرس جيدًا وسألنى.. فى ابتسامة أكثر مكرًا من كل ابتساماته السابقة:

هوا صحيح شيرين سيف النصر راجعة تمثل ثانى؟!

❁ ❁ ❁

خالتى فايزة عايزة جايزة

فى مهرجان «كان» حصل يوسف شاهين على جائزة كبرى عن مجمل أعماله وفى المهرجان القومى للأفلام الروائية، يحصل الفنان على جائزة كبرى عن مجمل علاقاته.. القاعدة فى المهرجانات المحلية إذا عرف السبب بطل العجب. وإذا عرفت اللجنة عرفت الجوائز.. لكن مش مهم.. أدينا بنحتفل وبنغنى وبنسقف.. والهيصة هى عادة مصرية صميمة، أخذها عنا الأجانب. مش كل حاجة نقول أخذناها منهم. لأ إلا المهرجانات. دى بقى بتاعتنا أساسًا.. من أيام الفراعنة ونحن ملوك المهرجانات دى.. كان الفرعون يعمل مهرجان التتويج كل سنة. ومهرجان ضم الأرضين الشمال والجنوب.. حيث كانت مصر قديمًا دولة لها طابع مزدوج. برغم اتحاد الأرضين ـ لكنهم دائما كانوا يشيروا إليها بأنها نصفان الشمال والصعايدة، وعيد آخر اسمه الحب سد.. مرتبط بجلوس الملك على العرش.. وعيد الأوبت.. ولذا كانت السنة كلها عندنا

مهرجانات وأعياد وأغان ورقص وبخور.. وعليه فاحتفظت اللغة المصرية بجملة هيروغليفية قديمة لم تتغير عبر آلاف السنين، وهى.. كل سنة وأنت طيب.

والفاطميين كانوا هم أيضًا ملوك المهرجانات.. وطلعة المحمل الشهيرة كانت مهرجانًا لوحدها.. وأعياد وتسليم نياشين وأوسمة... وكان السلطان يجلس فى القلعة يشاهد مهرجانات الجند، وهم يلعبون البولو، ويرقصون بالحصان.. وعلق أحدهم حبلاً طويلاً مده من مئذنة جامع الناصر محمد بن قلاوون فى القلعة إلى مئذنة السلطان حسن بميدان صلاح الدين، ومشى على الحبل من هذا الارتفاع، والناس تهلل وتصفق والكل فى بهجة وفرح عظيم.. صحيح أن المماليك بعد الحفل الختامى للمهرجان كانوا ينزلون إلى الحوانيت والخانات ينهبونها.. ويجيبوا ضُلفها.. لكن مش مهم.. كل سنة وأنت طيب.

وفى المهرجان القومى ذهبت لأحضر حفلة الختام.. أغلقت كل الأبواب وتزاحم الناس على الدخول، ورجال الأمن يقفون هنا وهناك تملأ أعينهم نظرات الشك فى كل من دخل..

يسأل رجل الأمن زميله: مين اللى داخل ده.. ده عزت العلايلى..

يقول له.. بص له كويس لحسن يكون مش هوا ـ ثم يقول بص. خلينا فى السيف سايد.. إحنا مندخلش حد أحسن..

ويدخل الفنان بصعوبة، كأنه حصل على إفراج بعد نصف المدة.. يمسح عرقه ويلتقط أنفاسه..

تمتلئ القاعة فى ثوان. برغم أن الباب الذى فتحوه ضيق جدًا لا يمرر إلا ممثلين من نوعية محمد هنيدى أو الصاوى أو علاء مرسى.

بعد الاستعراض.. تبدأ الكوميديا. صف من البنات زى القمر.. يدخلن فى فساتين سواريه، وكل واحدة ماسكة مخده عليها جائزة.. تلتهب الأكف بالتصفيق لهن.. وأنا أكثر الحضور حماسًا تلفت نظرى البنت الرابعة على اليمين.. ساحرة.. لكن مش عارف ماسكة جائزة إيه.. تصوير. إنتاج.. إخراج يا ريت تكون تأليف.. والبنت السابعة من الشمال برضه حكاية. مش واقفه على بعضها شكلها كده ماسكة جائزة موسيقى تصويرية.. أسمع صوتًا يخترق أذنى جائزة التأليف الأولى.. للمؤلف يوسف معاطى.. اصرخ فرحًا.. تصفيق حاد لا أصدق نفسى، أطلع أجرى على المسرح وتستقبلنى البنت الرابعة على اليمين.. تسلمنى الجائزة وبوكيه ورد..

أقول لها.. دى فرصة سعيدة جدًا.. الباشا مرتبط ولاَّ؟! مرتبط..

ترد بخجل.. لأ.. لسه..

أعود، وأسألها بابا بيشتغل إيه.

تقول لتغير الموضوع: مبروك الجائزة..

أقول لها.. فرحنا إمتا إن شاء الله..

تقول: اللى تشوفه..

أمسك بيدها فى رومانسية.. يلكزنى صديقى الجالس بجوارى فأفيق من شرودى فيسألنى إيه يا بنى مالك سرحان فى إيه؟! هه.. لأ مفيش حاجة.. كل سنة وأنت طيب.

يبدأون فى توزيع الجوائز.. جائزة أحسن موسيقى تصويرية لفلان الفلانى.. تصفيق.. ثم انتظار كلنا ننظر حولنا، ليس من أجل تنظيم الأسرة، ولكن من أجل تنظيم المهرجان. فلان الفلانى غير موجود نسمع صوت من البلكونة يقول: فوق.. فوق.. اللى أخذ الجائزة قاعد فوق.. ونتساءل بطريقة خالتى.. نزلى السَّبَت يا بت.. ولماذا لا ينزل من فوق.. يقولون.. الأبواب مقفولة.. والأمن مش راضى يدخله.. نصف الجوائز كانت فوق فلم يحصل عليها أصحابها..

واللجنة الأولى كانت فيها لمحات كوميدية جميلة.. أخرج رئيس اللجنة الميكروفون من جيبه.. وورقة أخرى من جيبه الثانى.. ولا أعلم لماذا شعرت أن حمامة ستخرج من الچاكته. ولكن لم يحدث معلش المهرجانات جاية كتير.. كل سنة وأنت طيب.

وجاءت بأه مسابقة الأفلام الروائية أكثر من ساعة ونصف والبنات اللى زى القمر والواقفات بالمخدات وعليها الجوائز.. واقفات

كالتماثيل على المسرح.. بلا رحمة ولا شفقة بهن، والبنت من دول كل دقيقة تبدل رجليها.. ولذا أعتقد أن كل بنت من دول اعتبرت أن المهرجان يمثل بالنسبة لحياتها وقفة.. ودخلت لجنة الأفلام الروائية، وأخرج رئيس اللجنة ثلاث ورقات فلوسكاب.. حينما انتهى من قراءة الورقة الأولى رماها على الأرض. وضجت القاعة بالضحك وابتسم قائلاً.. لا أريد أن أضيع وقتكم..

ولكن الخطبة طالت وطالت جدًا.. وتمنينا أن يرمى الورقتين الآخريين.. برضه.. ولكن هيهات وظهرت تعبيرات قديمة مثل تضافر الجهود.. والتوجه القومى.. وإرساء قواعد.. وكان لهذه التعبيرات مع رهبة الحزام الأمنى حول قاعة المهرجان والجو الإرهابى والكلمات الرنانة التى تشبه بيان ٣٠ مارس، مما أشعرنى أن الفيلم الحائز على جائزة المهرجان سيكون فيلم رد قلبى بالتأكيد.

وبدأ توزيع الجوائز.. ولما كانت القاعدة أن يحصل الفنان على جائزة عن مجمل علاقاته داخل الوسط. قاعدة مطاطة.. استبدلت قاعدة توزيع الجوائز بقاعدة ثانية، وهى مين أخذ ومين ما خدش.. يعنى مثلا أبو بكر عزت أخذ أحسن ممثل فى المهرجان اللى فات.. خلاص.. كفايه عليه دى اشطب على اسمه.. مين ما خدش.. طيب فيلم تفاحة واخد أحسن فيلم فى مهرجان القاهرة وضارب الهرم الذهبى كمان.. يسكت بأه.. شوف غيره..

والقاعدة الثالثة.. إيه هى الأفلام التى نتوقع لها نجاحًا منقطع

الجماهير.. الجمهور ماشى فى أنهى سكة.. امشى فى السكة التانية عدل.. وكل سنة وأنت طيب.

وبعد إرساء القواعد الثلاث السابقة تعلن النتائج.. وتوزيع الجوائز يجب أن يكون مثل توزيع الغذاء على الجسم. وكله ينبسط وكله يتعشى.. واللى ما خدش المهرجان ده، يأخد المهرجان اللى جاى، وبعد سنوات إن شاء الله.. سننادى بمبدأ جائزة لكل مواطن، وعلى فكرة خالتى فايزة عايزة جايزة!.

❁❁❁

«بابا الشغالة».. من تأليفى!

شاهدت فيلمًا جميلاً ومسليًا اسمه «مغامرات بابا الشغالة».. دفعنى لدخول الفيلم هذا الاستحسان الذى قوبل به على مستوى النقاد والصحفيين، وأيضًا لأننى عرفت أنه يلاقى إقبالاً جماهيريا لا بأس به.

الفيلم عبارة عن رجل فنان فوضوى، ليس له عمل ثابت وأب لثلاثة.. ابنتين وولد.. وزوج لامرأة عاملة ناجحة متوازنة ومثقفة «سالى فيلد» ورائعة أيضًا.. ويحدث أن يعزم الأب الطاقق فى عيد ميلاده ابنه ـ بخلاف أصدقاء الولد فى الدراسة ـ أرانب ومعيز وخرفان وأحصنة وحمير أيضًا ليحتفلوا مع ابنه بعيد ميلاده، وتأتى الأم لتجد حصانًا خارجًا من غرفة النوم ومعزة خارجة من الحمام.. إلخ.. وتطلب الطلاق.. وتعطيها المحكمة حق الانفصال عنه، مع السماح له برؤية أولاده مرة فى الأسبوع.. وتطلب الزوجة فى إعلانات الجرائد مربية لتجلس مع الأطفال، ويقرر الأب أن يقوم هو

بالمهمة فيتنكر فى زى إمرأة إنجليزية اسمها مسز دوتفاير، التقط اسمها بالمصادفة من مانشيت إحدى الصحف.. ويذهب إلى البيت وينخدع الجميع فيه حتى الزوجة. إلى أن تتاح له فرصة عمره بلقاء مدير القناة التليفزيونية فى الساعة السابعة، فى مطعم ما ولكنه يجب أن يذهب إلى المطعم نفسه الساعة نفسها فى زى المرأة الإنجليزية مع زوجته وأولاده.. ويحدث المشهد الرائع الذى يخلع فيه ثياب التنكر عدة مرات، ويجلس مرة مع زوجته كمربية.. ثم مع مديره كرجل.. إلى أن تنكشف اللعبة.. ولكنها تسامحه فى النهاية، وتعطيه حق أن يرى أولاده كل يوم.

هذا هو الفيلم الذى أعجبنى حقًا لأنه فيلم بسيط وعائلى، ولن أمدح فيه أكثر من ذلك.. لأن الأخوة النقاد والصحفيين قالوا فى الفيلم البدع، واعتبروه واحدًا من أهم الأفلام العالمية. ولكن.. عندى رغبة فى أن أقول: إن الممثل لم يكن جيدًا بالذات فى الفترة التى هو رجل فيها دمه تقيل، ويرحم الله عبد المنعم إبراهيم الذى كان صاروخًا كوميديا فى أدائه للدور نفسه «فتافيت السكر هانم» كان عبقريًّا بلا إمكانيات وبلا تكنولوجيا وبلا مكياج وأقنعة.. مجرد باروكة ومخدة تحت الفستان.. ولكنه أضحكنا بحق ولم يأخذ أوسكار فى هذا الفيلم أخذ له خمسمائة جنيه، ولم يأخذ بطولة بعدها.

ولكنها عقدة.. عقدة لن نتخلص منها طول عمرنا.. فالأصل غالبًا أجنبى، والتقليد غالبًا مصرى.. لماذا؟ لأننا إذا وجدنا أصلاً مصريًا نحطمه.. نهده.. لا نجعل له وجود.

وتخيلت نفسى أنا الذى كتبت «بابا الشغالة» هذا.. وتصورت ما كان سيكتبه النقاد فى الفيلم سيقولون: إن حيلة أن يلبس رجل ملابس امرأة حيلة فجة وسمجة وسخيفة، وبها نوع من التدنى.. ثم كيف لاتعرف الزوجة زوجها وهو متنكر؟! ما هذه السذاجة؟ وسيقولون: وهل تأتى المصادفة بهذه الدرجة من التوافق.. أن يكون الموعد الذى يتطلب منه أداء الشخصيتين فى المكان نفسه وفى الوقت نفسه.. إنه تلفيق وكلام فاضى.. وسيقولون: هل يعالج هذا الفيلم مشاكل مصر؟.. إنه لا يقدم علاجًا، هل معنى ذلك أن أى رجل تحدث بينه وبين زوجته مشاكل. عليه أن يتنكر فى هيئة امرأة؟.. إنها دعوة للإباحية وللتبذل ولقلة الحيا.

وغالبًا ما ينظر الناقد للفيلم على أنه سيحل مشكلة لا أعلم لماذا؟ فالثابت أنه لم تحل السينما المصرية أى مشكلة فى تاريخها الطويل ولا أى سينما أخرى.. هذه حقيقة.

ليس من المفروض أن أناقش فى مثل هذا الفيلم ما أثير أخيرًا من مشكلات حول مؤتمر السكان.. أو أن أتكلم عن الضريبة الموحدة.

ولكنهم فى المسرح حلُّوها وأطلقوا على هذه الفنون أسماء «الفارس» والفودفيل» وكوميديات التسلية.

لماذا ننظر لأنفسنا هذه النظرة يا أعزائى؟ هل تعلمون؟ كانت حتبقى مصيبة، لو كنت أنا اللِّى كتبت «مغامرات بابا الشغالة » ولكن ربنا ستر..

❁ ❁ ❁

مِرْسِيه يا جَمَالات؟!!!

كنت عائدًا من الإسكندرية إلى القاهرة بعد الحفل الختامى للمهرجان، حيث يعرض فى فيلم يقولون عنه إنه كوميدى.. المهم طبعًا أنتم تعلمون أن الصحافة والتليفزيون والإعلام وبائعى البطاطا والسميط والبيض والجبنة، وكل طوائف الشعب تنادى منذ أعوام وتطالب بلهجة واحدة كالأناشيد المدرسية من كتاب القراءة والمحفوظات. (نريد أفلامًا كوميدية كفاية غم ونكد!!) الغريب بل والكوميدى فى الموضوع، إنه إذا طلع لنا فيلم كوميدى وضحك الناس فى صالة العرض.. تطلع لنا فورًا الأصوات نفسها التى كانت تردد النشيد الوطنى (نريد أفلامًا كوميدية) وتقول عن الفيلم الكوميدى.. هذا فيلم خفيف ولا يعد فيلمًا مهمًا.. وأين المعادل الموضوعى في الفيلم، وأين الأبعاد السياسية، وأين النظريات الدرامية وأين المورال وأين العقدة؟!!

ويصبح النقاش بعد مشاهدة الفيلم الكوميدى ليس كوميديا

بالمرة.. والحقيقة أننا نعامل الفيلم الكوميدى معاملة المواطن من الدرجة الثالثة، بينما يحتل الغم والنكد الأزلى ناصية الاهتمام لدى القائمين على الأمر.. وأحيانًا تجد لجنة التحكيم كلها عندها اكتئاب، فتراهم يدخلون لمشاهدة الفيلم فى وجوم وحزن وعميق، يجلسون بالصف الأول فى أسى ويمر عليهم الجرسون بصينية القهوة ويبدأ الفيلم.. ولا أعلم لماذا وددت ذات مرة أن أقف على باب صالة العرض، عند خروجهم وأشد على أيديهم فى حرارة قائلاً.. سعيكم مشكور ما نجيلكوش فى فيلم كوميدى يارب..

المهم أخذت حقيبتى عائدًا إلى القاهرة.. ولم أحظ من هذه الرحلة بغير الاكتئاب ونصف كيلو جمبرى مشوى التهمته من غيظى فى بحرى.. وفى الطريق الصحراوى، قررت أن أهجر الكتابة الكوميدية.. وغالبًا ما تكون القرارات التى يأخذها الإنسان فى الطريق الصحراى قرارات صائبة، فقد حدث أن اتخذت القرار بالزواج عدة مرات، وكنت أشد الرحال إلى البلد التى فيها العروسة وأهلها ولكن فى الطريق الصحراوى يحدث أن أقرر التراجع عن الفكرة، وأعود أدراجى حرًا مرة أخرى إلى القاهرة. ولذا فالطريق الصحراوى نعمة.. وقلت لنفسى وداعًا للكوميديا.. ومرحبًا بالغم.. وبدأت أتخيل فيلمى القادم لابد وحتمًا وقبل أى شىء أن تموت البطلة فى نهاية الفيلم.. لا.. هذا ليس كافيًا فليمت البطل أيضًا.. هذا معقول ولكن هناك ما هو أكثر.. وفكرت للحظة فى أن

يموت المخرج أيضًا لتكتمل المأساة.. وفجأة رأيت أمامى قاطرة ضخمة كادت تدهسنى، وتقضى على المؤلف أيضًا الذى هو أنا.. وتفاديتها بأعجوبة ودخلت فى الرمال..

ووقفت التقط الأنفاس.. لابد وأن استريح قليلاً.. الرست قريب.. لأجلس هناك أشرب كوبًا من الشاى.. وجلست.. وفجأة اقتربت منى سيدة فى نهاية الخمسينيات، ترتدى فستانًا يشبه الأزياء العسكرية سبلايت على الأكتاف وأزرار كبيرة لامعة.. وعلى وجهها علامات العظمة.. اقتحمتنى بلا إحم ولا دَسْتور.. وجلست بجانبى.. وقالت لى:

أنا رأيتك قبل ذلك.. فى التليفزيون على ما أعتقد.. أهلاً وسهلاً.

قلت لها: تشرفنا..

قالت لى إنها جمالات.. مدربة البالية المائى الأولى فى مصر والعالم. ثم فجأة سألتنى هل تريد أن تشترى سيارة لقطة!! إنها أنتيكة.. الملك فاروق كان إداها لوالدى ومارِكِبْهاش من ساعتها.. يعنى العربية بحالتها..

قلت لها وكم تريدين ثمنًا لها..

قالت: ٤٠ ألف جنيه قلت لها، ولكن!! قالت بسرعة خمسة وعشرين.. عشرين هل تدفع خمستاشر؟!

شعرت أنها بحاجة لفلوس..

قلت لها هل أنت فى حاجة إلى نقود

فنظرت لى نظرة رهيبة وقالت.. أنا أحتاج.. إنت مجنون.. أنا عندى ١٢ سيارة فى البيت.. مرسيدس وفولفو.. وعددت لى أنواعًا مختلفة من السيارات، وقالت فقط أنا زهقت منها.. أريد أن أسرِّبها.. ماذا سأفعل بكل هذه السيارات.

وبدأ الفأر يلعب فى عِبِّى.. فهى تسرب السيارات مثلما نسرب القطط والكلاب حينما تتوالد فى البيت ويكثر عددها..

قالت لى وهى تشعل سيجارة فى كبرياء.. منذ أعوام قليلة جالى السادات العزبة وقال لى يا جمالات أنا عاوزك تمسكى الوزارة.. قلت له مش فاضية يا أنور أنا عندى مشاغل تكفى بلد..

وفجأة قطعت محاضرتها السياسية قائلة.. ح تشترى العربية وإلا مش ح تشتريها.

قلت لها كم تريدين مقدمًا؟

قالت ادفع اللِّى معاك.. معاك كام..

قلت لها.. أنا ليس معى سوى عشرة جنيه..

قالت لى.. هات عشرين.. وأكتب لى ورقة بباقى المبلغ.. سأذهب لأحضر لك أوراقها..

وتركتنى وأنا فى شدة الذهول..

وجاء الجرسون يعتذر ويقول.. إحنا آسفين ياأستاذ.. معلش

ممكن سعادتك تتفضل جوه عشان ما تزعجكش.. فهذه السيدة اشترت سيارة قديمة منذ ثلاثة أيام من جنبنا، ولأنها لا تعرف القيادة.. عملت حادثة بها وهى تأتى كل يوم تريد أن ترجع السيارة وتسترد فلوسها.. مخها لاسع قوى وعامله لبش..

وسألته.. وهل كان معها ثمن العربية..

فأجاب الجرسون.. هى معاها ولكن دماغها مش مضبوطه.

وعادت السيدة بالأوراق.. وفحصتها فوجدتها سليمة..

قالت لى... هل ستخلص الموضوع.. هات العشرة جنيه إللى معاك دى عربون، لأننى سأسافر بعد غد إلى أمريكا وليس عندى وقت أضيعه..

قلت لها لمن أنت ذاهبة إلى أمريكا..

قالت لى فى جدية.. فيه مشاكل بين كلينتون ومراته وداخلين على طلاق... وطبعًا مش عاوزين يدخلوا بينهم حد غريب!

وتركت جمالات وأنا أضرب كفًّا بكف.. إنها نموذج ولون رائع يكسر رتابة الحياة.. وفى النصف الثانى من الطريق الصحراوى عائدًا إلى القاهرة قررت قرارًا نهائيًّا ألا أتوقف عن الكتابة الكوميدية..

ومرسيه يا جمالات..

❁ ❁ ❁

الموت فيلما!

فى التحقيق. . . . قالوا إنهم أدخلونا إلى قاعة مظلمة، وكان أول من استقبلنا مجموعة من الرجال غير واضحى الملامح، وبيد كل منهم بطارية أخذونا واحدًا واحدًا، وكان الواحد منا يمضى فى الظلام ولا يستطيع الالتفات إلى الخلف، حيث كانت البطارية فى ظهره. . وانتهى بنا المطاف إلى مقعد خشبى لكل واحد منا، أجلسونا عليه بالقوة وارتفع صوت الحارس الذى يحمل البطارية فى تهديد ووعيد وعيناه تلمعان فى الظلام: مساء الخير يا بيه!!. . قال لى زميلى وهو يرتعش من الرعب: اعطه شيئًا. . بسرعة. . وأخرجت ما فى جيبى وأعطيته له. . سادت لحظات من الصمت. . والظلام. . والرهبة، وبدأ المحتجزون يضجون بالموقف وصارت حالة من التذمر فى المكان، فبدأوا يدقون بأيديهم على الكراسى وبأقدامهم على الأرض ويصفرون. . ودخل الرجال ذوو البطاريات فعاد الصمت من جديد. .

ما الذى جاء بى إلى هذا المكان.. أنا أذكر أننى رأيت إعلانًا فى التليفزيون أو فى الجرائد أو فى الشارع، وهو الذى جذبنى إلى هنا.. تلك هى طريقتهم إذًا.. ولكن لماذا يفعلون بى كل هذا.. أنا برئ..

وأفقت من شرودى على موسيقى التترات.. عهد التعذيب بالكهرباء انتهى.. والخوازيق المملوكية راحت عليها والتعليق على باب زويلة أيضًا.. هذه أشياء كلها صارت من حق المسلسلات التاريخية.. أما أنتم يا خبراء التعذيب لا تدخرون جهدًا فى البحث عن الجديد.. وها هى وسيلتكم الجديدة.

قبل الربع ساعة الأول من الفيلم، لم يكن أحد قد استشعر الألم بعد.. ربما لأن العقل الإنسانى له درجة تحمل معينة، ولكن بعدها بدأت الأنفاس تزهق وحالة خنقة مريرة تصيب الجميع.. وبحيلة أتوماتيكية ضاقت الكراسى التى كنا نجلس عليها، وقفلت على الجسم وصرخ الجميع كما فى مباريات الكرة.. كفاية.. حرام.. كفاية. حرام!!

كانت امرأة فى الستين تقف على الشاشة ترتدى فستانًا ضيقًا وتغرى الجمهور وتفرض على المتفرج المعذب أن يثار.. والمسكين لا يتقبل.. لا يستطيع.. لكن أجهزة الإعلام والرقابة والدنيا كلها تضغط عليه.. «هذه هى رمز الإثارة والفتنة بشئت ذلك أم أبيت.. أنت تموت فيها.. أنت تعبدها.. أنت تتمناها وتحلم بها..».

ـ كفاية.. حرام.. كفاية.. حرام..

وهذا النجم الذى لا يستطيع أن يقتل ذبابة سيقتل عشرة رجال أشداء أبطال فى المصارعة والكونج فو.. وعلاوة على ذلك فهم أوغاد أيضًا. فى ظرف خمس دقائق فقط سيخلص عليهم.. سترى ذلك.

ـ لا.. لن أصدق ذلك.

ـ ستصدقه.. ستصدقه ورجلك فوق رأبتك نحن ليس عندنا متفرج يمشى كلامه علينا.

ـ آه.. كفاية.. حرام.. كفاية.. حرام..

وسادت حالة من الهرج والمرج داخل المكان، وحينما حاول بعضهم الخروج استقبله على الباب رجال الأمن ومعهم أجهزة وأسلحة ونظرات رهيبة..

وقال أحدهم فى وقار: ممنوع الخروج قبل النهاية، وقلت له فى استسلام: نهاية المتفرجين!!

كان معه جهاز يصدر صوتًا فى حالة وجود مواد متفجرة، وكان الجهاز يعمل باستمرار توت. توت.. توت والرجل يكاد يجن.. لقد فتشنى وأعاد تفتيشى مئات المرات. وفى النهاية قلت له هل تعلم لماذا يعمل الجهاز.. لأن الفيلم شغال وقفوا الفيلم.. يتوقف الجهاز.. ولم تفلح حيلتى الخبيثة..

أعادونى قسرًا إلى مكانى يحرسنى الرجل ذو البطارية الذى أجلسنى فى غيظ، وقال مساء الخير يا بيه.. وذكرته بنفسى.. إنه أنا الذى مسيت عليه فى أول الليل و... وتفاهمنا يعنى..

وبدأت الأنفاس تضيق مرة ثانية.. لكننى سعدت بمحاولة الخروج هذه التى قمت بها.. أضاعت عشر دقائق على الأقل من مدة الفيلم، ولإنهم هنا لا يسمحون بالخروج فى نصف المدة.. لذا فهذه المحاولات المجنونة للخروج والتمرد تنعش الحياة.. إنها كالثورات فى العالم الثالث وكحيل الأطفال للذهاب للحمام أثناء الدرس الثقيل..

وانتهى الفيلم. والله العظيم انتهى.. الدراما انتهت.. العقدة انحلت والحكاية خلصت والبطل اتجوز البطلة، اللى بيحبها وقتلها وقتل نفسه وعياله انتحروا ولكن الفيلم لم ينته بعد.. لا يزال الفيلم مستمرًا أمامى.. لا يريد أن ينتهى.. مثل أفلام توم وجيرى.. إنهما لا يموتان.. يسقطان من فوق جبال ويغرقان فى بحار ويولع فيهما بجاز ومع ذلك يستمران.. طلبت أن أقابل مدير السينما.. عرضت عليه أن نقسم البلد نصين.. أن أكتفى بهذا الجزء من الفيلم الذى شاهدته، وأكمل الجزء الثانى فى ليمان طره وعرضت عليه أن يطفئ علبة سجاير مشتعلة فى جسدى، أو يخلع أظافرى أو أن يضعنى فى ماء مغلى.. وباءت كل محاولاتى مع الرجل بالفشل ووجدتنى مسوقًا مرة أخرى إلى مقعدى الخشبى اللعين، وبجانبى حارسى الخاص ذو البطارية الذى بادرنى.قائلاً مساء الخير يا بيه.. وذكرته

بنفسى مرة ثالثة و.. وتفاهمنا.. وفجأة حدث رفض بالإجماع بالنسبة نفسها التى تعودنا عليها فى كل الاستفتاءات والانتخابات ٩٩,٩٪ من المتفرجين رفضوا الفيلم وهبوا واقفين، سرت فى المكان حالة من الهستيريا والفوضى العارمة.. وصاحوا صيحة رجل واحد، وقرروا أن يسدوا تلك الفتحة التى يخرج منها شعاع الضوء ذلك الذى يعذبهم.. شعاع الفيلم.. وصرخ أحدهم الله أكبر.. وسرت العدوى بين الجميع، وفى كل دور العرض مثل هوجة عرابى فتسمع فى الأقاليم واد يا حمدان إيدك معايا ياد يا حمدان.. واندفع المتفرجون البواسل، وسدوا بأيديهم تلك الفتحة اللعينة.. نسوا ثقب الأوزون. نسوا كل الثقوب التى فى جلاليبهم، وتفرغوا لأن يسدو تلك الفتحة التى يخرج منها الفيلم.. ولكن الفيلم ظل يعرض على الشاشة.. صنعوا من أجسادهم سدّا منيعًا وسدوها ولكن الفيلم شغال.. البطلة لا تزال تتلوى وتتثنى مثلما كانت تفعل من ثلاثين عامًا.. يا خبر أسود يا جدعان، الأوغاد لا يزالون يتركون البطل ينزل فيهم ضربا وركلا وهو لا يتحمل زأة...

لم أستطع أن أتحمل المشهد... أخذت ذيلى فى سنانى، ولكننى عند الباب شعرت ببطارية موجهة إلى ظهرى وصوت يأتينى من الخلف مساء الخير يا بيه.. و.. وتفاهمنا طبعا..

أنا مِشْ مَبْسُوط كِدَه!

إسحلونى.. إخلعوا أظافرى واطفئوا سجائركم فى جسمى.. احكموا علىّ بالأشغال الشاقة المؤبدة وحينما تقدموننى للمحاكمة لا تقوموا محاميًا ليدافع عنى. لإننى إذا وجدت أحدًا يدافع عنى فى المحكمة سأشتمه، وستصبح قضية سب وقذف تضاف إلى جريمتى الكبرى.. أحذركم من أن تأخذكم بى الرأفة، وإذا حاول القاضى أن يبحث فى الظروف التى أدت بى لارتكاب هذه الجريمة سأعترض عليه.. سأقول له وأنت مالك.. حولوا أفلامى وكتاباتى وأوراقى إلى فضيلة المفتى.. أريد أن أصبح عبر ة لمن لا يعتبر..

هذا ما قاله لى المؤلف الشاب وهو يرتجف من فرط انفعاله.

قلت له: إهدأ.

قال لى مش ح أهدأ.

قلت له طيب فهمنى ما جريمتك يا أستاذ..

قال لى أنا لست أستاذًا أنا تافه، وتلك هى جريمتى، وليس من حق مخلوق فى هذه الدنيا أن يصفح عنى إيه رأيك بأه.. التهمة لابْسانى لابْسانى. وأنا معترف بذلك.. لماذا تريدون أن توجعوا قلبى؟ أعترف أننى وبمحض إرادتى وبكامل قواى العقلية، قبلت أن أعمل مع هذا المخرج.. أعترف أننى الذى كتبت القصة التى ظهرت على يديه بهذه الصورة البشعة المريرة.. وهو ليس بمذنب.. فالأب الذى يسلم ابنه إلى أمنا الغولة،.هو المجرم وليس أمنا الغولة.

لم أكن أعرف أن تكنيكه فى الإخراج أن يقتل خيالى، وأن يدهس حوارى بوابور زلط.. لم أكن أدرى أن مفهومه عن الإيقاع أن يوقع العمل الفنى.. كنت أعلم أنه يكذب ولكنى أيضًا كنت أكذب على نفسى وأصدقه.. كان لابد أن أخذ عليه وصل أمانة على كل ورقة من أوراق السيناريو يوقع لى تحتها، ولكنه أقسم بشرفه ودعا على نفسه آلاف المرات لو كان بيخدعنى.. قال لى ولا النور ده ينطفى فى عينى.. ولا اتحرق زى النار دى ولا يفرمنى أَطْر.. وأنا أقاطعه فى هبل قائلاً.. بعد الشر عنك. والذى حدث إننى أنا الذى انطفأ النور فى عينى وأنا الذى انحرقت وانفرمت بعد أن أخرج لى.. لم أكن أعلم أنه كان يدعى علىّ أنا..

أخذت أربت على كتفه، أحاول أن أهدئ من روعه.

وقلت له لابد أن ضائقة مادية مررت بها هى التى ورطتك معه.. أنت لك عذرك برضه..

فإذا به تتغير ملامح وجهه وهجم علىّ كأنه سيخنقنى وصرخ فى وجهى قائلاً: ضائقة مادية «ضائقة مادية» يا ريتنى مت من الجوع.

وتركت صديقى المؤلف الطاقق.. وتأملت قليلاً فى عذابات الكاتب المصرى.. من أيام الفراعنة، وهو جالس القرفصاء مثل شحاتين السيدة كل التماثيل واقفة منتصبة أو جالسة فى شموخ على عرش مهيب إلا هذا الجالس على الأرض.

وتذكرت الراحل الأعجوبة «بهجت قمر»، أخف كتاب الدراما ظلاً حينما كان يكتب للمسرح رواية زقاق المدق عن رائعة نجيب محفوظ.. وتكاثر عليه الممثلون.. كل واحد يريد أن يبرز له دوره أكثر من الثانى.. والمسكين يحاول أن يرضى جميع الأطراف ولكن هيهات فإذا به يخلع حذاءه وينهال على رأسه قائلاً.. أنا اللّى جبته لنفسى.. أنا اللى جبته لنفسى... صدقونى إنها مأساة.. فأنت تكتب والمنتج يقولك الجمهور عاوزه كده.. والمخرج عاوز كده.. والبطلة عاوزه كده، وليس أمامك إلا أن تصرخ مثل إبراهيم سعفان.. أنا مش مبسوط كده.. أنا مش مرتاح كده.

ولا أزمة فى الصحافة على لسان الفنانين إلا أزمة الورق.. مفيش ورق، وهو تعبير مجازى يعنى مفيش مؤلفين، وأزمة الورق الحقيقية عند المؤلفين هى أزمة ورق البنكنوت والظروف الضاربة بعيد عنكو.. ولذا يضطر المؤلف أن يضحى بالنص، لكى يعيش العيال فيعطيه لهذا المخرج الذى يدعى على نفسه.

فى المساء ذهبت إلى ذلك المؤلف الطاقق، فوجدته جالسًا على مكتبه وأمامه مَبْخَرة عثمانى يتصاعد منها دخان كثيف والنص موضوع فوق المبخرة وصاحبنا يرقيه.. رقيتك واسترقيتك من عين المخرج اللى يخرجك وما يصليش ع النبى.. ومن عين المنتج اللى ما يصرفش عليك ومن عين اللى قَروك ومثّلوك واشتروك وناويين يبوظوك.. كانت حالته غريبة.. ينفخ فى النار ويفَقَّر بجسمه كأنه فى زار.. حَىْ حى.. حى حى. وفجأة وجدته يصرخ فى الدخان.. ديدبان يا ديدبان يا ملك الإنس والجان.. ارحمنى من العذاب والحقنى بفطين عَبْوَهَّاب.

❁ ❁ ❁

اسمى ع الأفيش

صرخ صديقى الفنان فى وجهى مفزوعًا، وهو ينظر إلى الأفيش المعلق فى الشارع قائلاً:

اسمى؟!! سأقلب الدنيا.. سأرفع قضايا وسأوصل الموضوع إلى أعلى مستوى.. اسمى!! اسمى أنا يوضع بعد فلان وفلانة وفلان؟! أنا!!

قلت له إهدأ يا صديقى.. ليست هناك مشكلة المهم ما فعلته أنت داخل الفيلم.. وكيف أديت دورك..

ولكنه لم يسمعنى واستمر فى ثورته: إنهم يريدون أن يحطمونني.. يا صواعق.. يا براكين.. يا زلازل.. الأوغاد أولاد الـ... ولكن سنرى.. الجمهور لا يأتى إلا من أجلى أنا.. سنرى.. لن يعتب أحد باب السينما.. لن يقبل جمهورى لى هذه الإهانة...

كل هذا ونحن واقفون أمام الأفيش لأكثر من نصف ساعة، وقد

تسمر صاحبنا أمامه كالتمثال.. الطريف.. والطريف جدًا أن الناس لم تزدحم حولنا ولم يلتفت أحد لنا.. لسبب بسيط فلا أحد يعرفه أساسًا.. وشغلتنى حكاية الاسم هذه فالاسم مرتبط بالفعل.. وما تفعله أنت هو الذى يحدد اسمك ويضعه فى الحجم الصحيح.. فى أيام الفراعنة مثلاً كان لكل فرعون خمسة أسماء.. له وحده.. وكان يضع الاسم الفرعونى داخل داخل برواز جميل (خرطوش)؛ ليحمى اسمه من عين الحساد.. وكان كل فرعون ينقش اسمه على تمثاله ومسلته ومعبده وسريره وملابسه حتى شبشب الحمام كان ينقش عليه اسمه.. وفى المناطق الشعبية، تجد شابًّا اسمه حنفى ويناودنه فى الحته كلها بطارق لماذا؟!! هكذا بلا سبب.. وتجده يبتسم لك ويقول بس لما تيجى عندى فى المنطقة، قول أنا عاوز طارق أى عيل يجيبك..

وجاء لنا من تركستان من عند نهر جيحون، حكام حكموا مصر وسموا أنفسهم بالإخشيد وتقبلهم المصريون.. وفى الحقيقة لقد تغير اسم الحاكم فى مصر عبر تاريخها الطويل مئات المرات ملوك وسلاطين وفراعنة وولاة وخديوية.. ولكننا غالبًا ما نترك للحاكم حرية أن يسمى نفسه ما يشاء، وفى الحبشة كانوا يسمون الملك «نجاشى»، وملك الروم اسمه قيصر، وملك الفرس اسمه كسرى، وهناك حكام مهاويس بالألقاب.. فالخديو إسماعيل لكى يحصل على لقب (الخديو) ولكى أعرفه فى مقالى هذا بالخديو، صرف دم قلبه على الباب العالى فى الآستانة؛ لكى يمنحوه اللقب.. وإحقاقًا

للحق هو لم يصرف دم قلبه هو فقط، وإنما دم قلبنا أيضًا، ولكن الرجل كان يريد اللقب حتى يعمل لنا قيمة بين الدول والحكام.

وفى نهاية عهد الملكية فى مصر كانت البهوية والباشوية تباع على الأرصفة ولا يستبعد أنه لو كانت استمرت أكثر من ذلك لرأيت رجلاً طالعًا إلى الأتوبيس، وهو يقول معانا ١٥ بهوية وباشوية واحدة.. آخر واحدة يا محترم.. ومش مضروبة.. ممضية من فاروق والسراية وزى الفل.. الأستاذ اللى قاعد.. عاوزين نروح بيتنا، ننام وسط العيال.. معانا البهوية.. «معانا الباشوية»! الأسماء والألقاب ستظل مشكلة المشاكل إلى أبد الدهر هذه هى الحقيقة، أنا نفسى تسببت فى مشكلة كبيرة بعد ولادتى مباشرة.. حيث كانت أمى قد وعدت خالى أن تسمينى على اسمه، وأبى قد وعد أخاه هو الآخر وأقسم أبى بأغلظ الأيمان ألا يترك أحدًا يفرض عليه اسمًا لابنه، وأنه باعتباره الأب وهو الذى تعب فيَّا هو الوحيد الذى له الحق فى اختيار الاسم الذى يريده.. وانفعل أبى وثار، وكانت شغلانة.. لا أعلم انتهت لصالح من، ولكننى على أية حال اسمى على اسم خالى..

منذ لحظة عيد الميلاد وحكاية الاسم مشكلة. وأول ما تتعلمه وأنت تفك الخط هو أن تكتب اسمك وتظل من بعدها فى حالة جرى ولهاث خلف الأسماء، فلو كتبت رواية تحتار فى اسمها ثم فى أسماء الشخصيات ثم فى أسماء الممثلين الذين سيمثلونها، وإذا أجَّرت محلاً تحتار ماذا تسميه حتى وأنت تشترى قميصًا وبنطلونا تسأل عن أسماء بيير كاردان.. كريستان ديور..

وفى عالم الفن تحتل مشكلة الاسم هذه أهمية رهيبة لدى الفنانين، فعندنا مثلاً (نجمة الجماهير) وتنافسها وواقفة لها ع الواحدة (نجمة مصر الأولى) بعد اعتزال (نجمة الشاشة العربية) ما الحكاية بالضبط.. ما أهمية هذه الألقاب.. هل يحتاج محمود المليجى أن نكتب قبل اسمه المستشار المهندس ضابط طيار محمود المليجى؟!!.. لا يحتاجها على الإطلاق.. يكفى أنه المليجى..

إذًا هـو الفعل قبـل الاسم.. أعرف فنانين أخذوا فرصًا لا تعد ولا تحصى، وكتبت أسماؤهم. بالبنط العريض، وعملت لهم أكبر دعاية ولكنهم جميعا تنطبق عليهم المقولة الشائعة «مش نازل لى من هنا» «مش قادر أبلعه».

المشكلة أنك لا تستطيع أن تخدع الجمهور، ولذا تتضاءل هذه الأسماء تدريجيًـا إلى أن تتلاشى تمامًا.. لأن الفعل هو الذى يبقى وهو الذى يخلد الاسم، فلولا الأهرام ما كنا حفظنا أسماء خوفو وخفرع ومنقرع، ولولا القناع الذهبى ما كنا عرفنا ذلك الفرعون اللى ما كملش ١٤ سنة اللى اسمه توت عنخ آمون، ولكنهم خلدوا أسماءهم بأفعال عظيمة..

وأنا عرفت شخصًا مشكلة حياته هى اسمه.. كيف؟! هو اسمه حمدى ويعمل قهوجيًـا ولكن فى شهادة الميلاد كتبوه حمده والنوع أنثى.. وحينما أراد أن يستخرج بطاقة شخصية لكى يقدمها للجان

التى على كوبرى ٦ أكتوبر.. أرادو أن يكتبوه أنثى وحمدى بالطبع لم يقبل هذا وفى الوقت نفسه لم يعرف كيف يثبت لهم العكس، وكانت مشكلة لأنه كاد يعمل بنصيحتى، وهى أن يؤكد اسمه بالفعل، ولكن الفعل هنا يودِّى فى داهية..

❁ ❁ ❁

الكاسيت مفتوح

مشاجرة كبرى بين أخى الأكبر وأختى.. هو يقسم أنه ضبطها باصَّة من الشباك، وهى تقسم أنها كانت مواربا‌ه، ويثور أخى وينفعل ويعلو صوت أمى من المطبخ يا ولاد بس.. اهمدوا شويه.. ويعلو صوت أختى.. مالكش دعوة أنت.. بابا لما ييجى هو اللى يتكلم.. ويصرخ أخى.. وأنا إيه.. طَرْطور فى البيت.. كل هذا وجهاز التسجيل مفتوح يسجل كل كلمة دون أن يشعر إخوتى بذلك.. ويأتى أبى ويحل الموضوع ويتصالحان.. هنا أقول لهم اسمعوا بأه.. وأشغل الكاست، وننفجر جميعًا فى الضحك.. وتقول أختى.. ياه ده أنا صوتى يخوف، عاملة زى ريا وسكينة، ويستغرق أخى فى الضحك إيه ده.. رجع الحته دى.. أنا كنت بأقول إيه!!

كنت حينئذ لم أكمل العاشرة بعد.. وتعلمت أول درس فى الكوميديا أننا حين نضحك.. نضحك على أنفسنا.

ومن يومها كلما دخلت مكانًا أو قابلت شخصًا جعلت من رأسى جهاز التسجيل المفتوح، فالتقط شخصياتى وموضوعاتى من قلب الحياة.. هذا المعين الذى لا ينضب، ومن اللحظات التى تلصق بالدماغ ولا تخرج.. لحظة تصفيق الجمهور بعد انتهاء المسرحية.. لحظة نشوة ما بعدها نشوة، ويستطيب لى أن أتسكع بين الجمهور الخارج لأستمع إلى مختلف الآراء والانطباعات، وهى ما تزال طرية طازة، يعنى قبل أن تخضع لاجتهادات ونقاشات المتخصصين.. وأنا فى أمس الحاجة إلى ذلك لأننى أشتغل فى حتة الكوميديا.. كل الأعمال تخضع لحكم القلة إلا بنت اللذينة دى.. الكوميديا وحدها تخضع لحكم الجميع.. وفتحت جهاز التسجيل فى رأسى ووقفت بين الخارجين.

رجل أنيق يتأبط ذراع زوجته يسألها:

إحنا كنا راكنين فين؟! هما شالوا العربية؟

وترد الزوجة:

إيه اللّى البطلة لابساه ده.. ما يصحش حتى.. دى فاتحاها على البحرى، ويرد الرجل الأنيق.. شوفى معاكى فكة للمنادى..

شاب أمور معجب بنفسه وصديقه يخرجان..

يقول المعجب بنفسه.. البت تتاكل أكل.. قشطة يا بنى..

كان الثانى يتحسس مؤخرته بيده فى شرود.. وهو يقول..

البنطلون اتقطع. الكرسى كان فيه مسمار.. يا دى الليلة السودة.. تذكرة بمية وخمسين جنيه، ومش عارفين يصلحوا الكراسى ده نصب.

ويمر بهما صديقهما الثالث.. هه.. إيه رأيك فى المسرحية..

يرد صاحب البنطلون المقطوع.. زفت.

يمر رجل يرتدى نظارة، ويمسك بمجموعة من الكتب فى يده ويقول لصديقه:

مترجمة.. المسرحية منقوله بالمللّى من مسرحية كورى قريتها من عشرين سنة..

يقول صديقه.. ولكن الأحداث كلها تدور فى مصر..

فيسخر منه ذو النظارة قائلاً.. إنت طيب أصلك.

رجلان فى منتصف الأربعينيات يرتديان الملابس الرسمية..

الأول: عمرى ما ضحكت زى الليلة دى.. (يضحك) مَسْخَرة..

الثانى: بس المؤلف عاوز يقول إيه!!

الأول: أنا مالى شفت. هئ هئ شفت لما استخبى فى الدولاب وجوزها دخل.. هأهأهأ أنا مت.. أنا هاجى أشوفها تانى.. تيجى.

الثانى: أجى ما قلتش لا.. هيه عاجبانى. بس المؤلف عاوز يقول إيه؟!

يخرج الناقد المهم ولكنه يقف قليلاً خلف الناس ليخرجوا هم

أولاً، . . وبجواره تابعه صحفى صغير فى بداية حياته العملية وظيفته حتى الآن تربيط المواعيد للناقد المهم. .

يقول الصحفى الصغير:

الحقيقة أنا مش قادر أحكم على قيمة العمل الفنية، بس متهيألى يا ريس فيها حاجة. . فيها كام حتة كده لسوعة. . على الجرح يعنى. .

يقول الناقد المهم:

فين اللسوعة دى. . شوية نكت سطحية وسخيفة. .

يتراجع الصحفى الصغير خطوة:

آه. . طبعًا طبعًا. . أنا قلت أنا مش قادر أحكم على قيمتها الفنية، أنا بس قصدى إنها مضحكة شوية. . مسلية يعنى. .

. يقول الناقد المهم:

ولا مضحكة حتى. . معلش يعنى إيه اللى ضحكك فيها، موضوع غير واقعى. . أفكار متناقضة لاحبكة ولا حدث ولا حاجة.

يتراجع الصحفى الصغير خطوة أخرى:

أنا معاك. . طبعًا طبعًا. . أنا بس يعنى بأقول إن. . لغة الحوار يعنى ويهاجمه الناقد المهم بضراوة. .

أى حوار. . ده كلام سوقى وهمجى قل لى. . أنا باتكلم كده؟! أنت بتتكلم كده؟! سمعت حد بيتكلم كده؟!

أصبح الصحفى الصغير لازقًا فى الحيط. . لا يستطيع أن يتراجع أكثر من ذلك، فقال: .

مسرحية زباله.

وأنقذه دخول ناقد مهم ثان أكثر أهمية من الناقد الأولانى..

همس المهم الأول للمهم الثانى:

مسرحية مقززة.. مسرحية قذرة.. قذرة.. لا تستحق أن تسمى كوميديا..

فهمس له المهم الثانى وهو يبتسم:

يعنى مش للدرجة دى برضه المسرحية فيها حاجة..

تغيرت ملامح المهم الأول، وقال:

فيها حاجة.. إزاى يا أستاذنا؟!

ازداد زحام الخروج، ووجدت نفسى مدفوعًا ومعى كاسيت دماغى المفتوح، ولم أعرف الحاجة التى رآها الناقد المهم الثانى فى المسرحية.. والتقط الكاسيت صوت رجل ينظر فى ساعته ويؤنب زوجته:

مسرح.. مسرح.. مسرح.. الساعة تلاتة الفجر.. وعندى شغل الصبح..

وتقول الزوجة فى عدم اكتراث: بكرة خده أجازة عارضة..

ثم تهمس لزوجها شفت الفستان اللى كانت لابساه البطلة..

فيرد فى زهق.. أنهون..

فتقول النبيتى..

يقول . . ما شفتوش . .

تقول له إزاى . . اللى ظهرت به فى الفصل الثانى . .

يقول . . أصل أنا كنت نايم فى الفصل الثانى . .

قال السائح العربى لصديقه العربى الآخر:

والله يا شيخ مسرحية عظيمة، لكن ما عجبنى فيها غير الواد اللى بيضَّحك كتير هادا إيش اسمه . .

ويرد العربى الآخر: ما أعرف.

اقتحم المعلم الكبير بكرشه الضخم وسلاسله الذهبية الزحام ونفذ برشاقة، وهو لا يعبأ بأحد، وقال لصديقه:

بس مسرحية كده . . (يشير بأصبعه الإبهام إلى أعلى).

أجاب المعلم الآخر صديقه.. «حلوة بس ما فيهاش «كصه» . .

قال موظف التليفونات الذى حضر المسرحية بدعوة لكى يسلك موضوعًا فى التليفونات لأحد الممثلين . . قال لزوجته المدعوة معه هى والعيال:

كباية الشاى بأربعة جنيه دول حرامية . .

كان يريد أن تكون الدعوة شاملة الشاى والقهوة والساندوتشات.

عزيزى القارئ الكاسيت لا يزال مفتوحًا . . ولكن عذرًا . . الشريط خلص.

هيا بنا نخرُج

عزيزى القارئ.. أين تذهب هذا المساء.. أطوى الجريدة نصفين.. محتفظًا بذلك النصف الذى فيه مسرحيات الصيف كلها.. وأتأمل أبطالها.. يا حلاوة.. كل هؤلاء الممثلين.. يمثلون كل يوم.. أنا لو معايا فلوس.. لو.. يعنى أنا باقول لو.. كنت ما سيبش الرواية دى.. أصل بحب الواد دى أوى.. دمه خفيف موت.. ولا البت الأمورة دى.. ما بتحرمش جمهورها من حاجة.. مش خسارة الميت جنيه ولكن لماذا الصور كلها هكذا.. مربعات.. أو دوائر.. ومحطوطة بطريقة غير جميلة على الإطلاق.. الأفيش ينطق بالخناقة التى حدثت خلفه.. الكل يريد أن يصبح الأول على الأفيش والكل يرى أن الجمهور يقطع التذكرة من أجله هو.. أسماء الروايات تسيل اللعاب.. كلها تشعل الخيال بحواديت ينتصر فيها الخير فى النهاية على الشر.. ومالو..

نحن لا نتفرج على الروايات لكى نصل للنهاية.. هذا مفهوم تافه وقديم.. نحن نخرج من روايتنا الحقيقية التى نعيشها فى الحياة ونسلم أنفسنا وأفئدتنا ومشاعرنا إلى رواية أخرى مصنوعة.. البطل فيها ليس أنت.. ولكنه بالتأكيد سيجعلك تشعر بالزهو؛ لأنك فى روايتك أنت حالك أفضل منه بكثير.. فإذا كان عبيطًا أنت عين العقل.. وإذا كان بخيلاً.. أنت فَييس.. وإذا كان مخدوعًا.. أنت مِقَطَّع السمكة وديلها.. وبرغم أن النهاية المتفق عليها من بتاع ألف سنة أن الخير ينتصر على الشر.. إلا أن معظم الجمهور لا يدخل إلا عشان الشر.. وعناصر الجذب فى الشباك.. المجرم والشرير والرقاصة والمفترية.. وتصوروا معى.. بطلاً طيبًا وابن حلال.. أحب بطلة بنت حلال، وأنجبوا أطفالاً طيبين أولاد حلال مصفى. وعاش الجميع فى طيبة وسعادة وألفة.. وانتهت الرواية ما رأيكم؟.. هيه!! إنتو نمتوا.. ألم أقل لكم.. ما الذى يوقظكم إذًا؟! امرأة لعوب تدخل لتخطف الزوج من زوجته.. بس هنا بقة نفوق ونركز مع بعضنا.. صديق البطل يحاول قتله.. يا عينى.. العيال فشلوا فى المدارس، وطلعوا شمَّامين وبالبلا لأ حقهم.. ماشى.. حلو ده..

وفى المسرح الصيفى.. حيث الجمهور.. مِصَحْصَحْ وفايق.. يحلو لنجم الكوميديا أحيانًا الدخول فى النص واستكمال الرواية.. وهذا يكون له أثر كبير على الصالة، التى تضج بالضحك ليس من كوميدية الرواية إطلاقًا.. وإنما لأنهم لأول مرة يفهموا حاجة.. وهنا

ينبرى النقاد.. وهما واخدنها جد جدا ويثيرون قضية الخروج عن النص.. والإرتجال.. صرخ المؤلف الواقف بجوارى فى أذنى صرخة رهيبة.. وقال.. يا نهار أبوكوا أسود.. جِبْتوا الكلام ده منين أنا ح أوقف العرض.. ده حَقِّى.. الكلام اللى بيتقال دى مش فى النص.. أحاول أن أهدئ من روعه.. أأخذه خارجًا إلى الكافيتريا.. اتدبس فى اتنين ليمون من البوفيه، يا عم ما تعملش فى نفسك كده.. ومن منا لا يخرج عن النص.. كلنا نفعل ذلك فى حياتنا... الملتزم الذى يحلف الناس بأخلاقه تنتابه لحظة ضياع.. لحظة طيش.. صياعة.. خروج عن النص.. الفاسد الذى لا أمل فى إصلاحه تيجى عليه ساعة وتلاقى ربنا هداه.. الميكروباسات التى لها طريق محدد ومرسوم.. يحلو لسائقيها أحيانًا.. تَخريمة من الشارع ده.. حَودة من الحارة دى.. ارتجالة إنسانية مشروعة.. ثم إن الارتجال فن. هنا بصق الليمون الذى عزمته عليه فى الأرض، وقال لى.. فن؟! قلت له طبعا.. إنه فن يعتمد على الانتهاز فى كل شىء.. رجل يدخل هو وأولاده يسقط على الأرض.. يلتقطها الكوميديان.. وهات.. ممثل يتزحلق.. زَلْفة لسان موضوع يشغل الرأى العام، حتى لو كان بعيدًا عن المسرحية.. هل تعلم أن الفياجرا مثلاً.. سيتكلم عنها الممثلون على خشبة المسرح مالا يقل عن سبعة آلاف مرة هذا الموسم.. إن اسمها فى حد ذاته.. له مدلول..

الارتجال يا عزيزى هو فن الحرف البدائية الأولى.. الصيد والجمع والالتقاط فن العمل بلا ضمان.. العمل من أجل الأكلة التالية ..

ثم أن الارتجال يا أستاذى ليس المتهم الوحيد فيه هو الممثل.. إن معه شريكًا.. هل تعرف من هو.. الناس إن الجمهور يضحك ويموت من الضحك حينما تقول البطلة.. المخرج قال لى كذا.. أو أنت بتضرب بجد.. أو إيه إنت ما اتعشتش فى بيتكوا.. ده أكل عشان التمثيل.. وهذه هواية خبيثة قديمة عند الجمهور.. من أيام يعقوب صنوع الذى يحكى أن ممثلاً حل محل الملقن ذات يوم.. ولم يستطيع الممثل أن يلقن بالشكل الصحيح.. فزجره صنوع.. فما كان منه إلا أن خرج من «الكمبوشة» وقال للممثل.. ما على مهلك.. إيه بالع راديو.. استنى لما القنك على مهلى.. وضج الجمهور بالضحك.. فأخرج صنوع الملقن فى غضب محقرًا إياه.. فلم يلبث قليلاً.. ثم دخل إلى خشبة المسرح، وألقى بنسخة المسرحية فى وجه الممثل.. وأدى الرواية.. يلعن أبو اللى يشتغل معاكوا بعد كده.. وتنشب معركة. والجمهور يضحك ويضحك مما دعا الممثلين إلى استعادته فى الليلة التالية وكل الليالى التالية.

وفى مسرحية «غندور مصر» كانت البطلة الممثلة تكره زميلها الذى يقوم بدور الحبيب أمامها أما هو فكان يحبها ويغازلها.. وفى أحد المشاهد الغرامية فى المسرحية، وهو يبث لواعج هواه لها.. زودها شوية وسبل لها عينه.. ودَلْدِلْ لها شفايفه.. وعاش فى الدور.. وهى فى شدة الغيظ والفَرْسة منه.. ولم تستطع أن تتحمل وطاخ.. قلم على وِشُّو صدى صوته جاب آخر الصالة.. وقالت للجمهور.. أنا أسفة أنا باكرهه كره العمى، بس الدور إنى أحبه.. وكملت

دورها.. ونشب نزاع بين الاثنين بالطبع.. وأحبه الجمهور.. وطلب كالعادة.. أن يعاد المشهد أمامه فى الليلة التالية.

ومن أكثر المرتجلين ظرفًا فى حياتنا الفنية.. الراحل أمين الهنيدى.. ونتذكر له معًا مشهدًا بديعًا فى مسرحية غراميات عفيفى.. حينما ألقت له الجميلة ليلى طاهر بكمية من القبلات الطائرة فى الهواء.. وتخيل أمين الهنيدى أنها وقعت على الأرض: وأخذ يجمعها فى عبه.. ثم ينظفها من التراب.. ثم يعرض بعض القبلات على المتفرجين فى المسرحية، هذا مشهد بالكامل.. خرج من خيال الممثل.. وسمير غانم.. عميد الارتجاليين فى نهاية القرن العشرين.. لا يزال مشهده عن الفول فى (المتزوجون) حالة من حالات الضحك الهيستيرى، التى لا تتكرر على خشبة المسرح.. والاسكتش الرائع.. الذى عمله عن المطربين فى موسيقا فى الحى الشرقى.. إننى أشبه خروج كل منهما عن النص.. بالخروج لشم الهواء، ثم العودة إلى حجرتك الجميلة بفتح النافذة واستنشاق الأكسجين الطبيعى بدلاً من التكييف.. إن المسرح الشعبى لا يعنيه أن ينسى المتفرج أن ما يجرى أمامه هو مجرد عرض مسرحى، ولا يسعى إلى أن يندمج متفرجه فى العرض فينسى نفسه والزمان والمكان... الشىء الذى يهدفه المسرح الشعبى.. أن سيادتك تِنْجَعِصْ على الكرسى.. وتتفرج وتنبسط.. وتفرفش. وتهيص.. ولو فيك دماغ.. يا ريت تكون طلعت بحاجة ما يمنعش والله.. الله بأه.. لو كنت قاطع تذكرة.. مش داخل بدعوة.

فِقرة إعلانيَّة

صفق بيديه فى زهق، وقال للمحيطين بمكتبه:

ممكـن بـأه تِفَضُّولى المكتب شـوية عـاوز أتـكلم مـع الأسـتاذ..

يا للا.. بعدين.. بعدين.. اقفلوا الباب..

بعد أن خلا المكتب إلا منى ومنه، ابتسم لى فى سعادة غامرة، وقال لى:

أنا من زمان بأَبَصْبَص لك.. عينى عليك.. بقول لنفسى هو ده اللِّى ح احط إيدى فى إيده ونكسر الدنيا.. سيبك من اللى أنت بتكتبه ده.. إنساه خالص إحنا عاوزين نعمل فن.. فن خالص.. حاجات عشان التاريخ.. قبل ما أقولَّك ع الموضوع اللى عاوزك تكتبه قولى إنت.. إحنا ناقصنا إيه، وقبل أن أجيب قال لى أقولك أنا.. إحنا ناقصنا رومانسية.. خيال.. حب برئ والموضوع اللى ح تكتبه فيه كل ده.. روميو وجولييت.. ولد وبنت حبُّوا بعض..

عقبات كثيرة وقفت فى طريقهم.. مقدرش المجتمع المادى يستوعب نقاء وطهر حبهم.. وقضى عليهم بس طبعًا روميو مش روميو وجولييت مش جولييت.. روميو بتاع النهاردة وچولييت بتاعة النهارده.

قلت له مفهوم.. مفهوم..

ابتسم فى انتصار، وقال لى:

أنا عارف إنك الوحيد اللى ح تفهمنى، ودلوقت روح اكتب.. عيش فى الحكاية.. أى عقبة تقف قدامك أنا موجود.. أنا أعرف أتعامل مع فنان زيك.. أنا حاجز لك فى أوتيل.. كل طلباتك مجابة.. يا للا يا أستاذ..

وبدأت أنفذ كل ما قاله لى.. فى المساء نمت فحلمت بروميو وجولييت.. فى الصباح أتانى الجرسون بالإفطار فأخطأت وقلت له مرسيه يا روميو.. وفى الغذاء جاءنى تليفون من الريسبشن، فأجبت على البنت التى كلمتنى وقلت لها.. كل حاجة هايلة يا جولييت. بعد شهر كنت قد كتبت الرواية. ذهبت إليه مفجوعًا بعد أن أنهيت مشهد الانتحار الأخير. استقبلنى متهللاً، وقال فى سعادة أهو كده.. احكيلى عملت إيه، أخذت أقرأ له وهو يسمعنى بإنصات وتأمل..

بعد أن انتهيت من قراءة الموضوع، قام من على مكتبه وتمشى قليلاً وقال لى:

جميل، بس فيه شوية حاجات لو سمحتلى.. أولاً جولييت لماذا لا تعمل عاملة فى محل ملابس.. ألن يكون ذلك أجمل..

قلت له: وما الداعى..

فأجاب.. أصل فيه محل ملابس إحنا متعاقدين معاه ح يحط إعلانات فى الرواية.. وهذا بالطبع لن يؤثر على الدراما ثم أن روميو لو كان موظفًا فى شركة تأمين، سيصبح هذا طعمه أجمل دراميًّا.. خصوصا وأن شركة التأمين التى ستضع إعلاناتها فى الرواية رصدت مبلغًا ضخما للدعاية، مع الاحتفاظ بخط الشخصية وعدم المساس بالحدوتة..

ثم عاد وقال:

عذرًا أنا لا أتدخل وإنما أقترح فقط.. ثم أن هناك نقطة استفزتنى كثيرًا.. البطل بيحب البطلة قوى كده ليه قلت له غاضبًا.. ده روميو..

فأجاب بابتسامة هادئة: عارف عارف والله.. ولكن لماذا لم تجعله يبرهن لها هذا الحب عمليًّا.. الكلام لا يكفى.. لماذا لم يرسل لها عقدًا من اللؤلؤ والألماظ مثلاً؟!.. لماذا لم يرسل لها بالطو من فراء المنك ماركة سكادا.. لقد كلمونا وعلى استعداد للتعاون معنا..

هنا ثارت ثائرتى وقلت له: أى فراء وأى لؤلؤ.. روميو الذى كتبته أنا.. مش لاقى اللَّضا.. ظروفه المادية منيلة وجولييت أنيل..

ربت صاحبنا على كتفى بحنان وقال: اهدأ.. اهدأ يا صديقى.. أنا معك ظروفهما المادية صعبة.. ولكن ما المانع أن يدخل حياتهما رجل أعمال غنى مثلاً.. أو صاحب إحدى شركات المنظفات ويحاول أن يتدخل ويحل مشاكلهما، إن هذا يكسب تعاطف الجمهور.. وهؤلاء كما قلت لك ليس عندهم مانع.. ولا تضايقك اقتراحاتى.. المسألة إنك ملتزم جدًا بفكرة روميو وجولييت.. وأنا ليس مهمًا بالنسبة لى ذلك هذا فعله شكسبير.. نحن أبناء هذا العصر.. هذا الزمان.. أنت معى، فإذا وافقتنى، ولغيت حتة الحب اللِّى بينهم دى. سنأتى للنقطة التالية.. لماذا يعارض الأهل الزواج إن هذا يعطل الرواية.. لماذا لا يوافق الأهل على الزواج ويدبرون للولد والبنت شقة بسيطة ليبدأا حياتهما معًا.. إن فى هذا فرصة لأن يؤثثا لهما الشقة من أشهر المحلات. عندك مثلاً شركة الموبيليات العصرية والمؤسسة الحديثة للأثاث.

و.. قاطعته قائلاً.. وهما بالتأكيد على استعداد للمشاركة فى وضع إعلاناتهم فى الرواية..

ابتسم فى سعادة، وقال لى:

بدأت تفهمنى.. الأجمل بقى أن تكتب مشهدًا لجولييت فى السرير، وهى تأخذ الحباية.

قلت له أى حباية؟!

قال.. حباية منع الحمل.. جولييت لو ظهرت فى الفيلم تحافظ على تحديد النسل.. هذا سيشجع كل المشاهدات على تقليدها..

قلت له وقد نفد صبرى: وما الداعى لهذا..

فهمس لى قائلاً: هيئة تنظيم الأسرة كلمونى إمبارح بالصدفة.. قالولى بتحضر إيه اليومين دول.. قلت لهم ع الفيلم بتاعك.. الحقيقة الناس سعدوا جدًا ووعدوا بالمشاركة فى حملة الدعاية..

هنا لم أستطع أن أتمالك أعصابى.. قمت وأمسكت به من ياقة چاكتته وصرخت فيه:

لا حب ولا معارضة من الأهل ولا انتحار فى النهاية.. أين روميو وجولييت؟ أين روميو وجولييت.؟ دخل الموظفون على صوت صراخى، وحَجَّزوا بينى وبينه..

وكان لا يردد سوى كلمة واحدة.. ده اتجنن.. أكيد حصل له حاجة.. أمسكوه.. أثناء المعركة.. دخل مؤلف أنيق مبتسم.. وضع الورق أمام صاحبنا، وقال له فى سعادة:

سندريلا يا باشا.. أمسك صاحبنا بالورق وفرَّهُ بسرعة، وقال له عظيم:

أدى الناس.. أدى المؤلفين..

وعلمت بعد ذلك أن سندريلا.. لم تذهب إلى حفلة الأمير، ولم تنس حذاءها فى الحفل.. ولم يحبها الأمير، ولم يتزوجها فى النهاية.. سندريلا ياأعزائى هى شيكولاته بالبندق نازلة السوق جديد.

عامِلْ إيه؟! فلّه؟!!

كان صاحبنا الفنان جالسًا بجانبى حينما مر بنا شخص ما.. بمجرد أن رآه صاحبنا هب واقفًا وغمره بالقبلات صائحًا:

«روح قلبى.. حياتى.. معقول؟! طب حتى تليفون.. أنت فين بالليل.. جميل ده.. يبقى ح نقعد.. لازم. هه.. علشان فيه كلام مهم كنت عاوز أقولهولك.. وأنت أخبارك إيه.. مش فُلَّه بَرْضُو؟! قمر!! جميل!! كلمنى يا حياتى ما تحرمنيش من حنانك».

وقاله له بعد أن قذف قبلة فى الهواء:

«ياللّه باى».

وملت عليه أسأله فى فضول: مين ده؟!

فأجاب صاحبنا: والله ما أعرف.. أهى ناس تلاقيها بتسلم عليك.. أنت عامل إيه فله؟!!

وأخذنى من ذراعى لندخل دار العرض السينمائى، التى يعرض فيها فيلم الفنان فلان، وبعد أن انتهى العرض كان صاحبنا أول المهنئين له:

«إيه ده يا فنان.. ده أوسكار.. الفيلم ده جايزة تمثيل، هوه فيه تمثيل تانى بعد كده.. ده أنت خلصت التمثيل يا راجل والله العظيم قمر وزى الفل.. مبروك يا حبيب قلبى» فى الطريق إلى الجاراج لنأخذ سيارتنا، قال لى:

بذمتك دى بلد دى عشان واحد زى ده يمثل.. إيش فَهِّم أهله فى التمثيل.. ده بالكثير مِنَجِّد أو ترزى عربى..».

فى المسرح كنا متجاورين.. وكان صاحبنا مِسَخْسَخْ من الضحك على إفيهات ثقيلة الدم يقولها كوميديان أثقل.. وكزته بذراعى هامسًا:

«أنت بتضحك على إيه؟!

«لكن صاحبنا لم يكن معى كان منفجرًا فى الضحك «ه.. آه.. قلبى.. هىء هىء.. هأهأ.. هؤ هؤ كفاية كده حرام عليك ده أنت قتلتنى».

وتسرى عدوى الضحك بين النظارة، وكان صاحبنا هو أول من يصفق ليشد التصفيق فى الصالة (بلغة المسرح)، وفجأة وجدته ومن فرط حماسه واستمتاعه بالعرض الثقيل الذى لا يضحك سواه يرد على البطل بكلمة يضحك لها الجمهور، وإذا بالبطل يرد عليه بإفيه

نار به بعض التجاوز وتضج الصالة بالضحك ويرد صاحبنا «بأه كده.. حاضر استنى عليا لما نطلع م المسرح أنا مستنيك بره» ويخبط الجمهور بأقدامه على الكراسى من فرط الضحك، وسعدت حينما اعتذر له البطل فى رقة.. «معلشى أنا بهزر» ويتقبل صاحبنا الموقف بروح رياضية أعجبتنى حقًا، ولكن الشىء الذى لم يعجبنى أننى علمت بالصدفة أن هذا الموقف يحدث يوميًا على أنه ارتجال يحدث فى التو واللحظة، وأن هذه المشاعر الإنسانية التلقائية تمثل يوميًا أمام جمهور الحاضرين.. إنه التمثيل فوق التمثيل..

أمام كاميرات التليفزيون جلس صاحبنا أمام المذيعة، يدق ناقوس الخطر على الحال الذى وصل إليه الشباب من إدمان للمخدرات وضياع وغياب العقل والوعى، وبعد أن أنهى لقاءه التليفزيونى سأل اللبيس، كنت كويس قال له اللبيس وهو يناوله سيجارة ملفوفة.. عليا النعمة الكلام اللى سعادتك قلته نَخْشِشْ فى نافوخى.

فى إحدى كواليس المسرح شاهدته، وهو يختلى بها (الولهانة) فنانة ناشئة رائعة الجمال، وسمعته يقول لها بعد أن سبل لها عينيه:

«تصورى اليوم وأنا أمثل مشهد الحب مع الفنانة فلانة نسيت وأنا أقول لها أحبك يا منى وقلت لها أحبك يا... ووجدتنى انطق اسمك أنت بلا وعى.. لقد نصحنى الأطباء بالابتعاد عن الانفعال، وأنا حين أراك احتاج مهدئًا ودواء للقلب وحقنة جلوكوز وتنفس صناعى، حتى أستطيع أن أتماسك أمام عينيك».

وأجابت الولهانة «المحنكة»: «أسطوانة جديدة يا فنان».

فأجاب الفنان، وقد اغرورقت عيناه بالدموع «هذه الدنيا غريبة أعلم أننى عرفت نساء كثيرات وقلت أسطوانات كثيرة، ولكن هذه المرة.. هذه المرة بالذات لأول مرة فى حياتى أكون صادقًا مع نفسى. أعلم أننى قلتها كثيرًا قبل ذلك قلتها فى التمثيل وقلتها فى الحقيقة، وكنت أمثل فى الحالتين، ولكن هل تصدقينها هذه المرة.. «أنا.. أنا أنا أحبك»..

واحتبست الدموع فى عينيه وانهارت الولهانة العاشقة «وأنا أعبدك».

ونحن نتناول العشاء سويًا فى المطعم الأنيق سألته بخبث:

مبروك يا سيدى!!

فأجاب: على إيه..

قلت له: هل تنوى الزواج منها.

فقال ممن؟!

قلت له الولهانة.

أجاب الفنان أيهن؟

كدت أجن وصرخت فيه، التى اختليت بها فى الكواليس، وقلت لها أحبك.

فأجاب صاحبنا الفنان مبتسمًا، وهو يناولنى طبق السلطة «يا حبيب قلبى أنا أحب كل الناس.. بداخلى يا چو طاقة حب وعطاء تكفى العالم كله.. أنت مثلاً لا تعلم كم أتعذب من أجلك.. تاخد كاتشب.. هه.. أنت معى.. أريدك أن تهتم بأمورك أكثر.. أن تنجح.. أنا لا أنام من أجلك يا چو. هذا الكلام أقوله لك من قلبى.. صدقنى يا چو.. صدقنى.. صدقنى.. صدقنى.

لأ.. يا نِجْمة

كله كوم.. واللقاءات التى نراها مع الفنانين فى التليفزيون كوم آخر.. إنها تذكرنى ببرامج الأطفال.. ولكنى أقترح أن يكون اسم البرنامج «هيا بنا نكذب»، فاللقاء التليفزيونى مع الفنان هو حالة من الكذب والأونطة والضحك على الدقون، وكأن البرنامج يعرض على نوعية معينة من المشاهدين كلهم داقِّين عصافير وَرَاكْنِين الفيل بَرَّه.. والغريب أنهم جميعا يكذبون كذبة واحدة ويكررونها..

رأيت برنامجًا لفنانة صاعدة تتكلم فيه عن مشوار حياتها.. فبدأت كالمعتاد حينما كانت ماشية على البلاج مع الدادة، وكيف أنها كانت بنت شقية وأروبة وهى صغيرة، وتلك بالطبع هى علامات العبقرية المبكرة ثم إصرارها على التمثيل منذ أن ولدت إلى مرحلة معارضة الأهل طبعًا.. فكل ممثلة عارض أهلها فى البداية فكرة تمثيلها، ثم باركوها بعد ذلك بعد أن أصبحت نجمة.. ثم تتكلم نجمتنا الواعدة عن سلوكياتها الفنية.. فتقول:

أنا بحب كل زمايْلى وبأتصل بيهم أهنيهم.. وبحب الناس وبحب بابا وماما وبحب الدادة.. إنها طاقة من الحب.. بركان من المشاعر..

وتنظر فى براءة إلى الكاميرا وربما لو انتظرنا قليلاً لطلعت لها أجنحة كمان، ثم تحاورها المذيعة الذكية اللماحة بالسؤال الذى سيهد الكون كله.. تسألها:

طيب تفتكرى إيه العيب اللى فى حضرتك؟!

أه.. البنت زنقتها فتمثل نجمتنا الواعدة أنها اتزنقت وتقول لها آه وبعدين فى الأسئلة دى.. لكن شوفى أنا صريحة!!..

«وتنفقع مرارتى تمامًا فأنا موتى وسمى اللى تقول أنا صريحة». ثم تعود وتقول:

أنا فعلاً فيا عيوب.. وح أقولك على عيبى الأساسى.. أنا عيبى إنى طيبة وساذجة.. بينضحك علـيا.. »...

شفـتوا بـأه الصراحة إن جيت للحق البنت مـا خبتش حاجـة.. اللى فـى قلبها علـى لسانها.. ويا عينى لما بدأت تتكلم على الناس، اللى شجعوها ووقفوا جنبها وتنبأوا بموهبتها:

النجم الفلانى قابلنى مرة بالصدفة، وقال لى إنتى ما حصلتيش.. والمنتج الفلانى أيضًا والمخرج إياه.. يا له من عرفان بالجميل، طبعا لا أحد يتصور أن كل ما قالته نجمتنا الواعدة (بزنس) وخد وهات..

ثم اسمعها وهى تتكلم عن اندماجها فى الأدوار التى تعملها..

تقول إنها تجهز نفسها للشخصية، وتتكلم بطريقتها وترتدى ملابسها. . . حتى يحدث نوع من التوحد والاندماج بينهما. . فتذوب هى وتضيع من أجل الشخصية التى ستمثلها، وتفر الدمعة من عيوننا ونحن نتفرج على التليفزيون. والله العظيم بيتعبوا. . إحنا يا جمهور قاعدين مستريحين فى بيوتنا، وهما دايقين المر. . وكل ده علشان إحنا. وتلاحقها المذيعة بالأسئلة. . وما هى ذكرياتك عن العيد يا نجمة!! وتضحك النجمة فى طفولة مصطنعة. . آه. . مرة بابا جابلى فستان العيد. . وكنت ماشية فرحانة بيه بأه روحت واقعة على الأرض فاتوسخ الفستان وقعدت أعيط طول اليوم. . يا سلام. . الله. . شوفوا الذكريات الجميلة. . شوفوا الصراحة. . شوفوا التلقائية. .

والسؤال هل هذه هى النجومية؟! وهل سأعيش لأرى نجمة لم تبدأ حياتها ماشية على البلاج مع الدادة؟! وهل النجمة فى بلادنا تنزل من السما مثل ملائكة الرحمة لتفيض حبا وحنانا؟!! وإذا كن كذلك لماذا أفلامهن. . ليست كذلك؟! ولماذا يساهم الإعلام فى تضخيم وتهويل الأمور. . لماذا نصور اتفاقية ممثلة مع التليفزيون على عمل الفوازير على أنها إتفاقية غزة ـ أريحا. . ولماذا نعتبر الفوازير عملاً وطنيًا، تقف وراءه الدولة والشعب والأمة العربية جمعاء. . . النجومية ليست كذلك يا إخواننا. . . فى إيطاليا نجمة اسمها صوفيا لورين، قالت للمذيعة فى حديثها التليفزيونى:

أنا مثلت حتى لا أموت من الجوع، ولم أكن أتوقع أن أحقق نجاحًا أو نجومية وإنما هناك عقول أخذتنى وشكلتنى وصنعت منى هذه النجمة، وقالت إنها تموت فى الأكل.. وإنها لا تحسن اختيار ملابسها وأن مشاعرها متقلبة..

كانت تتكلم فى اللقاء التليفزيونى دون أن تمثل فالتمثيل انتهى... وهى الآن نفسها.. حقيقتها، أما نجمتنا إياها.. فهى تمثل فى اللقاء التليفزيونى بالمستوى نفسه الذى تمثل به فى أعمالها الفنية... وكلاهما دون المستوى.

❁ ❁ ❁

صاحب.. صاحب عمود !!

من حق أى ناقد أو صاحب عمود فى أى جريدة أو مجلة أن يشتمنى.. وليس من حقى إطلاقًا أن أرد عليه.. من حق سيادته أن يقول إنى جاهل وفاشل وساقط إعدادية، وليس من حقى إطلاقا أن أطلع له شهادة حصولى على الشهادة الإعدادية.

من حقه أن يدعى أننى أسرق أفلامى وأزور مسرحياتى وأقتل أبطالى، وإننى استحق أقصى العقوبة.. وليس من حقى أن أقوم محامى يترافع عنى..

كان صديقى المؤلف الشاب يقول لى هذا، وهو فى غاية الانفعال..

قلت له: تعالى نحسبها.. بعد عشر سنوات نجمع ما كتبته أنت وما كتبه عنك هذا الناقد.. أنت عندك أفلام ومسرحيات وأعمال فنية تعيش فى وجدان الناس.. صح؟!

قال لى: صح..

قلت له: هو بأه عنده إيه.. شتائم فيك وفى غيرك ومصيرها فى النهاية قراطيس طعمية وفول حراتى.. هو قضى حياته يشتمك، وإنت قضيت حياتك تبسطنا.. هو عاش عليك وأنت لم تعش على أحد. فقط حب الناس.. صح؟!!

قال لى: صح.. عندى فوق مكتبى يا صديقى حكمة إنجليزى أنظر إليها دائما تقول:

newspaper of today is a toilet paper of Tomorrow

يعنى إيه؟! يعنى ورقة الجريدة التى تقرأها اليوم تصبح ورقة تواليت فى الغد القريب.. هذه حقيقة ـ وعندى عواميد فى جرائد ومجلات قديمة شتم أصحابها عبد الوهاب وعبد الحليم وأم كلثوم.. وغيرهم.. ولكن أنت لا تذكر ذلك الآن اسمع دى.. فى أخر حفلة للعندليب الراحل حاول بعض العيال الصيع يفسدوا الحفلة ويغيظوا العندليب، وكان عبد الحليم يغنى قصيدة رائعة لنزار والموجى، ولكن فرقة الغَلْوشة أبت أن تتركه يعيش أو يندمج مع الأغنية وهات يا تصفير، وتحمل العندليب مرة واثنتين، وحينما نفد صبره صرخ قائلا (بس بأه !!) وهاجت الصحافة وهاج النقاد، واتهموا العندليب بالغرور والعدوانية والإرهاب والتخاطب مع دولة معادية.. ونسوا له تاريخه الحافل بالرقة والعذوبة والشاعرية..

وصارت مشكلة المشاكلة هى (بس بأه) التى قالها عبد الحليم فى لحظة غضب، وبدأت حركة النقد الغنائى فى مصر تعيد تقييمها لعبد الحليم حافظ مرة أخرى، كنت أقول هذا الكلام لصديقى المؤلف.. وفجأه طقّت فى دماغى فكرة.. إذا كان من حق الناقد أن يمسح بالفنان البلاط، ويكتب فيه كل العِبَر التى فى الدنيا.. فمن الذى ينقد هذا الناقد؟!! استغفر الله العظيم يارب.. هكذا أنا دائما تطق فى دماغى أفكار شيطانية.. والشيطان شاطر معى بصورة عجيبة.. فكيف أجرؤ أن أفكر فى نقد النقد.. كيف أفكر فى مجرد الخلاف مع صاحب عمود؟!

قال لى صديقى المؤلف:

يكتبون أن البطلة والبطل أجادا دوريهما ومثلاه بعظمة واقتدار، والشخوص الثانوية كانت فى غاية الروعة، والمخرج كان عظيما والموسيقى والديكور.. وعامل البوفيه وعاملة التذاكر أيضا كان لهما سحر خاص.. ولكن الطامة الكبرى تكمن فى التأليف، ويرى الناقد أنه يجب قطع يد المؤلف.. حتى لا يمسك قلما مرة ثانية.

قلت له، وأنا أربت على كتفه مبتسمًا:

ياعم لا تأخذ فى بالك، أنا لى صديق منتج كان يسعد جدا حينما يشتمون رواياته حيث كان الجمهور فى اليوم الثانى يتزاحم على الشباك بصورة مهولة، ولا أنسى يوم أتى لى والجريدة فى يده

وكان بائسًا مستاءًا.. وقال لى.. قرأت.اللى كاتبينه على الرواية.. قلت له خير .. وأخذ يقرأ لى فى حزن: رواية نظيفة راقية ليس بها ما يخدش الحياء العام، قلت له ـ جميل ـ قال لى جميل إيه إنت رَاخَرْ ربنا يستر على الشباك ؟!!

وقلت لصديقى المؤلف:

لا تكن مرهف الحس هكذا.. يجب أن تكون جتتك منحسة وأن تكونَ جِبلَّة وأن تكون باردا كالثلج.. إذا التفت لكل ما يكتب عنك.. لن تكتب.. وهم أيضًا لن يكتبون عنك بعد ذلك..

وانتفض من جوارى واقفًا فى نشاط.. وشد يدى قائلا:

أنا رايح اكتب.

وقلت لنفسى وأنا انظر فى أثره.. ما حَرَّمْتِش!!

مع التَّلامة !!

لا.. ليس خطأً مطبعيًا.. أنت قرأتها صحيحة.. مع التلامة وليس مع السلامة، والتِّلم هو ذلك الشخص الذى يقصد إضحاكك فيصيبك فى الحال بِغمَان نِفْس وبشعور عدائى تجاهه.. و«التِّلم» غير «الغتِت».. فالغتت لا يقصد أن يضحكك، وإنما يقصد أن يضايقك أو يغتَت عليك.. أما الرَّخامة والغَلاسة فلنا معهما حديث آخر.

والضحك هو الفن الوحيد فى الدنيا الذى ليس فيه هزار.. إما أن تضحكنى أو تغم نفسى وتكرهنى فى عيشتى كلها.. ولا اعتبار للتاريخ فى الضحك، فالكوميديان كالنكتة إذا لم يجدد نفسه أفضل له أن يتحول إلى أعمال كتابية.. وفى مصر أنواع شتى من الكوميديانات، قال لى أحد الأصدقاء: فلان ده مدرسة فى الضحك.

قلت له: غير صحيح، فالضحك ليس له مدرسة إنما الضحك هو التزويغ من المدرسة والنط من فوق السور وكسر القاعدة، وهناك

كوميديان لايرى الاستياء فى عيون الجمهور ويخرج فى الكواليس مزهوًا بالإفيهات التى قالها ولم يضحك عليها أحد، وهذا لا يسمى كوميديانا وإنما التسمية العلمية له أنه غتيان أو تلميان.. أعرف كوميديانا أخر له ثمانية عشر عاما، يقول «إفيه» واحدا لا يتغير.. وقالوا قديما إن التقل صنعة أما التقل الذى على خشبة المسرح فهو للحق تقل ربانى موجود فى الكوميديان، وليس مصنوعا.. ولكى يأخذ «الإفيه» بلغة الفنانين أو كى ينجح الممثل فى الإضحاك، يجب أن يفرش له الممثل الذى أمامه جيدا ويفرش للإفيه أى يمهد للنكتة وبعض الكوميديانات يفرشون لأنفسهم، وهناك كوميديان يظل ساعة يفرش الإفيه وينسى فى النهاية أن يقوله.. والممثل يستطيع أن يضحك على الجمهور فى التراجيديا، أما فى الكوميدى فالجمهور غالبًا هو الذى يضحك على الممثل ويكشفه.. والدنيا تتغير وإيقاع الضحك يتغير أيضا.. فذلك الرجل الذى ذهب ليجلس على قهوة فجلس على شاى.. كانت هذه تجعل أبى يضحك حتى يستلقى على قفاه.. أما الآن فأنا أحذرك عزيزى القارىء أن تقولها فى مكان عام؛ لأن العواقب ستكون وخيمة.

أوهمونا أننا شعب ابن نكتة.. وهذا كلام فارغ.. نحن شعب يضحك بطلوع الروح، فى ظل سنوات المعاناة والاستعمار والظروف الاقتصادية الصعبة والحروب والزلازل والإرهاب والنكد الأزلى.. والزوجات والعيال ووجع الدماغ.

ولذا فحلبة الكوميديا حلبة قاسية، يجب على الكوميديان أن يرقص كالفراشة ويلسع كالنحلة، والذى سيفرط فى لياقته الكوميدية وينضم إلى حزب التقل سيجد ضربة قاضية تنهال عليه من حيث لا يعلم فجيل «ساعة لقلبك» لم يرحم اسماعيل ياسين ولا الريحانى ولا غيرهما.. أطاحوا بهم من على العرش وركبوا هم.. وجاء المشاغبون وضربوا ضربتهم، ليبدأ عهدهم هم الذى استمر سنوات طويلة أيضا.. وغيرهم سيأتى.. وغيرهم.

الكوميديا لا ترحم.. تذكرنى بعصر سلاطين المماليك، حينما قتل السلطان قطز بيد الظاهر بيبرس. دخل بيبرس مصر وهى مزينة لاستقبال قطز.. واستقبله قاضى القضاة وسأل عن السلطان، قالوا له لقد قتل.. فسأل بيبرس: من قتله.. فأجاب: أنا قتلته، فأجاب القاضى فى هدوء: اجلس مكانه على عرشه.

الراقصة تعتزل الرقص حينما يتجعد وجهها ويترهل جسدها وينفض عنها معجبوها، أما الكوميديان فلا يرى ذلك ولا يريد أن يراه.. إنه يرى نفسه دائما والصالة تضج بالضحكات حتى لو كانت الصالة فارغة، وإذا لم يضحك الجمهور قال الكوميديان أصل الجمهور وحش.. والظاهرة الجديرة بالدراسة أن كل ممثل أو ممثلة يطلع على المسرح يريد الإضحاك.. فيضطر المؤلف مجبراً أن يكتب لهم حوارا مضحكًا، وهنا تظهر التلامة التى كنت أتكلم عنها فى البداية.. فلأن الممثل ليس خفيف الدم أصلا، فيؤدى المواقف

المضحكة بتلامة وبتقل وغتاتة أيضا، ولا أنسى يوم سمعت واحدا من الجمهور يرد على كوميديان، كان له أكثر من ربع ساعة يركب فى إفيه ويفرش له فتبوظ منه الفرشة فيركب لها جلدة ثم نصف نعل ومحتاس حُوسة لا يعلم بها إلا الله.. فإذا بواحد من الجمهور يقول له: خلصنا بقى ح ننام منك، وضجت الصالة بالضحك..

فى الكواليس، قلت له:

اختصر شوية فى هذه المنطقة.

فوجئت به يقول لى: ليه.. عشان يعنى الراجل اللى اتكلم ده.. بالعكس ده جميل التواصل مع الناس.. ده مقصود.. ده حلو.

كانت التلامة قد وصلت عنده إلى درجة من التبلد وعدم الإحساس بما يحدث حوله..

هنا ابتسمت له ابتسامة رقيقة، وقبل أن أغلق الباب ورائى، قلت له فى هدوء:

ـ مع التلامة.

كيف لا تكتب مسرحية

إن المخ البشرى أداة عجيبة فهو يبدأ العمل منذ اللحظة التى نولد فيها، ولا يتوقف قط إلى أن تبدأ فى كتابة مسرحية.. اليوم باين من أوله.. نسيت مفتاح العربية داخل العربية.. ونسيت أنا حاطط المفتاح البديل فين.. وحينما ذهبت لبتاع المفاتيح، لكى يأتى معى ويفتح لى العربية.. نسيت أنا سايب العربية فين.. وبعد جهد جهيد وتبكيت من الأسطى بتاع المفاتيح.. عثرنا على العربية وفتحناها.. ولكن للاسف الشديد.. نسيت الفلوس.. ياساتر استر.. أنا خلاص دماغى خربت.. اركب سعادتك معايا نوصل البيت.. أطلع اجيب لك الفلوس.. معلش.. يتنهد فى زهق.. يا دى العطلة اللى على الصبح.. أنا سايب الدكان يا بيه..

ساعة بآلف حوالين البيت.. لأ.. ما نسيتش البيت.. بس قفلوا كل الفتحات اللى بتودى على البيت.. ونسيت الفتحة.. أخيرا.. ثانية يا أسطى حاطلع أجيب الفلوس ونازل لك..

اركض السلالم ركضًا، أخرج سلسلة المفاتيح.. تلاتين مفتاح.. انهو فيهم مفتاح البيت.. ما بدهاش.. أضع يدى على الجرس.. تأتى أمى، وهى تستنكر قلة ذوق الذى يدق الجرس وحينما تعلم انه ابنها.. تنزعج أكثر.. خير فيه حاجة ياحبيبى، أقول لها بسرعة مفيش.. ادخل على الحمام بسرعة.. فأنا كنت فى حالة يرثى لها.. أخرج من الحمام، وأنا اتنفس الصعداء ياه.. الحمام ده نعمة.. أجلس لآخذ نفسى.. تجرى أمى الحبيبة.. وتعمل لى كباية ليمون.

تقول فى حب: شكلك على لحم بطنك من الصبح..

أومئ برأسى، فهى الوحيدة التى تستطيع أن ترى لحم بطنى دون أشعة.. وأنا أثق فى كشفها.. تضع الطعام.. ياعينى.. ربنا يخليكى يا أمى مازلت تشعرين بجوعى وعطشى.. كأنهم لم يقطعوا الحبل السرى بيننا بعد.. صوت كلاكس فظيع ما هذا الضجيج.. الناس لم يعد عندهم أى ذوق.. ولكن.. ياه.. إنه صوت كلاكس سيارتى. يا نهار أسود ـ الأسطى لايزال ينتظر فلوسه.. انتفض مسرعًا.. لقد نسيت الرجل بالسيارة.

خلاص يا أسطى ما تعملهاش حكاية.. يعنى إيه ساعة وربع.. حسابك أهوه..

يرد فى غيظ.. يا بيه الساعة بقت أربعة..

أقول له.. أنت ح تِعملِّى تحقيق.. أربعة.. أربعة، خلاص

مـا تخوتنيش.. إيه يعنى أربعة.. وراك إيه.. أربعة.. أربعة بجد يا نهار اسود.. ده أنا ميعادى معاها الساعة تلاتة..

أركب السيارة ولا أطلع لأكمل طعامى.. فقط أشير لأمى من الشارع أننى لازم امشى.. يا للاشارات اللعينة.. اتحركوا.. امشوا.. أخيرًا.. فتحت الإشارة.. لمدة نصف دقيقة، قبل أن افوت احمرت تانى.. انظر إلى العسكرى بغيظ. أرى فى عينيه نظرة شماتة..

اذهب إلى الموعد.. حينما ترانى.. تنهض فى غضب وتأخذ شنطتها:

بقالى ساعة ونصف مستنياك.. أتقدم لها بخالص اعتذاراتى، وأتوسل إليها أن تجلس.. أصلك ما تعرفيش اللى حصل.. اقعدى بس..

تتنهد فى غيظ، وتقول: إيه اللى حصل.. سَمَّعنى..

ابلع ريقى.. وأبدأ الدفاع: شوفى يا ستى.. اللـى حصل. اللى حصل يـا ناس. ما هذا !!!؟! لقد نسيت كل شىء بالفعل، لا أتذكر ما الذى أخرنى.

ولكنها فجأة. يستفزها شىء خطير.. تحملق فيَّا وتقول.. وإيه اللى أنت عامله فى نفسك ده.. مشمر كُمْ وكُمْ لا..

انظر إلى ذراعى.. ياه.. سورى نسيت أشمره، انظر إلى الكم الآخر.. قصدى.. نسيت أزرره..

تسألنى فى عصيبة.. نسيت تشمر وإللا نسيت تزرر.. فهمنى، ثم تنظر لى بدهشة وتقول:

يا نهارك أسود.. أنت لابس الجزمة من غير شراب كمان.. على اللحم..

أدافع عن نفسى.. دى الموضة دلوقت.. معدش حد بيلبس شَرابات..

يغيظها دفاعى أكثر وأكثر.. وتصرخ:

ولـمَّاهيَّه دى الموضة لابس شراب فى الفردة الثانية ليه؟!

أرد عليها أنا أصلى دقة قديمة محِبش اقلد الشباب بتوع اليومين دول..

ولكنها تنقض عليا بسؤالها المفاجئ:

أنت عارف النهاردة يوافق إيه؟!

طول عمرى أرسب فى الأسئلة المفاجئة.. أعصر ذهنى كله أنا اتزنقت.. لو تترفق بى قليلاً..

وتسألنى بالطريقة الأمريكية وأنا اختار..

سـأخبط الإجابة وزى ما تيجـى.. عيـد الحـب.. طبعـا فـاكـر يـا حبيبتى.. فالنتين داى.. صح.. ماكنش لازم أنسى يوم زى ده..

عيناها تتسعان دِهشة وكأنها تكلم نزيلاً فى الخانكة:

عيد الحب فى شهر مايو.. إنت بتتعاطى حاجة..

أتدارك خطأى.. وألحقها بالإجابة الثانية:

سورى معلش أنا عارف بس باهزر معاكى.. عيد العمال.. كل سنة وأنت وكل العمال فى مصر بخير..

تأخذ شنطتها فى غضب وتهم بالانصراف.. أمسك بيدها..

تقول لى وقد كرهت اليوم الذى عرفتنى فيه:

النهارده عيد ميلادى..

أمسك بها: والله العظيم ما انتى ماشية.. أنا إيه اللى حصل لى بس.. ولا حتى تشربى حاجة.. معقولة.. اصفق للجرسون يا نبوى تعالى.. واجلسها. بعد دقيقة يأتى الجرسون ويقف، انظر إليه مستغربا ثم إليها مستفهما..

يسألنى الجرسون: أومر يا بيه..

أجيب عليه.. أأمر بإيه؟!. فيه حاجة يا نبوى..

يرد الجرسون: حضرتك ندهت لى.. شاى.. قهوة..

أتذكره: أيوه.. أيوه.. هات لى قهوة سكر زيادة..

ويذهب الخادم ونعود لحديثنا:

والله يا ستى الواحد دماغه مقلوبة من الصبح.. انتى ما بتشربيش حاجة ليه..

تقول فى غلاسة: ما حضرتك طلبت لنفسك ونسيتنى..

يا خبر أبيض: ده أنا نَدْل ندالة.. طيب ما تقولى.. اتكلمى..

أصفق للجرسون: فين يا نبوى الحاجات اللى طلبناها.. أنت نزلتها وإللا إيه.

يبتسم الجرسون: جاية جاية.. يا بيه..

وكاد الجرسون أن يمضى دون أن أطلب لها مرة ثانية -ولكنها استوقفته هى بكل حزم، وقد فاض بها الكيل، وقالت: هات لى آيس كريم يا نبوى..

ويميل عليها الجرسون ويهمس لها.. فأراها تقول له: معلش.. معلش.. ربنا يشفى..

اسألها: بيقولك إيه نبوى..

تقول :مفيش.. بس بيقول إن اسمه جمال مش نبوى..

أقول: مين ده..

تقول: الجرسون

أسألها: ماله..

تقول: اسمه جمال:

مين؟

تقول: أيوه جمال..

أسألها: جمال مين..

تقول: الجرسون..

وقبل أن أقول لها: ماله..

صرخت فيَّا وقالت: اقفل موضوع الجرسون ده خالص..

تأتى القهوة.. والآيس الكريم..

وتسألنى فى ود: إنت مالك اليومين دول..

أتناول لحسة من الأيس كريم وأقول لها: دماغى ح تنفجر.. باكتب مسرحية جديدة.. لاحسة دماغى.

تقول لى فى نفاد صبر: ولكنى أنا الذى طلبت الآيس كريم..

انتبه.. وما هذا أنا لا أشرب قهوة إطلاقاً مين قاله يجيب قهوة أنا ممنوع منها..

تصرخ ولكنك طلبتها..

ثم نهضت فجأة، وقالت:

لـمّا تبقى تركز أُبأى كلّمنى.. سلام..

وتمضى حانقة. تلعن اليوم الذى عرفتنى فيه.. أحاول أن أجمع أفكارى المشتتة.. أغفو للحظة وأغمض عيناى.. أشعر براحة عجيبة وبسلام رائع.. أفتح عيناى.. لأتأمل المكان من حولى ما هذا.. كازينو!! ما الذى أتى بى إلى هنا..

أنادى على الجرسون: يانبوى.. هوه فيه إيه.. زحمه كده النهارده..

يرد الجرسون فى غيظ: النهاردة الخميس يا أستاذ..

أتظاهر بأننى فهمت آه: عشان كده.. الخميس.. ما هو أصل الخميس.. يا نهار أسود ومنيل.. الخميس!! لسه ما كتبتش مقال الكواكب.. نبوى.. اخلق لى ورقة وقلم بسرعة.. بسرعة.. اكلم الكواكب المقال جاهز بس بأبيضه.. ساعة زمن ويبقى عندكوا.. معلش.. أنا آسف..

أنادى على المتر الواقف على مقربة منى: فضيلى الترابيزة خالص.. شيل الآيس كريم ده والقهوة.. أرجوك.. ح اكتب..

تمر لحظة ويأتى لى نبوى الجرسون بالورق والقلم:

اتفضل يا بيه..

انظر له باستغراب واندهاش: ورقة وقلم؟! أعمل بيهم إيه!! أنا طلبت ورقة وقلم؟!!!!

❁ ❁ ❁

المشهور.. والمشعور

فى ظروف غامضة ـ كما يقولون ـ بعت سيارتى.. والظروف فى الحقيقة لم تكن غامضة غموضًا كبيرًا.. فلقد بعتها لظروف صحية حيث نصحنى الطبيب بالمشى.. ولظروف اقتصادية حيث نصحنى أصحاب الكمبيالات بالدفع، ولظروف بيئية لكى أرحم جو القاهرة المختنق بالعادم من عادم سيارتى.. ولظروف نفسية وميكانيكية وسمكرية وبنزينية وإشاراتية.. باختصار قررت أن أتخلص من كل وجع الدماغ هذا.. فبعت سيارتى.. ثم أننى كرجل له قدر لا بأس به من المعجبين سأشعر بمتعة حقيقية وأنا أنخرط بين الناس.. واعتبرت نزولى من السيارة قرار إفراج أعطيته لنفسى.. فإذا رأيتنى حضرتك ماشى فى الشارع ماسك كوز درة ونازل لهط فيه، لا تتعجب إنه أنا فعلا.. هوه أنا..

وقد حدث أننى حينما كنت أقود سيارتى ذات مرة، وكنت أركن

أمام التليفزيون، سمعت أحد الواقفين على الكورنيش يقول لزميله.. وله:

راغب علامة أهوه..

فأجاب الثانى: راغب مين يا بنى أنت معقولة راغب يركب عربية متجرحة وفانوسها مكسور.. وكان هذا دليله الوحيد على أننى مش راغب علامة..

ثم أضاف بلهجة الواثق: ده مش راغب ياعبيط.. ده طلعت زين!!!

وخرجت من السيارة لأجد من يجرى ورائى وهو يقول فى سعادة: أستاذ عاصى حلانى.. إحنا بنحب أغانيك أوى ممكن تمضيلى على الأوتوجراف..

وابتسمت ابتسامة النجوم وكتبت له فى الأوتوجراف «مع أرق تحياتى..» وائل كفورى.. وهكذا أدركت أنه لاشبه بينى وبين الفنانين سالفى الذكر، سوى أننى أركن أمام التليفزيون.

وبعت السيارة.. وانضممت إلى قبيلة المشاه وركاب التاكسى.. أقف على الناصية وأشاور للتاكسى وأركب.. باشا.. وانجعص فى قعدتى كما يحلو لى.. وأنزل فى المكان اللى يعجبنى وأتركه - سائق التاكسى ـ يتعذب هو فى الإشارة.. يستاهل: حد قالله يسوق فى الحر ده!! وبعد أن انخرطت بين الناس وركبت تاكسيات، بدأت أقيس

حجم شهرتى المزعومة التى كنت أتصورها أيام السيارة.. وكان خيالى المريض يشطح أحياناً فأتخيل نفسى والجماهير تحملنى حملاً وح يقطعونى من فرط الإعجاب.. وها أنا نزلت.. ومشيت، ولم يتعرف على أحد، الناس مالها؟! كأننى أكتب فى مجلة تصدر فى جنوب أفريقيا.. وأذيع فى قناة محلية بالهند.. لا أحد يعرفنى؟ معقولة وبدأت أبحث عن أعذار ومبررات لجمهورى الحبيب، الذى لم يكلف نفسه حتى ويبتسم لى، الناس خلقها بأه ضيق.. هما عارفينى أكيد.. بس كل واحد ياعينى فى ملكوت تانى.. الله يعينهم على اللى هما فيه.. وركبت التاكسى.. نظر لى السائق نظرة طويلة.. وابتسم، وسرت فى جسدى قشعريرة الشهرة اللذيذة.. والله العظيم شكلها ح تفرج.. الراجل ده بيشبه عليا. دلوقت أكيد ح يعرفنى .. ثَبَّتْ وضع الكرافاته على عنقى وعدلت الجاكت، خلعت النظارة الشمسية وأخذت أومئ برأسى إيماءات معينة كأننى أمام الكاميرا بالضبط.. حتى أبدو أكثر وضوحاً لمعجب مثله فى مرحلة التشبيه عليا وبيراجع نفسه.. هو واللاّ مش هوه وقطع شرودى سؤاله المباغت على فين يا بيه.. كان لايزال يحدق فيا.. كلمة بيه أعجبتنى ربما لأن الجمهور كله يعتقد أننا العاملون فى الفن بهوات.. معلش ح تيجى.. هو ـ فقط ـ فى مرحلة تذكر الاسم..

قلت له كأننى أغششه الإجابة: ماسبيرو .. التليفزيون ..

ابتسم وقال: ربنا يعينكوا يا بيه.. بتتعبوا والله..

ورقص قلبى من الفرحة، واستطرد سائقى اللطيف قائلاً:

أنا زى اللى شفت سيادتك قبل كده.. مش البيه وكيل نيابة برضو؟! وانسحبت من على وجهى كل علامات الفرحة والغبطة السابقتان ودخلنا البنزينة لكى نمون، وقد حدث بينى وبين السائق الغلس هذا.. جفوة لايمكن أن تعالج..

وفجأة .. أتى عامل البنزينة الشاب نحوى متهللا وهو يشير لى بيده.. كان زجاج السيارة مغلقا.. وللحق أحسست بالفعل بما عوضنى عن تجاهل السائق الحاقد.. وكان العامل ينقر لى على الزجاج مادًّا يديه يريد أن يسلم على .. هو ده حب الناس.. أنا جمهورى من الشباب يا إخواننا..

وفتحت الزجاج ومددت يدى.. ولكنه لم يصافحنى، وقال غاضباً:

عمال أشاورلك م الصبح وأقولك اطفى السيجارة اطفى السيجارة.. ممنوع هنا يا سيدى.

وبدأت أتذكر كلمة احمد مظهر فى الأيدى الناعمة .. خونة..

وتركت التاكسى والبنزينة كلها وانصرفت غاضباً.. وبينما أنا أسير بلا وجهة وقف بجوارى تاكسى أنيق .. به شاب غاية فى الظرف.. دعانى بنظرة من عينيه الطيبتين الفاهمتين .. وركبت علطول .. قال متهللا :

تعرف يا بيه إنتا شبه مين . .

قلت فى غيظ:

مين . .

قال لى: شبه يوسف معاطى . .

هنا وقف قلبى من الفرحة ومن هول المفاجأة . . حتى الوحيد الذى عرفنى . . لم يعرفنى . . وقررت عقاباً له أن استمر معه فى اللعبة.

قلت له مين ده.

قال لى: المذيع أنت ما تعرفهوش. .

قلت: لأ . .

وقلت لنفسى هو فيه حد يعرفه أساساً. .

وقال السائق : هو شكلك طبق الأصل، بس أنت على شباب نمسك الخشب يا باشا. . هوه بتاع خمسين سنة. .

قلت له : انهون ده. . بيقدم إيه. .

أجاب بثقة: بيقدم كورة. . بيذيع ماتشات. .

قلت له: ولكن معلوماتى عنه أنه كاتب. .

أجاب بلهجة الواثق الخبير: لأ . . دوكهه واحد تانى - بس هما

قرايب المؤلف يبقى عم المذيع، وهوا اللى أتوسطله ودخله التليفزيون.. ما هى ميغة.. ده يألف وده يذيع.. رزق الهبل على المجانين.

قلت له بحسم: بس نزلنى هنا .. ونزلت .. وسألت نفسى .. ماذا تعنى الشهرة هل هى أن يعرفك الناس؟! أعتقد لأ .. الشهرة أن تعرف أنت الناس كل الناس.. كنت أعمل برنامجاً عن محمد عبد القدوس الممثل الرائع. وكلما أظهرت صورته لأحد كان يجيب .. أيوه عارفه.. ده أبو إحسان عبد القدوس .. وأذهلنى هذا الرد حتى الأميين الذين لا يقرأون ، يعرفون إحسان الذى هو قلم أكثر مما يعرفون أبيه الذى هو صوت وصورة وحضور .. لا يهم أن تكون مشهوراً بقدر ما تكون مشعوراً. وبكل قوة أشرت إلى آخر تاكسى فى هذا اليوم الهباب.. تاكسى.. وجلست، نظر لى وقال باسما:

أستاذ يوسف مش كده.

سألته بسرعة: هل تقرأ ما يكتبه فى الكواكب.

أجاب: فى الحقيقة لأ..، قلت له:

أنا لست الأستاذ يوسف.. أنا واحد شبهه.

أنا حامل .. فى فكرة !

تمثال الكاتب المصرى الجالس القرفصاء هو لقطة فريدة أبدعها المصريون القدماء لحالة الكاتب فى كل العصور.. حالة الانتظار والتأمل والولادة وطلوع الروح حتى تأتى الفكرة.. وتتبلور ويسجلها المسكين على ورقة البردى أو اللوح أو الحجر.. ومهما ارتدينا بنطلونات وجاكتات وقعدنا على فوتيهات، فنحن أسرى هذه الحالة.. والكاتب هو الوحيد فى هذه الدنيا الذى يبحث عن أشياء لايعرفها، أشياء ليست موجودة بل إن مهمته أصعب بكثير من مهمة أخينا الذى نزل من الصعيد إلى القاهرة ليبحث عن واحد اسمه محمد.. فالكاتب يبحث عن فكرة ليس لها اسم ولاعنوان ولا أى علامة.. إن مهمته أصعب من ذلك الذى يبحث عن إبرة فى كوم من القش بل إنه فى الواقع يبحث عن قشة فى أطنان من القش، ويصبح كالغريق الذى يتعلق بقشة.. هذا إن وجدها..

هكذا أنا جالس فى الحجز الانفرادى الأسبوعى.. وقد صرفوا لى

رزمة الورق الأبيض والقلم الأسود.. هيا .. أكتب .. أكتب .. ثانية واحدة .. ما هذا الذى تكتبه .. قلنا ميت مرة .. أكتب كوميدى .. عاوزين لطافة وخفافة .. عاوزين الناس تضحك يا للا ولكن كيف؟. أين المؤشر الذى يضبط الموجة على الفكرة.. الفكرة كالجنين الذى لم يتكون بعد .. بس لقيتها .. أعمل سونار.. ينظر الطبيب إلى الشاشة التى أمامه، وأنا راقد أمامه أتنهد فى إعياء .. يقول لى بلهجة جافة:

شوف أدى المخ أهوه.. وآدى المخيخ شايف الشخبطة اللى فى النص دى .. آدى الموضوع إللى أنت بتدور عليه .. بس لسه ماظهرش.. شد حيلك كده أمال .. وأبأى أشرب لبن..

تتأبط المدام ذراعى وهى توصينى أن أمشى على مهلى، وتراجع معى نصائح الطبيب ما أشيلش أفكار تقيلة.. فى الرابعة فجراً أقوم من النوم، وعندى حالة قىء.. أجرى على الورق.. أتقيأ الفكرة التى عنت لى .. ثم أمزق الورقة وأرميها..

تربت المدام على كتفى: ربنا ينتعك بالسلامة..

أقول لها فى وهن: نفسى فى حاجة حرشة..

تتغير ملامح وجهها: نعم ياخويا؟!

نفسى أقرأ الحرافيش لنجيب محفوظ..

تخبط كفًّا بكف.. أجيب له الحرافيش منين دلوقت.

قال لى الطبيب: أبأى اتمشى شوية.. المشى كويس للى فى حالتك..

واسمع كلامه أتمشى..

يقترب منى سايس العربيات وفى يده مظروف أصفر: والنبى تقرأ يابيه دى (كصة من الواكع).

أمسك القصة ياه: كل دى. خمسميت صفحة!! وأحسد السايس لايهم ما بداخل القصة.. المهم أنه أخرجها.. طلعها، وقام بالسلامة حاضر أوعدك ح اقراها ..

سائق التاكسى يتوقف حينما يرانى.. ويخرج مسرعا.. وفى يده مجموعة أوراق:

شوية شعر ياپيه عليا النعمة مافيه أخوهم، بس عاوزين اللى يوصلهم.. والبركة فيك بأى .. إديهم لأى حد يغنيهم إن شاء الله عمرو دياب حتى.. عاطفى.. عاطفى قوى ياباشا.. عاوزين نسيب التاكسى اللى مش جايب همه ده، ونقب على وش الدنيا..

يتركنى السواق العاطفى وأشعاره فى إيدى مع كصة السايس، أتذكر تحذيرات الطبيب ماتشيلش حاجة تقيلة.. أذهب إلى المكان الذى تعودت أن ألد فيه أفكارى.. يضع الجرسون أمامى كوب الشاى بالنعناع اليومى.. و.. ولايتحرك.. أرفع رأسى، أجد ابتسامة خجول على وجهه:

معلش ح أعطل حضرتك معايا.. أصلى كنت بحب واحدة و.. اتجوزت واحد تانى .. دمار يعنى.. فقعدت مع نفسى كده وافتكرت

حضرتك، ورحت كاتب خواطر كده يعنى . . على قدى طبعاً . . أنا مش شاعر . . ويخرج من جيبه روزمة أوراق، وبدأ يقرأ . . ليه تسيبينى ياحبيبتى . . ليه تسيبينى . . قبل ماتروحى فى طريقك اسمعينى . .

يدخل مدير الأوتيل، وينظر إلى المشهد والجرسون يقرأ لى أشعاره . . يشخط فيه . . يرتجف الولد ويلم أوراقه بسرعة : إيه . . ح نسيب شغلنا، ونقف نقرا للزباين ح نفتحها ندوة . . الأستاذ يوسف بييجى هنا ليه عشان يختلى بنفسه، ويكتب ياحيوان مخصوم منك عشرة أيام . . إيه قلة الذوق دى . .

أحاول الدفاع عن الولد الذى تركته حبيبته . . مايبقاش موت وخراب ديار . . أقسم لمدير الأوتيل أننى الذى طلبت منه أن يقرأ لى أشعاره . . حتى يصفح عنه .

يصرفه مدير الأوتيل بغلظة . . ويجلس بجوارى :

الذوق أنعدم من الدنيا ياأستاذ يوسف . . سعادتك قاعد بتكتب محدش يقتحم عليك خلوتك كده أنا فاهم طبيعة الفنان . .

أقول له : محصلش حاجة يا أستاذ أنا لم أكتب كلمة بعد . . لسه . . ماجاتش . .

يبتسم فى لزوجة ويقول : معقولة . . إحنا معطلينك بأه . .

أرد عليه فى مجاملة : إطلاقا . .

ينظر حوله كأنه عامل عملة . . ثم يخرج دوسيهاً من حقيبته الأنيقة :

طيب اسمع.. محسوبك على فكرة شغال فى السياحة، بقالى ٢٥ سنة.. خلاص زهقت منها.. طهقت من السياحة. وكلام بينى وبينك الشغل خف قوى.. ساعات وأنا قاعد فى مكتبى أمسك قلما وورقة كده، وأقعد أشخبط أهو اللى ييجى فى دماغى أكتبه.. أنا عامل لحد دلوقت ٦ أفلام وأربع مسرحيات، وحوالى متين تلتميت أغنية.. بس أنت عارف.. أنا بعيد عن الوسط بتاعكو، أنا عاوزك تقرا.. واللى ينفع.. مش ح أوصيك طبعا.. وأهى لو مشيت معايا ح أسيب السياحة خالص..

أتناول من السيد المدير دوسيها يضم أعماله الكاملة.. ولاينسى هو بالطبع أن يقول لى بين السطور إنه مسجل فى الشهر العقارى، حتى لاتطق فى دماغى وأسرقهم واللا حاجة..

أنظر بجوارى إلى تل الأعمال الفنية.. وأجد نفسى اتساءل:

لماذا لايكتب كل الناس ما المانع.. أليس الجمهور هو الذى يقيم أعمالنا وهو الذى نكتب له ومن أجله، وهو الذى لاينيمنى الليل حتى أجد الفكرة الملعونة التى لاتأتى أبدا..

من حق كل انسان أن يكتب. وأنا أيضا من حقى ألا أكتب.. وليس معنى أنهم يكتبون أنهم كتاب، وليس معنى أننى لا أكتب أننى لست كاتباً.. ليكتب الجميع.. الكتابة حرية شخصية.. أضع القلم على الورق الأبيض.. ولا كلمة. ولا فكرة.. مش عاوزه تيجى.. صمت رهيب يحيط بأوراقى.. أكلم البيت.. أعرف أن أمى تكتب

رواية جديدة للمسرح، وخالتى تعد أول أعمالها الروائية.. وأخوتى يصدرون صحيفة فنية.. محل الملابس الجاهزة تحت بيتنا أصبح داراً للنشر.. يستوقفنى البواب عم يونس، وأنا داخل ليعرض علىا بروفات مجلته الجديدة «صوت البوابين». وباء الكتابة ينتشر ويستفحل.. مئات وآلاف الجرائد والمجلات كلها تريد من يملأها.. ولاتزال الفكرة الجنين لم تكتمل فى رأسى أدخل بيتى مسرعا.. لأجدها فى انتظارى.. المدام وفى يد الكارثة.. الأوراق البيضاء والقلم.. ياللهول.. إنها هى أيضاً تكتب.. يانهار أسود.. الكتابة دخلت بيتى ياناس، أتذكر حكاية النهر الذى من يشرب منه يصاب بالجنون.. وشرب الشعب كله إلا السلطان والسلطانة والوزراء.. وبدأ البلاط الملكى يشرب من النهر تدريجياً.. فيصابون بالجنون واحداً وراء الآخر.. إلا السلطان الذى رفض أن يشرب من ماء النهر.. ويقول له الوزير، وما قيمة أن تكون عاقلا فى مملكة من المجانين.. اشرب يامولاى .. اشرب.. ويشرب السلطان وأنا لست خيراً من السلطان، لأكتب أنا أيضاً.. أين الورق.. أين القلم.. وأبدأ فى الكتابة، ترانى المدام وأنا أكتب.. تبتسم فى سعادة.. أخيرًا عقلت.. وأهمس لـنفسى لا ياعزيزتى.. أنا لم أعقل.. أنا شربت من ماء النهر..

قابلت كتير.. وشفت كتير

ياساتر.. موتى وسمى هذا الشيء البشع المدعو أوبن بوفيه.. صف من التربيزات مرصوص، عليها أصناف لانهاية لها من الرز واللحمة والطبيخ والأسماك والديوك والخرفان.. والسلطات والفواكه.. انظر إلى الأكل.. يع.. ح ارجع.. كتير.. كتير أوى.. الكثرة تغم النفس.. والناس حول البوفيه كتير برضو.. يبدأون المرور بشياكة أمام الأصناف الموجودة، ولكن التلاحم يبدأ.. الزق يشتد.. المعركة تبدأ كأى حرب عالمية سابقة.. بالكوع.. زغدة بسيطة بالكوع، ووجه يعتذر.. سورى أنا آسف.. المزغود يرد بزغرة تنبئ عن عدم رضاه عن هذا التصرف غير الحضارى.. إيه ياناس هو الأكل ح يطير.. تستقر الأصابع على الفخذة الكبيرة، وفى ثانية كالجراد تتحول الفخذة إلى عضماية.. أنصار السلامة فى البوفيهات المفتوحة صناع الأطباق.. يحولون من البوفيه على الأطباق فى حركة منتظمة كعمال التراحيل.. هيلا هيلا ياريس.. هيلا هيلا هيلا..

وكجحافل النمل يرتب كل واحد نفسه ومستقبله للمرحلة القادمة.. كتير دا يا إخواننا كتير.. كل شىء كتير.. الشوارع تتقيأ السيارات والخيام الرمضانية كتير والغنا كتير والأكل كتير.. ماذا يحدث فى بداية هذا العام ١٩٩٩.. حتى التسعات فى السنة كتير.. بداية مزدحمة متكدسة..

الأحداث التى حدثت هذا الشهر فقط تصلح لتلات.. أربع سنين، ويفيض منها كمان.. أمريكا ضربت العراق وإنجلترا معاها.. وكلينتون ح يتحاكم عشان مونيكا.. مش عشان العراق، وعيد المسيحيين جه مع عيد المسلمين ورأس السنة جات فى رمضان.. كتير.. كل ده كتير، وصدام وممدوح موسى يقدم سر التفوق نازلين فيهم شتيمة.. كتير.. ومحمد رياض عامل تسع مسلسلات.. ولاحديث لنا سوى أنه بيمثل كتير.. كل الجرائد تكتب عن ذلك.. كتير.. والقرموطى معلش إحنا بنتكلم.. والعب.. كل الناس تقولها فى الشارع كتير.. هل رد قلبى الفيلم أحسن وإللا المسلسل.. قرأت وسمعت هذا التساؤل حوالى تلتميت مرة.. كتير نرمين وإللا مريم فخر الدين؟! كتير.. وعلى رأى كتاب الدراما تتوالى الأحداث عاصفة.. الأبنودى كتلة الصدق المصرية التى لم تلوثها البيئة.. يخضنا عليه هذه الخضة المهولة المفزعة.. القلب الأخضرانى يابويا لن تدبل فيه الأغانى ياليل.. والله كتير.. كتير

على تحملنا وعلى قلوبنا كل هذه الأحداث.. وعمارة تقع على سكانها فى أرض اللواء، وعمارة تانية فى بولاق الدكرور بتشاور عقلها.. يارب ارحمنا.. والبلد زحمة.. لحم فوق بعضه.. وتتوالى الأحاديث فى خيام الشهر الكريم.. هل عودة فطوطة بعد طول غياب عودة حميدة.. يبتسم أولو الأمر العالمون ببواطن الأمور.. الله يرحم فهمى عبد الحميد.. طيب ووائل ابنه الموهوب.. لماذا لانرحمه نحن هو الآخر.. والكلام كتير.. فاروق جعفر يتحدى ويهدد.. وبصراحة الزمالك ما ينفعش معاه غير فاروق.. ويهمس آخر.. بس كرول اتظلم بصراحة.. ما يتظلم شوف الزمالك ماشى زى السكينة فى الجاتوه.. قدمه وحش.. كتير.. وهنيدى!! ماحكايته هوه راخر.. ويحلف هنيدى بإيمانات المسلمين وبالطلاق إنه لايريد سوى أن يشتغل ويهمس البعض.. وصل كام دلوقت هنيدى. مليون دولار!! بيضاله فى القفص.. كتير.. كتير أوى..

ونادين.. الله عليكى يانيللى.. وياسلام على شريهان.. البنت كويسة بس الإخراج.. ولم تستطع أن تخرج من عباءة ومن جلباب.. ومن... كتير.. كتير.

الزحام أصبح وباء.. زحام الأفكار وزحام الكلام.. وزحام الإعلانات ياساتر يارب كتير كتير كتير فوق الجبال وفوق السحاب.. وتأتى البنت البريئة لتقول له فى النهاية.. أخذت أول طيارة.. يابختك إلحقينى بيها.. نفسى أهج.. ويوافقنى الصديق عمرو

الليثى.. ويقول.. خدنى معاك.. فأرد عليه، وأنا على شاطئ البحر ممسكا بالسنارة.. أنسى ياعمرو.

وحتى إعلانات المدن الجديدة التى تغرينا بالهدوء وبالبعد عن الضجيج.. كتير.. إن المحلات التى فى الصحراء.. والتى يسوقون لها.. تظهر فى الإعلان والناس فوق بعضها.. كتير.. ولهجة الهجوم والتلميح والتلقيح والتنبيط أصبحت هى اللهجة السائدة، هذه الأيام فنانة معروفة ضبطت بتعمل معرفش إيه.. وفنان معروف طلق زوجته.. وعلى علاقة مع فنانة أخرى والسى إن إن فيها آخر الأخبار، والجزيرة تنصب المولد الذى بلا صاحب.. وعزب شو ينحت بحرفية الشخصيات التى يقلدها ولكن الإطار.. والقالب والمغزى.. كتير.. ولازلنا رغم كل شىء.. حينما نلتقى نحن العرب.. بالأحضان وبالقبلات والسلامات..

فى الصعيد عندنا خمس بوسات فى السلام الواحد.. وكل واحد يخش لازم يمر ع القاعدين كلهم.. ولو حد مشى وراح لحد الغيط ورجع تانى، لازم يرجع يسلم على كل واحد مرة تانية، كأنه ماكانش معانا جَبْل إِكْدِه.. ويقولون إن كتر السلام يقل المعرفة.. وهل يوثق العلاقات ويوطدها قلة السلام.. يعنى أشوف حضرتك جاى عليا اعمل نفسى مش واخد بالى.. نقوم نبأى أكثر من الإخوات.. قال لى صديق لأ بالعشرة.. قالك تعرف فلان.. اعرفه.. عاشرته.. لأ

ماعشرتوش.. تبأى ماتعرفهوش.. قلت له لاينطبق هذا الكلام على المرأة.. قال لى إزاى.. تعرف فلانة قال أعرفها.. عاشرتها قاللى آه عاشرتها.. تبقى لسه ما تعرفهاش.

ماذا يحدث فى نهاية القرن العشرين.. ما كل هذه الأشياء التى تكدست وتكونت، كأنها ماسورة أحداث وأفكار وكلام وانفجرت.. هل القرن العشرين بيخلص.. وبيطلع فى الروح!!

هل هو حالياً يحتضر ويخرف.. هل ينهى القرن حكايته مثل أى فيلم هندى بتجميع أحداثه كلها وضخها مرة واحدة.. مع إنهم طول الفيلم نازلين غُنا وجرى ومفيش حدث واحد، أم أن هذا هو كريشندو أو تصاعد نهاية القرن العشرين؟!

فلاش باك سريع يعود بنا إلى الوراء فى منتصف هذا القرن، الذى يلفظ أنفاسه الأخيرة لنجد شوارعنا.. فاضياااه.. وبالكتير عربية ماشية على مهلها فى أول الشارع، وبعد تلت ساعة عربية تانية وراها، وبتقلب نور كمان أحسن تحصل حادثة وإللا حاجة.. والناس قليلين وهاديين.. والشمس حلوة ورامية نورها ودفئها على الطرقات والشجر والحرارة.. مش كتير.. والدنيا لو مطرت يادوبك تندع.. واللى بيغنوا مش كتير.. ولافضائيات ولاقنوات ولا عولمة.. وحتى الكلام ما كنش كتير..

أعزائى .. الطاقين.. أنا عارف إنكم دلوقتى بأيتُم كتير.. وإنتوا

يعنى مالكوش نفس.. هذا المقال كتبته وأنا صايم فى آخر يوم فى شهر رمضان.. ممكن أكون خرفت كتير.. رغيت كتير..

عزيزى رئيس التحرير.. لك كافة الحق فى اختصار مقالى هذا إذا وجدت أنه .. كتير.

❁❁❁

المحتويات

اتفضل . . ده الكارت بتاعى. ——— ٧
مين مع ومين مش مع. ——— ١١
العملة السودة. ——— ١٦
أنا . . . أنا جاى معاه. ——— ٢٠
أخى فى السينما الذى لم تلده أمى. ——— ٢٥
سلم نفسك . . المقال محاصر. ——— ٢٨
النجم فى الأوتوبيس. ——— ٣٣
كتاب شارع الهرم. ——— ٣٧
تكسب يا «أوسمان». ——— ٤٣
ع الأوبرا . . يابوى! ——— ٤٧
جواز مع النفاذ. ——— ٥٢
بنا اااادى علـ ى ى ى ك. ——— ٥٧
م البيت للكباريه وم الكباريه للبيت. ——— ٦١
رأفت الهجان و. . رأفت الولهان!!! ——— ٦٥

وأحلى من الشرف مفيش .. ياآه ... ياآه. ـــــــ ٧١
هنادى خدها الوبا. ـــــــ ٧٧
ليك يوم ياديك. ـــــــ ٨٢
أدينى كتبت أهوه!!! ـــــــ ٨٧
أغانى ومعذبانى. ـــــــ ٩٤
ع الضيَّق ـــــــ ٩٨
ولَّعْها .. ولعها ـــــــ ١٠٤
زيتنا فى دقيقنا ـــــــ ١٠٨
اشمعنى ده بالذات؟! وأنا لأه!! ـــــــ ١١٢
ألاقيش عندك تيمة جديدة؟! ـــــــ ١١٧
فى إيدى سيناريو مش ناوى أكمله!! ـــــــ ١٢١
حصة .. فى التأليف الفورى ـــــــ ١٢٧
وكان الإنتاج .. ثالثهما. ـــــــ ١٣٣
خالتى فايزة عايزة جايزة. ـــــــ ١٤٢
«بابا الشغالة» .. من تأليفى! ـــــــ ١٤٨
مرسيه ياجمالات؟!!! ـــــــ ١٥٢
الموت فيلماً! ـــــــ ١٥٧
أنا مش مبسوط كدا! ـــــــ ١٦٢
اسمع الأفيش. ـــــــ ١٦٦
الكاسيت مفتوح. ـــــــ ١٧١

هيا بنا نخرج . ١٧٧

فقرة إعلانية . ١٨٢

عامل إيه؟ فُلَّه؟!! ١٨٧

لأ .. يانجمة . ١٩٢

صاحب .. صاحب عمود!! ١٩٦

مع التَّلامة! ٢٠٠

كيف لا تكتب مسرحية ٢٠٤

المشهور .. والمشعور ٢١٢

أنا حامل .. فى فكرة! ٢١٨

قابلت كتير .. وشُفْت كتير ٢٢٤

❁ ❁ ❁